

الشفق العظمي

ملاحظة عن كتاب Science

راجع مقال الكاف والاضمة السحابة صفحة ٢٧ من هذا العدد

المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الثالث والتسعين

١٣٥٧ هـ جمادى الثانية سنة ١٩٣٨

١ أغسطس سنة ١٩٣٨

(١)

الكون : حجمه وحجمه



لمحة تاريخية

يقال ان تاريخ الجنس انما هو تاريخ الفرد مكتوباً بحروف عريضة . وهذا القول ينطبق انطباقاً خاصاً على مسألة الكون وحجمه . فالطفل الوليد يهجز عن تصور حجم الكون لان مهدته ومرباه وحدة مقياسه . وكذلك كان الجنس البشري في مهده . فقد سلم بان الارض - وهي مقره ودنياه - هي اهم جزء في الكون بل ومركزه وانها في حجمها هي الكون . ولكننا عندما نتغلغل في منابع العلم الاولى ، نرى دلائل انهيار هذا الرأي رويداً رويداً . ففي القرن السادس قبل المسيح قال فيثاغوراس ان الارض كروية . وفي القرن الرابع ق. م. ذهب هيراقليطوس النبطي الى ان ما يبدو من دوران السماوات ناشئ عن دوران الارض الكروية . وكان من شأن هذه الاقوال ان حملت الناس على تنقيح آرائهم في حجم الارض ومقامها بالقياس الى اجزاء الكون . ثم قام ارسترخس الصامي في القرن الثالث ق. م. وحاول ان يتبين حجم الكون بطريقة القياس العلمي الدقيق . فقد لاحظ انه عندما يكون القمر نصفاً يكون الخط الوهمي الواصل بين القمر والشمس عمودياً على الخط الواصل بين القمر والارض . واذن فالثلث الذي نقوامه الخطوط الواصلة بين الشمس والارض والقمر تحتوي على زاوية قائمة عند القمر والثانية

(١) بحث مبني على محاضرة حديثة للسرخس جيمز جينز وكتابه « الكون الذي حولنا » وكتاب « جبهة العلم »

التي عند الارض يمكن قياسها بالرصد . والثالثة تعرف بالاستنتاج الهندسي . وبهذه الطريقة حاول
ارسترخس ان يعرف النسبة بين الاضلاع الثلاث في هذه الزاوية اي النسبة بين ابعاد هذه
الاجرام الثلاثة ، احدها عن الآخر . وقد كانت نظريته سليمة ولكن ارساده كانت خاطئة .
والواقع ان الزاوية عند الارض تختلف عن الزاوية القائمة بمقدار تسع دقائق من القوس .
ولكن ارسترخس حسب الفرق ثلاث درجات . وكذلك استنتج ان الشمس تبعد عن الارض
عشرين ضعفاً بعد القمر عنها حالة ان الشمس تبعد عن الارض ٤٠٠ ضعف بعد القمر عنها
ولم يكتفِ ارسترخس بتقدير الابعاد النسبية ، بل سعى كذلك الى تقدير الابعاد الحقيقية .
فبفضل انكساغوراس فهمت طبيعة الخسوف . فكان معروفاً حينئذ ان الظل الذي ينتشر على وجه
القمر وقت الخسوف هو ظل الارض . ولما كان ارسترخس يعلم ان الشمس أبعد كثيراً من القمر
عن الارض ، فانه ذهب الى ان مساحة الظل قريبة من حجم الارض اي ان الظل الواقع على
القمر دائرة من حجم الارض تقريباً ، كما ترى على بُعد هو بعد القمر عن الارض . ولما كان
يعرف حجم الارض فقد كان من السهل عليه ان يحسب بعد القمر عنها

وفي هذه الناحية ايضا كانت طريقة ارسترخس سليمة وأرساده خاطئة . فقد قدر ان ظل الارض
يفوق قطر القمر ضعفين . والواقع انه يفوقه ثلاثة أضعاف . وحسب ان القمر يشغل في الفضاء
قطعة من القوس قدرها درجتان . والحقيقة ان قدرها نصف درجة . فكانت النتيجة انه أخطأ
في حساب بعد القمر وحجمه . والواقع ان القياس الفلكي الدقيق لم يكن من مزاياءه ، ولكنه
كان أول باحث وجه النظر الى عظم الابعاد الفلكية

ثم ان ارسترخس أضاف الى ناحية الابعاد العظيمة في علم الفلك رأياً قد يفوق آراءه
السابقة شأنها اذ أثبت بتدليل يذكرنا بتدليل كوبرنيكوس في القرن السادس عشر ب . م . ان
الارض تدور في فلك دائري حول الشمس . ثم بنى على ذلك قوله بأنه ما زالت النجوم تبدو
ثابتة في مكانها على الرغم من دوران الارض فيجب ان تكون بعيدة جداً عن الارض . ومن
أقواله ان النسبة بين ابعاد هذه النجوم الى فلك الارض كالنسبة بين نصف محيط كرة
ومركزها . اي ان النظام الشمسي لم يكن إلا بمنزلة نقطة في الفضاء

وغني عن البيان ان بطليموس الاسكندري تحدى هذه الآراء في القرن الثاني ب . م .
وغلب آراءه عليها . فقال انه لو كانت الارض تدور لتناثرت في الفضاء الاجسام التي في منطقتها
الاستوائية . وخلص من ذلك الى انه لو صح رأي ارسترخس في دوران الارض لتبدلت مادة
الارض هباء في الفضاء ، وهذا في رأيه من المضحكات . ومن أقواله في هذا الصدد انه لو صح
ان الارض تدور وألقيت بحجر من على ما وصل الى هدفه لان الارض بحركتها تبعد الهدف

في أثناء السقوط . وظلّت آراء بطليموس سائدة حتى منتصف القرن السادس عشر عندما رُدّها كوبرنيكوس بالحجة البَيِّنَة . وليس هنا مجال للتبسط في هذه المعركة الحاسمة في تاريخ العلم وقد كان مصير آراء كوبرنيكوس خيراً من مصير آراء ارسطرخس . ذلك لان الطباعة والرقب كانا قد استتبعا . فما انقضى ثلثا قرن على نشر كتاب كوبرنيكوس حتى أثبت غاليليو بالرقب اي بالمشاهدة صحة اقوال هذا القس البولندي العالم . وقبل ان ينظر غاليليو من خلال مرقبه الى الفضاء بعشر سنوات ، كان جوردانو برونو يقول بأن النجوم أجسام تشبه الارض والقمر والسايرات ، وهو قول فيثاغوراس قبل ألفي سنة . وما انقضت عشر سنوات على مشاهدات غاليليو الاولى بمرقبه ، حتى كان كبلر قد أذاع رأيه بأن النجوم تشبه الشمس . وهذا القول كان أول باعث حمل الناس على ادراك سعة الكون العظيمة . لانه اذا كان اشراق النجوم شبيهاً باشراق الشمس فيجب ان تكون على أبعاد عظيمة عنا لكي تبدو صغيرة كما تبدو . فنحن نتلقى ضوءاً من الشمس يفوق مائة الف مليون ضعف ما نتلقاه من نجم من القدر الاول كالنسر الطائر أو يد الجوزاء او الدبران . فاذا كانت هذه النجوم من مرتبة الشمس اشراقاً فيجب ان يفوق بُعدها عنا ٣٢٠ الف ضعف بُعد الشمس عنا . فاذا حولنا هذا القول الى أسلوب الكلام العلمي الحديث ، فلما ان نجوم القدر الاول يجب ان تبعد عنا على هذا القياس خمس سنوات ضوئية ونحن نعلم الآن ان هذا الاسلوب من البحث لا يفضي الى نتائج دقيقة لانب القول بان النجوم تماثل الشمس اشراقاً بعيد عن الحقيقة اذ منها ما يفوق الشمس عشرة آلاف ضعف ومنها ما لا يبلغ اشراقه جزءاً من الف جزء من اشراقها . ولكن الاسلوب نفسه سليم اذا اتقن وقد اتقن في العصر الحديث وأضيفت اليه اضافات متعددة فعدا قياس ابعاد النجوم من أمتع ما يتناوله الفلكي في بحثه

أبعاد النجوم وقياسها

من الواضح ان في الامكان تقسيم النجوم طوائف . فهي تختلف اشراقاً اختلافاً عظيماً ، ولكن النجوم التابعة لطائفة معينة تتشابه اشراقاً ، ولذلك يستطيع الباحث الفلكي ان ينفذ الى بُعد النجم برصد اشراقه البادي بالقياس الى اشراق الطائفة التي ينسب اليها . وتقسيم طوائف النجوم يبنى عادة على دراسة طيوفها

خذ مثلاً على ذلك نجم الشعرى اليمانية . الذي يبدو لنا أبهر النجوم ضوءاً في الفضاء . هذا النجم ، من النجوم القريبة الى الارض ويمكن تعيين بعده بطريقة اختلاف الزاوية ، وهي الطريقة التي يستعملها المهندسون عند مسح الارض لتعيين بعد جبل وذلك برصده من مكانين مختلفين بينهما ميل مثلاً أو نصف ميل او ميلان ثم يرسم مثلثاً يستخرج منه بطريقة علم المثلثات بُعد

الجيل . والشعري بهذا القياس تبعد عنا ٥١ مليون مليون ميل اي ٨٦٥ سنة ضوئية . ثم يتخذ بعد الشعري مقياساً لبعد النجوم التي من طائفتها . فنجم من طائفتها يقل اشراقه البادي عنها ١٠٠ ضعف أبعد منها عنا عشرة اضعاف ، لان قوة الضوء تقل كمربع المسافة . ثم هناك النجوم المعروفة بالمتغيرات القيفاوية والاعتماد عليها في معرفة ابعاد النجوم أدق وهذا الاسلوب من اهم المكتشفات الفلكية الحديثة . والى القارىء وصفه موجزاً^(١)

من انواع النجوم التي ترصع القبة الفلكية نوع يعرف باسم « المتغيرات القيفاوية » وقد دعيت هذه النجوم كذلك نسبة الى نجم « ذلنا قيفاوس » . هذه النجوم يتغير اشراقها تغيراً دورياً فاذا تكون خافية الضياء تراها وقد اخذت تزداد اشراقاً ثم تأخذ بعد ذلك بالحمود حتى ترجع الى حالها الاولى . وقد شبهها جينز بنار الموقد الخامدة وقد اتى فيها قدر من الفهم فابلت حتى اشتد سعيها . وقد وصفناها في مقنطف ديسمبر ١٩٣٥ فقلنا « هذه النجوم قد تكون حمراً او مبياضة او صفراً ، ولكنها على اختلاف ألوانها تنبض نبضاً منتظماً كأن كلاً منها قلب كبير ينقبض وينبسط او كأنها شعلة من الغاز تمدها حنفية تفتح وتغلق في فترات منتظمة فاذا فحت كبرت الشعلة واذا أقفلت ضؤلت الشعلة حتى تكاد تنطفئ » . اما فترة التغير هذه فتختلف باختلاف النجوم من بضعة أيام الى شهر او اكثر

والفضل في كشف هذه الطريقة الجديدة لقياس ابعاد النجوم يرجع الى اميركية تدعى المس لقيت Leavitt . كانت هذه السيدة تشغل في مرصد جامعة هارفرد سنة ١٩١٢ . وكان قد مضى عليها سنوات وهي تدرس الالواح المصورة لنواح مختلفة من السموات بغية ان تكشف ما تطوي عليه هذه الالواح من حقائق جديدة عن النجوم مفردة ومجموعة . واذ كانت مكبة على صورة لاحد القنوان النجمية التي على حدود المجرة ، تبينت فيها شيئاً جديداً . ذلك ان طائفة من المتغيرات القيفاوية كانت قد ظهرت في تلك المجموعة النجمية . فلاح لها من دراسة الصورة ان المتغيرات القيفاوية الكبيرة المشرقة كانت ابطأ تغيراً من المتغيرات القيفاوية الصغيرة الخافية . فالفترة التي تنقضي بين خفاء القيفاويات الكبيرة وبلوغها ذروة اشراقها ثم رجوعها الى ما كانت عليه كانت اطول من فترة التغير في القيفاويات الصغيرة . فأسرّت ذلك الحاضر وعمدت الى ما تجمع من الصور الضوئية للسدم الاخرى التي صورت منذ استعملت تلك الطريقة الفلكي دراير في سنة ١٨٨٠ وخرجت من بحثها الدقيق المستفيض بأن طول فترة التغير متصلة صلة وثيقة بقوة الاشراق . فأعلنت هذه القاعدة الجديدة في علم الفلك

(١) راجع مقنطف ابريل ١٩٣٨ مقال « المجرات » صفحة ٣٥٥ ومقنطف ديسمبر ١٩٣٥ مقال « ذرع الفضاء » صفحة ٥٢٥

ولكن الاشراق البادي لنجم من النجوم يختلف عن اشراقه الحقيقي . لان ما يبدو من اشراق أحد النجوم يتوقف على بعده . فقد يكون نجم عظيم الاشراق ولكنه عظيم البعد في الوقت نفسه فيبدو للراصد الارضي نجماً غائراً . فاذا كان هناك نجمان قيفاويان على بعد واحد من الارض وكانت فترة التغير في احدهما اقصر من فترة التغير في الثاني . فالاول أقل اشرافاً من صاحبه . فلما وضعت هذه القاعدة هذا الوضع ظهرت فائدتها في قياس ابعاد النجوم . ولنفرض ان أمامنا نجمين قيفاويين فترة تغيرها واحدة . ثم لنفرض ان اشراق أحدهما البادي يفوق اشراق الآخر مائة ضعف . فالنتيجة الحتمية التي نخرج منها — اذا صحت قاعدة المس لثيت — ان أقلهما اشرافاً يجب ان يكون أبعد من الآخر عشرة اضعاف لان الضياء الصادر من جسم مضيء يقل كمربع المسافة . ثم لنفرض ان أحد هذين القيفاويين واقع في مجموعة من النجوم عرف بعدها عن الارض . ففي هذه الحالة يمكن استخراج بعد الآخر استخراجاً دقيقاً وكذلك تم للعلماء أسلوب جديد بارع لذرع الفضاء

ثم عني شابلي وهبل بتطبيق قاعدة المس لثيت على السدم . فاهتم شابلي أولاً بالبحث عن المتغيرات القيفارية في القنوان الكروية ، ليتمكن من قياس بعد هذه القنوان بقياس بعد المتغيرات القيفارية التي فيها . وبعد بحث رياضي دقيق استخرج طريقة سهلة تمكن الباحث من معرفة ابعاد هذه النجوم الحقيقية بدلاً من معرفة ابعادها النسبية واعتمد على هذه الطريقة في قياس بعد قنوق هرقل فوجده ٣٦ ألف سنة ضوئية . ثم اعتمد عليها في قياس ابعاد مائة من هذه القنوان فوجد ان بعدها وهو الموسوم NGC 7006 يبعد ٢٢٠ ألف سنة ضوئية من الارض

اما هبل فصرف عنايته الى قياس السدم بهذه الطريقة فوجّه نظره أولاً الى السديم الرقوم 31 Messier وهو سديم حلزوني في صورة المرأة المسلسلة ثم الى السديم 33 Messier في صورة المثلث فوجد ان في الاول متغيرات قيفاوية تبلغ العشرة او أكثر قليلاً وان فترة التغير في اشرافها تماثل فترة التغير في بعض القيفاويات التي في المجرة . فاستند الى قاعدة المس لثيت كما افترضها شابلي فتبين ان هذا السديم يبعد عنا ٩٠٠ ألف سنة ضوئية . واذن فهو خارج المجرة حتماً . ثم التفت الى الثاني وبالطريقة نفسها أثبت انه يبعد عنا مليون سنة ضوئية

وقد ظهر من بحوث هبل واعوانه ان اخفى السدم التي تتبينها عين المرقب وتسجلها لوحة التصوير الضوئي الحساسة يبعد ٢٤٠ مليون سنة ضوئية

فلتحاول الآن ان نرسم صورة للكون المنظور كما يرى لو كنا مشرفين عليه من بعيد . ولنجعل هذه الصورة كرة قطرها عشرون قدماً ، وكل بوصة فيها تمثل المسافة التي يجتازها الضوء في مليوني سنة ضوئية . واذن فمجرةتنا (قطرها نحو ١٠٠ ألف سنة ضوئية) تمثل داخل

هذه الكرة برأس دبوس قطره عشر بوصة . اما النجوم التي ترى بالعين المجردة فتشغل داخل هذا الرأس كرة نصف قطرها $\frac{1}{4}$ بوصة . اما شمسنا فلا تزيد على حجم كيرب — على هذا القياس — واما الارض فلا تزيد على جزء من مليون جزء من الكيرب . وليس ثمة ما يحملنا على الظن بان كرة نصف قطرها ٢٤٠ مليون سنة ضوئية تشتمل على الكون كله . واما هي ذلك الجزء من الكون الذي نستطيع ان نراه مباشرة او بالواسطة . ولا ريب في ان المرقب الكبير المنتظر البالغ قطر مرآته ٢٠٠ بوصة سيكشف لنا آفاقاً كونية جديدة وراء هذه الآفاق القصية

واذن فلا نستطيع ان نعتمد على الرصد وحده في تقدير حجم الكون، بل يجب الاستناد الى أساليب أخرى . وهذه الأساليب قائمة على قاعدة من نظرية النسبية . ولكن الارصاد الفلكية ليست بكافية لبناء حكم صحيح عليها ، ولذلك يقول السر جيمز جينز ان كل ما نستطيع ان نقوله ونحن واثقون بما نقول ان أبعاد الكون أعظم جداً من مسافة ٢٤٠ مليون سنة ضوئية وهو بعد أبعد السدم التي تتبعناها بأجهزة الرصد الحديث . أما مدى هذه الأبعاد وهل هي ألفا مليون سنة ضوئية كما يقول بعضهم او عشرة آلاف سنة ضوئية كما يقول البعض الآخر أو أكثر أو أقل فلا يملك العلماء العصر سنداً علمياً كافياً للحكم فيه .

عمر النجوم

تلفت الآن الى موضوع عمر الكون . وهو موضوع يختلف في أركانه عن موضوع حجمه وسعته . وهناك طرائق مختلفة لتقدير هذا العمر ولكن ليس بينها طريقة يصح الاعتماد عليها كل الاعتماد . وهي تقضي الى نتائج متضاربة . والمسألة تدور في أبسط أشكالها على قدرتنا على ان تنفذ بأساليبنا العلمية الى ما كان عليه الكون في الماضي السحيق . وليس بالعجيب ان تقلدنا كلما تغلغلنا في الماضي

ان مرقب مرصد جبل ولسن الكبير يمكننا من تبين سدم تبعد عنا ٢٤٠ مليون سنة ضوئية . فعند ما يوجه المرقب الى هذه الاجرام الكونية ، نشاهد إما مباشرة وإما بالواسطة ، ما كانت عليه قبل ٢٤٠ مليون سنة لان هذا الضوء الذي نراها به غادرها عندئذ مجتازاً رحاب الفضاء . واذن فهذه الاجرام كانت موجودة قبل ٢٤٠ مليون سنة ولذلك يصح لنا ان نقول ان عمر الكون يزيد على ٢٤٠ مليون سنة . ثم ان هذه الاجرام القصية لا تختلف في أركانها وأوصافها الاساسية عن أجزاء أخرى من الكون أقرب اليها منها . واذن يصح ان نستنتج من هذا ان الكون لم يصب تغير عظيم في أثناء ٢٤٠ مليون سنة . اي ان هذه المدة ليست الا فترة قصيرة في حياة الكون ونشوئه . واذن فعمر الكون يجب ان يكون أضعاف ٢٤٠ مليون سنة ودراسة الارض من ناحية عمرها تؤيد هذا الرأي . ففي وسع العلماء ان يسترشدوا بقواعد

علم الجولوجيا ليتصوروا ما كانت عليه الارض من ٢٤٠ مليون سنة، فيجدوا انها لم تكن تختلف كثيراً عما هي عليه اليوم . وهذا لا يبين فقط ان عمر الارض يزيد على ٢٤٠ مليون سنة بل يبين كذلك ان الشمس لم تتغير كثيراً خلال تلك المدة . ولذلك لا بد ان يكون عمر الشمس وكذلك عمر الكون الذي هي احد شمسويه ، اضعاف ٢٤٠ مليون سنة . وإذا حلت الصخور المحتوية على مواد مشعة عرف العلماء المدة التي انقضت منذ تجمدت تلك الصخور . وقد تبينوا بهذه الطريقة ان اقدم الصخور التي درست على هذه الطريقة يرتد تاريخ تجمدها الى ١٧٥٠ مليون سنة . ولذلك يصح ان نقول ان عمر الكون على الاقل ١٧٥٠ مليون سنة

وهناك وسيلة أخرى نستطيع ان نتوصل بها لتقدير عمر الكون . وهي القائمة على فكرة تمدد الكون . فالسدم التي خارج المجرة تبدو — اذا أخذنا بحمود الخط الاحمر — وكأنها تفرق مبتعدة عنا وبعضها عن بعض . وقد قاس هيوماسون وهبل سرعة تفرقها وابتعادها فاذا أسرع ما قيس منها سائر بسرعة ٤٢ الف كيلو متر في الثانية . وهي سبع سرعة الضوء . والقاعدة المسلّم بها بوجه عام الآن ان أبعد السدم أسرعها . وان السرعة تختلف باختلاف البعد . فاذا صح ان الكون — اي الفضاء — أخذ في التمدد وان السدم وهي أجزاء منه لا بد ان تبعد بعضها عن بعض ، فالابعاد الكونية المعلومة لدينا الآن ، تتضاعف بعد الف مليون سنة اذا استمرت الاجرام مغدة في سيرها بالسرعة التي تسند اليها الآن .

الا ان نظرية النسبية تذهب الى ان الكون لا يمكن ان يمضي في تمدده بمعدل واحد من السرعة، بل في الوسع القول بناء على بعض قواعد النسبية، ان السرعة زداد بنسبة هندسية ولذلك يقال ان ابعاد الكون تتضاعف بعد ١٤٠٠ مليون سنة على هذا الاساس . وهذا يعني ان ابعاد الكون كانت من ١٤٠٠ مليون سنة نصف ما هي عليه الآن وانها كانت قبل ٢٨٠٠ مليون سنة ربع ما هي عليه الآن . الا أنه لا نستطيع ان نرتد في الزمن على هذا المنوال الى ما لا نهاية له حتى يصبح الكون نقطة مستقرة قبل ان بدأت تتمدد . ويقول جينز ان عمليات رياضية معقدة بحملها على الاعتقاد بأن التمدد الكوني لم يبدأ قبل ١٠٠ الف مليون سنة على الغالب . ولكن الرقم المذكور ليس الا رقماً تقريدياً ولا يعتمد عليه . وليس فيه دليل حاسم على عمر الكون . وذلك لان عمليات رياضية اخرى تشير الى انه من المحتمل ان تكون فترة من النقص الكوني قد سبقت فترة التمدد التي نشهدها الآن

ثم هناك فكرة جديدة قد يكون لها من الاثر في دراسة عمر الكون كآثر « المتغيرات الفيفاوية » في دراسة ابعاده . وهذه الفكرة تقوم على مبدأ « نوزع الطاقة المتعادل » بين الدرات في الغاز او بين النجوم في السماء . وهذا موضوع في حاجة الى مقال قائم بنفسه لبسطه .

ولكن لا بد من إيجازه هنا . فالأجاء في ذرات غاز ما الى ان تحسر الذرات التي فيها طاقة تفوق طاقة غيرها وان تكسب هذا ما فقدته تلك حتى يصل الغاز الى حالة من توزيع الطاقة المتعادل فيصبح من هذه الناحية في حالة استقرار . والغالب ان يتم هذا التوزيع عن طريق الاصطدام بين الذرات ولكن المسافات الشاسعة بين كواكب السماء تحول دون حدوث اصطدامات كافية لتحقيق هذا التوزيع ولذلك فهو يسند الى التفاعل التجاذبي بين النجوم . والمشهد من رصد النجوم انها على اختلاف كتلتها وسرعتها ، تكاد تكون بلغت حالة من التكافؤ في توزع الطاقة بينها ، واذن فحساب عمر النجوم قائم على طول المدة التي لا بد منها لقوى التفاعل التجاذبي ، لكي تحول النجوم من تباين عظيم بينها في مقادير طاقتها الى حالة قريبة من التوزيع المتكافئ او المتعادل . والنتيجة التي يخرجها العلماء من هذا البحث ان عمر الكون من رتبة خمسة ملايين مليون الى عشرة ملايين مليون سنة فما كانت حالة الكون من خمسة ملايين مليون سنة ؟ ان المشاهدة والرصد في عهدنا يدلان على ان الشمس تشع من الطاقة ما متوسطه ٢٥٠ مليون طن في الدقيقة . فقد كانت وزن امس في الساعة السابعة صباحاً — وهي ساعة كتابة هذه السطور — ٣٦٠ ألف مليون طن اكثر مما وزن الآن . فن مليون مليون سنة كان وزنها يفوق وزنها الآن كثيراً ومعرفة الفرق ممكنة بالحساب وهو يدل على ان ما فقدته من وزنها خلال ذلك ليس الا ٦ في المائة من كتلتها . ولذلك كانت أعظم اشراقاً مما هي الآن وكانت تشع كل دقيقة ٣٠٠ مليون طن في الدقيقة بدلاً من ٢٥٠ مليوناً . فبعد تصحيح الحساب تبين ان الشمس حينئذ كانت تفوق ما هي عليه الآن كتلة واشراقاً . وقد كان من المتعذر من سنوات ان انصدق ان الشمس تستطيع ان تولد طاقتها بملاشاة مادتها . ولكن علماء الطبيعة كشفوا خلال هذه السنوات الكمبرج الموجب (الپوزيترون) في المعمل . وهذا حمل الباحثين على الاعتقاد بان تحول المادة الى اشعاع عمل قائم في المادة الارضية علاوة على تحول طاقة الاشعاع الى مادة . وما زلنا قد توصلنا الى معرفة مصدر للطاقة كهذا المصدر فليس ثمة اعتراض على عدّ عمر النجوم بملايين الملايين من السنين لم يكن تصور رحابة الكون وسعته العظيمة بالامر السهل . واشق من ذلك على العقل تصور سعة الزمن الفلكي وامتداده العظيم . فالكتاب اذا احتوى على مائتي الف كلمة عدّ كتاباً فوق المتوسط حجماً . ولنقل ان كل كلمة متوسطها خمسة احرف . ثم لناخذ هذا الكتاب وسيلة لتمثيل عمر الارض . ان الحضارة البشرية تمثل فيه بكتيبه الاخيرتين . والعهد المسيحي بحرفه الاخير او اقل قليلاً . وحياة المتوسط من الناس تمثلها النقطة الاخيرة . هذا هو عمر الارض بالقياس الى عمرنا . وعمر الكون اذا مثل التمثيل نفسه اقتضى مجلدات متعددة . واذا صحّ الرأي الاخير في عمر الكون وجب ان تملأ هذه المجلدات رفوف مكتبة تسع لالوف منها

الحشاق الثلاثة

لعلى محمود طه

« الى ادعياء الحكمة والمعرفة
« الى المتطلعين للسماء في انتظار المعجزة
« الى القا بضين على الرحم

سرى القمرُ الوضاح بين الكواكب
فناداهُ من وادي الخليين هاتفٌ
يقول له : يا روعة الحسن والصبا
أنا العاشقُ الوافي إذا جنسني الدجى
ألا ليتني حرٌّ كضوءك أرتقي
ويا ليت لي كنزٌ ابتساماتك التي
يُفكرُ فيما تحته من غياهب
بصوت محبٍّ في الحياة مقارب
وأجل أحلام الليالي الكواكب
وراعيك بين النيرات الشواقب
عوالمك الملائى بشتى العجائب
تُبعرها في الكون من غير حاسب !

فأصغى إليه الضوء في صفو جذلان
وجاس خلال الشجوب والماء والثرى
فنادى به : يا صاحبي ضلٌ ناظري
فأوما له إني هنا تحت شرفتي
أبى البرد أن استقبل الليل قائماً
وحسبُ الهوى من عاشقٍ لك وامقٍ
وأضفى على الوادي شعاعَ حنان
فلم يرَ في آتائها وجهَ إنسان
فأين تُرى ألقاك أم كيف تلقاني
وراء زجاجيها أخذتُ مكاني
وأن أنزل الوادي بحيث تراني
تزوّد عيني من سنا ضوءك الحاني !

فألقي عليه الضوء نظرة حائر
وأعرض عنه بابتسامة ساخر

وقال له : يا صاحبي قد جهلتي
انا الموثقُ المكدود طالت طريقه
تجاذبني طاحونةُ الشمس كما
وما بسمتي إلا دموعُ من اللظى
فدعُ عنك يا أعجوبة الحب عالمي
فقبلك لم يدرِ الا عجب ناظري !
ويا ربَّ شعري ساقه غيرُ شاعر
طريقُ اسير في رعاية آسر
وقفتُ . وتمضي بي سياطُ المقادر
قد التمتعت في وجه سهران حاسر
فقبلك لم يدرِ الا عجب ناظري !

وأمعن في تفكيره القمر الزاهي
يناجيه منها عاشق ذو ضراعة
يقول له : يا مُشهدى كل ليلة
شبيه بهذا الضوء نور جبينه
وترسم لي الاشباح طيف خياله
تَمَنَّيْتُ لو وسَّدتُ خدك راحتي
فمرَّ بأرض ذات عُشبٍ وأمواه
مناجاة صوفي لطيف إله
جال محيياً رائع الحسن تسياره
على أنه في الناس من غير أشباه
فأدنو لضمِّ أو للهم شفاه
وصدرُك خفاق وجفنك ساهي

فرفَّ على الوادي الشعاعُ طروباً
أزح هذه الاغصان عنك لعني
فجاوبه : يا قُرَّة العين إني
إذا ألتعبت عيني السماء تطلعا
ففي صفحات الماء نهضة عاشق
خلوت به أركان أوفى قسامه
وناداه من بين الظلال مُجيباً
أصافح وجهاً من هواك حبيباً
قد اخترت من شط الغدير كشيئاً
وخالست لحظاً للنجوم مُريباً
يراك على بُعد المزار قريباً
وأوفر من سحر الجمال نصيباً !

فغاض ابتسام الضوء من فرط حيرة
وصاح نجيب أنت حقَّرت سيرتي

هو الكونُ مرآتي ومجلى مفاتي
وما نظَرَ العشاقُ إلاَّ بأعينِ
أعْيَدُ الذي شَبَّهتني بجماله
أنا الفحمةُ البيضاءُ ان جَنِّي الدُّجى
فَدَعْ عالمَ الافلاكِ واقنع ببلجةٍ
وما لغديرٍ ان يَمَثِّلَ صورتي
تُعَظِّمُ في المعشوقِ كلَّ صغيرة
أديمٌ مُحِيًّا مثلَ صمَاءِ صخرتي
انا الحَمَّةُ السوداءُ رأد الظهيرة
وغازلُ من الاسماكِ كلَّ غريرةٍ

وبينا يهيمُ الضوءُ في سبحاته
رأى شبحاً في قُربِ نارٍ كما
يَدُّ ذراعيه ، ويُرسِلُ صوته
الى القمرِ الساري مُحيِّاه شاخصٌ
خام عليه الضوءُ واستمهل الخُطى
وصاح به : يا شيخُ ما أنت قائلٌ
وقد غَطَّ هذا الكونُ في سخرياته
يودّع طيفاً غابَ عن نظراته
بلوعةٍ قلبٍ ذابَ في نبراته
كصاحبِ نُسْكَ غارقٍ في صلاته
وأجرى سناه الطلُقَ في قسماته
تكلّمَ : فان الليلَ في أخرياته

فقال له : يا باعث الحبِّ والمنى
شفيتَ جوى شيخٍ أحبك يافعاً
وأفنيتَ عمري أرتقي عاليَ الذرى
وأوقدُ ناري كي تراني وأنتني
وقيلَ ضنينٌ لا يجودُ بوصله
تساوتُ كلابٌ تنبحُ البدرَ سارياً
سأمتَ وحيثُك العوالمُ والدُّنى
وعاش بهذا الحبِّ جذلانَ مُؤمناً
إلى ان بلغتُ اليومَ مثواي ههنا
لا أطلقُ ألحاني وأدعوك موهنا
فهاأنذا ألقاك يا ضوؤَ محسنا
ونوأمُ ليلٍ أنكروا آيةَ السنا !

فحدَّقَ فيه الضوء وارتدَّ مغضبا
وقال له أفنيتَ في سخفك الصبا
ولمَّا تُرَخَّ جفنا من السهدِ متعبا
وسخريةً بالنار أن تقتربا
كان شعاعي في جفونك قد خبا
ومن عبث مثواك في هذه الرُّبى
على حين لم تبلغ من النور مرقبا
وما كنت إلا الواهم المترقبا
وثالثَ عشاقٍ بهم ضقتُ مذهبا
وكانوا لأمثال الخليين مضربا
فوأسفاه ما كنت في الدهر مذنبا
فأجزى بنجوى من تعشَّق أو صبا
وساقَ على حيي الدليل المكذبا
سَلَّ العاصي الهاوي من الخلد هل نبا
به الليل لما آثر الأرض واجتبي ؟
أأبصر قبلي في الدجَّة كوكبا
أضاء له الدربَ السحيق المشعبا
وهل في سنا غيري تملَّى وشببا
بحواءِ واهتاج اليراع المثقبا
حويتُهما روحاً طريداً معذبا
فذابَ حيائي منهما وتصببا

وأورثني هذا الشحوبَ وأعقبا
رأيتُ فما يدنو ووجهاً تخضبا
وجسمين ذابا شهوةً وتلهبا
وصدرًا خقوقاً فوق صدرٍ توثبا
غرائزُ فيها الغيُّ والنقصُ رُكَّبا
تلمَّسُ في ضوئي الأنامَ المَحجِّبا
فيا شيخَ دَعْ هذا الوشاحَ المذهبَ
تراحمُ المسنونَ في الكأسِ ذُوبَا
طفًا الراح فيه والترابَ ترسِّبا
وإنَّ كلابَ الأرضِ أشرفَ مأربا
ينيرُ لها ضوئي الظلامَ لتجيبا
خطى الصَّ يستار الطريقَ المحجِّبا
فإن نبعثَ ضوئي تسمعتُ معجبا
بأرخمَ لحنِ رنٍّ في الليلِ مطربا
تحيَّةَ مُثنٍ بي أهلٍ مرحِّبا
بي آدمَ إن لم يكن آدمَ الأبا
رجوتُ لكم من عالمِ الرجسِ مهربا
وآثرتكم بالكلبِ جدًّا مهذبًا
وأجملُ بالإنسانِ إن يتكلبا

ومالَ عن الأرضِ الشعاعُ وغربًا ووسوسَ في صدرِ الدُّجى فتألبا

الكلف

والاسم الكونين

الكلف التي تبدو على وجه الشمس والاشعة الكونية والعواصف المغنطيسية ظاهرات طبيعية متباينة ، ولكنها تتباين كأن بينها اتفاقاً على الانساق في تباينها . وقد كانت هذه الحقيقة لغزاً يحير العقل حتى عهد قريب الا ان العلماء شرعوا ينفذون الى حقيقته

في ٢٥ يناير سنة ١٩٣٨ حدثت اعظم العواصف المغنطيسية التي رصدها العلماء في السنين الاخيرة فتأثر بها الراديو حتى كأن قوة خفية جمّدت امواجه في الفضاء ، واضطربت بوصلات السفن ، وعجزت اسلاك البرق عن نقل رسائله لتولد تيارات متأثرة قوية فيها ، واشتد ظهور الانوار القطبية . وفي الوقت نفسه اذاعت المراصد وجود كلفة على وجه الشمس تفوق في حجمها الكلف المألوفة . وكانت هذه الكلفة — بحسب الرأي الحديث — إعصاراً من الغاز المتوهج يتسع لعشر كرات كل منها بحجم الارض . اما الاشعة الكونية التي قلماً يبدو تغير ما في قوتها ، فبدأ للباحثين انها اضعف في تلك الفترة من مسهل هذه السنة مما هي عادة . وكان الباحثون قد أثبتوا ان لاصلة بين الشمس وهذه الاشعة فماذا حدث حتى أثر فيها الاضطراب المجتاح قرص الشمس ؟ ان الكلف الشمسية في رأي الفلكيين اعاصير تنتاب سطح الشمس ، ويكون اتجاه المادة فيها الى الخارج . والغازات المتجهة من قلب الشمس الى خارجها تتمدد فتبرد . وقد يكون الغاز في هذه الفوهة المفتوحة في الشمس أبرد من الغازات التي تحيط بها نحو الف درجة . ولكن ذلك لا يمنع ان يكون غاز الكلفة شديد الحرارة وان تكون حرارته كافية لفصل بروتونات الذرات عن كهيرباتها فتنتطلق البروتونات والكهيرات في الفضاء بقوة عظيمة

وقد يعلو كلف الشمس السنة تتدلع من سطحها الى الفضاء المحيط بها ، وليس بالنادر ان يبلغ ارتفاعها عن سطح الشمس ٢٥٠ الف ميل اي مقدار بعد القمر عن الارض تقريباً . وهذه الاسنة الغازية المتدلعة من الشمس تلتطف مادتها اربوياً وريداً كلما بعدت عن مصدرها حتى تصبح هباء خفيفاً لا يرى . الا ان الذرات واجزاء الذرات المنطلقة من أعاصير الشمس تبقى سائرة في الفضاء بين النجوم وقد تبقى الكلفة ثلاثة اسابيع او أربعة بغير ان تتدلع منها هذه الاسنة النارية وقد تدلع الاسنة ولكنها لا تكون متجهة صوب الارض اذ لا يخفى ان الارض لا تريد على نقطة صغيرة

في الفضاء اذا رصدت من الشمس . وعلى الرغم من صغر الارض بالقياس الى الشمس وبعدها عنها ، بصيها أحياناً رذاذ من هذه التيارات المنطلقة في الفضاء

ان الدقائق المشحونة في هذه التيارات — وهي كهيربات على الغالب — تخضع لنواميس الكهربية والمغناطيسية من حيث الجذب والدفع . ولذلك تراها تتجمع متجهة الى قطبي الارض المغنطيسيين عند اقترابها من الارض . وقد أثبت ملكن من عهد قريب ان تأثير الارض المغنطيسي — او حقل الارض المغنطيسي كما يقال باللغة الانكليزية — يمتد الى ما وراء غلافها الغازي اي جوها ، وعلى بعد ألوف من الاميال عن سطح الارض يؤثر هذا الحقل المغنطيسي في الكهيربات المنطلقة في الفضاء صوب الارض ، فيحرفها الى القطبين المغنطيسيين ، ولا يتمتع الانحراف الاً عن الاشعة الشديدة النفوذ ، ولكن معظم الاشعة الكونية ينحرف كذلك

وعندما تصبح تيارات الكهربية المنطلقة من الشمس على بضعة مئات من الاميال من سطح الارض تبدأ تصطدم في سيرها بدقائق الهواء فينتقل الى هذه الدقائق جانب من طاقة الكهيربات فتصبح هذه الدقائق في حالة « نهيج » فتتحول طاقة الاصطدام فيها الى « تألق » . وهذا التألق هو ما يطلق عليه اسم الشفق القطبي او الانوار القطبية . وفي الوسع الرجوع بشكل هذه الاضواء ولونها الى الكهيربات الواصلة الى جو الارض من الفضاء وتباين طاقتها

وقد عمد العالم الترويجي ستورمر الى تصوير ألوف من هذه الاضواء ثم بين كيف يرجع كل شكل من أشكالها الى طائفة من دقائق ذات طاقة معينة منحرفة في حقل الارض المغنطيسي ولا يخفى ان من القواعد الطبيعية المسلّم بها ان الفعل ورد الفعل متساويان . فاذا انحرفت طائفة كبيرة من الدقائق المسكربة بتأثير حقل الارض المغنطيسي واتجهت في انحرافها صوب القطب فأحدثت الاضواء القطبية الباهرة ، فالطاقة التي أنفقت في حرفها أخذت من حقل الارض المغنطيسي فأصاب هذا الحقل شيء من التغيير . وما كانت هذه الدقائق المسكربة ليست قادمة من جميع الجهات على السواء ، فالتغيير لا يصيب حقل الارض المغنطيسي في جميع جهاته على السواء . فينبه الحقل المغنطيسي من تلقاء نفسه الى المساواة ، وهذا الاتجاه يدون اضطراباً في بوصلة الملاح ولا يخفى ان علماء الطبيعة أثبتوا من عهد فراداي ان سلكاً متحركاً في حقل مغنطيسي مستقر ، يولد فيه تيار كهربي . وان سلكاً مستقراً في حقل مغنطيسي متحرك يولد فيه تيار كهربي كذلك . وكذلك يولد التغيير في حقل الارض المغنطيسي — سعيًا وراء العودة الى الانساق — تيارات كهربية في أسلاك الشمركات البرقية . فاذا بلغت هذه التيارات المؤثرة درجة معينة اضطرب نظام ارسال الاشارات البرقية ألبا اضطراب . وبطلق على الاضطرابات التي تقع في حقل الارض المغنطيسي اسم « عواصف مغنطيسية » والعواصف الكبيرة التي من هذا القبيل

نادرة . ولكنها سواءاً صغيرة كانت أم كبيرة تدل على وصول نيارات من الدقائق المكهربة من الشمس الى الارض

وقد نسأل ما مصير هذه الدقائق ؟ عندما تصطدم هذه الدقائق بدقائق الهواء ينصهر الهواء فتؤثر فيه فوق الطبقة المعروفة بطبقة كنلي هيفيسيد . وهذه الطبقة أشبه ما يكون بدثار كهربائي يحيط بالارض على ارتفاع معين وقوامها ذرات اصابتها الاشعة التي فوق البنفسجي فأبنتها . ولذلك يصيب هذه الطبقة تغيير يومي بين الليل والنهار . ففي اثناء الليل تعود شظايا الذرات المؤينة الى التجمع فتبنى منها ذرات كاملة ثانية . فاذا اتصل بجو الارض تيار من الدقائق المكهربة تعاونت مع الاشعة التي فوق البنفسجي في فعل التأين فيزداد عدد الذرات المؤينة في تلك الطبقة . ومن خصائص الغازات المؤينة انها تعكس الامواج الكهربائية اي امواج الراديو كما لا يخفى . ومن الطبيعي ان يصيب فعل الانعكاس تغييراً اذا أصاب الطبقة العاكسة تغيير في بنائها فلما حدثت « العاصفة المغنطيسية » أخيراً لم يدهش مهندسو الراديو ان يجدوا تلاشياً في أشعة الراديو القصيرة التي تجتاز المحيط الاطلسي فاضطروا ان يغيروا طول الامواج التي يذيعون بها لكي يتمكنوا من الاحتفاظ بالاتصال اللاسلكي . وذلك لانه عندما تتأثر طبقة كنلي هيفيسيد باشعاع الكلف الشمسية تصبح وهي أحسن عكساً لامواج لاسلكية معينة دون غيرها والاشعة الكونية تصل الى الارض من رحاب الفضاء . ولو أنها كانت تصدر من الشمس لكانت اقوى في النهار منها في الليل . ولكن ذلك لا يقع . فالتغير في الاشعة الكونية بين الليل والنهار لا يزيد على خمس واحد في المائة حالة ان التغير في ضوء الشمس يهبط الى صفر تقريباً على جانب الارض المظلم . واذا كان هذا كذلك فلماذا تضعف الاشعة الكونية في اثناء العواصف المغنطيسية ؟ ان الجواب عن ذلك منطوق في طبيعة هذه الاشعة نفسها

ان جانباً من الاشعة الكونية على الاقل دقائق مكهربة . تأتينا من مصادر مجهولة في رحاب الفضاء وطاقتها تتباين من ملايين الى عشرات البلايين من الفولطيات . فدقائق هذه طاقتها فلما يؤثر حقل الارض المغنطيسي في حركتها . ولكنها تنحرف قليلاً فتبدو وهي قرب القطبين اشد مما هي عند خط الاستواء بمقدار عشرة في المائة . فاذا تغير الحقل المغنطيسي الذي يحركها تغيرت شدتها . واذن فالاشعة الكونية التي لا تتأثر بالشمس عادة تتأثر بما تطلقه الكلف الشمسية من دقائق مكهربة تؤثر في حقل الارض المغنطيسي

الآن ان التغير في الاشعة الكونية ليس كبيراً ولم يكن قياسه بالمستطاع الا في العهد الاخير وبعد اتقان اساليب القياس الدقيقة . وقد اعلنت هذه الاساليب اولاً في ٢٥ ابريل ١٩٣٧ م حدثت العاصفة المغنطيسية في يناير ١٩٣٨ فظهر الاثر في الاشعة الكونية كما كان متوقفاً

النهضة العربية

القومية وأثرها الادبي

لـ د. نيسى المقرسى

استاذ الادب العربي بجامعة بيروت الاميركية

﴿ توطئة ﴾ للعرب في تاريخهم القديم ثلاث نهضات بارزة . الاولى دينية مهدها الحجاز وقد بلغت اوجها بظهور الاسلام وانتشاره في قسم كبير من المعمور . والثانية قومية . وليس بالحق فصلها عن الاولى ، على انها تبرز بشكل خاص في العهد الأموي ففيه كان للعرب سلطنة عظيمة الشأن تمتد من حدود الهند الى الاندلس . وكان العرب فيها اهل الادارة والسلطان ، يسوقهم تحاط الدولة والى خزائهم نجي الاموال . واما النهضة الثالثة فعلية لغوية ، وقد بدأت بالنمو منذ ظهور الاسلام وما زالت حتى بلغت عصرها الذهبي في بغداد وبعض الحواضر الاخرى . وبرايتها ما قامت به اللغة العربية يومئذ من نقل العلوم القديمة والتوسع فيها وما عُرِف من ازدهار معارفها وآدابها

ومن المعلوم ان العرب فقدوا بعد الامويين مقامهم السياسي الممتاز في الشرق واخذوا بعد العصر العباسي الاول بالتراجع امام سائر العناصر . ولم يلبثوا في الشرق عقب انحلال الخلافتين العباسية والفاطمية ، ان دخلوا في حكم الدول الاعجمية وآخر هذه الدول السلطنة العثمانية التي يمتد حكمها عليهم من سنة ١٥١٦ م الى نهاية الحرب الكبرى ١٩١٨

ولا زى قبل القرن التاسع عشر ما يشير الى يقظة قومية للعرب ، فقد كانت قوميتهم في سبات عميق . واول من حاول ايقاظها لاغراض سياسية محمد علي الكبير (مؤسس البيت المالك المصري) او قل ابنه ابراهيم باشا ، وكان ينوي انشاء دولة عربية مركزها القاهرة ^(١) لكن مشروعه لم يتم . ولا يظهر ان البلدان العربية التي تؤرخ ادبها الحديث (مصر وسوريا والعراق) تأثرت يومئذ

(١) راجع ما ذكرناه في مستهل الفصل الاول (مقتطف فبراير الماضي) وكذلك تاريخ الحركة القومية لعبد الرحمن الراجحي (طبع ١٩٣٠) ص ٢٣٣ و ٢٦١

تأثراً جدياً بهذا المشروع او سعت لتحقيقه، على ان البذرة وضعت في الارض وترك للزمان إنباتها
بقي الحال كذلك الى الثلث الاخير من القرن التاسع عشر، وكانت مصر قد استقلت
بشؤونها الداخلية عن الدولة العثمانية، والنهضة العلمية قد بدأت في سوريا ولبنان بتنشيط بعض
اعلام الحكماء كراشد باشا ومدحت باشا^(١) واضرابهما، فنهياً من كل ذلك بواعت حركة
ادبية تعبّر عن احلام العرب وخوالجهم القومية. ومن هذا القليل جملة من القصائد والخطب
الوطنية التي كان لها اثر يذكر في تخير الافكار واذكاء الروح القومية وسند ذكر شيئاً منها بعد
ومن ظواهر تلك القضة القومية نشوء جمعيات غايتها المطالبة بحقوق العرب في السلطنة
العثمانية والحض على إنباضهم، كالجمعية التي تأسست سنة ١٨٨١ باسم «جمعية حفظ حقوق الملّة
العربية» وقد نشرت نداء الى العرب من مسلمين ومسيحيين تحت عنوان «بياناه الامة العربية»
تدعوهم فيه الى الاتحاد والمطالبة بالحقوق القومية^(٢) ويبدأ هذا النداء بمخاطبة المسلمين فبلفت
نظرهم الى ظلم تركيا ويختتم ذلك بقوله —

«فأين اتم واين هم؟ من منكم اليوم امير ومن منكم اليوم وزير ومن فيكم اليوم مدير؟ بل
كل واحد منكم فقير، وكبيركم مثل صغيركم حقير، والمال والآمال بأيدي الترك الخ» ثم بلفت
الى المسيحيين فيقول لهم —

«اتحدوا مع المسلمين واستعدوا لنوال حريتكم من المعتدين فان الترك يخشون بأسكم فلا
يمسّونكم ولا ينتهكون حرمتكم خوفاً من القناصل. فاتحدوا بقلب مع اخوانكم المسلمين فان مرجع
مصلحتكم الى واحد»

ويظهر ان بعض ذوي المصالح من الاتراك كانوا يظاهرون العرب، فقد ذكرت جريدة
المشير ان جماعة من شبان العرب والاتراك اجتمعوا في باريس لتأسيس جمعية عربية وغاياتها^(٣)

١ — ان يدافعوا عن حقوق العرب جميعاً مهما تباينت مذاهبهم

٢ — حفظ الامة العربية تحت ظلّ الراية العثمانية في وضع قانون اساسي للخلافة

٣ — ان يساوى بين العرب والترك في كل شيء

٤ — اجراء اصلاحات الواجبة بالطريقة الواقعة (اي بالفعل)

٥ — استقلال كل ولاية من الولايات (العربية) بماليتها وتخصيص ولايتها بوال عربي او معاون
عربي. (وهو كالنظام الامر كزي الذي كان يسعى اليه الاصلاحيون قبيل الحرب الكبرى كما سئى بعد)
ويلوح لنا ان هذه الجمعية هي نفس الجمعية التي يذكرها سيمبونسكو في جريدة الجورنال

(١) راشد باشا كان والياً على سوريا سنة ١٨٦٣ — ٦٨ ومدحت بعده بقليل (٢) جريدة الشجر

٢٩ مايو ١٨٩٥ (٣) المشير ١٩ ديسمبر ١٨٩٦

الفرنسية اذ يقول ^(١) « في العام ١٨٩٥ بدأت حمى الاسلام بالارتفاع عند ما تأسست في باريس عصبة الوطن العربي وكان لهذه العصبة قاعدتان جوهريتان هما التحرر من الاجانب واتحاد البلدان العربية تحت سلطة موحدة وزمنية »

ولعلَّ عصبة الوطن العربي هي الجمعية الوطنية العربية التي يذكرها الاعظمي في كتابه « القضية العربية » ^(٢) وسواء صح ذلك ام لم يصح فالواقع ان العرب اخذوا منذ ايام السلطان عبد العزيز يتجهون الى حقوقهم ويطالب احرارهم بها، وقد تركوا لنا من آثارهم الادبية في العهد السابق لدستور ١٩٠٨ ما لا يترك مجالاً للشك في ذلك

على ان هذا التنبيه لم يبلغ بهم يومئذ مبلغ الرغبة الجدية في الانفصال عن تركيا وجل ما كانوا يطلبونه ان ينالوا حقوقهم في الدولة . وعلى ذلك يقول المقطم سنة ١٨٩٤ بعد ان يذكر النسبة العددية بين العرب والآراك ^(٣) — « ان العرب مظلومون من حيث الادارة والمناصب وان جلالة السلطان لو علم الحقيقة لانصف العرب ونحن لا نشك بحسن نية السلطان ولكننا نشك في ان هذه الحقائق تصل اليه » . وأوضح من هذا القول تصريح خليل غانم ، مبعوث سوريا في المجلس العثماني الاول (ايام مدحت) وأحد مؤسسي جمعية تركيا الفتاة في باريس ، اذ قال ^(٤) — « ولا نطلب انفصال العرب عن الآراك لان ذلك يؤول الى الحراب والاندثار . بل نطلب وتمنى من صميم الفؤاد انضمام الملتين بل ادغامهما الواحدة بالآخرى بحيث تكونان امة واحدة ، ولكن على شرط المساواة في الحقوق والواجبات »

وهذه الروح المسالمة تتجلى في اقوال جمهرة العثمانيين من ابناء العربية . على ان منهم من لم يقف هذا الموقف المسالم بل زراه يتطرف الى درجة الهجوم على الدولة ونعها بشقى النعوت الذميمة . ويغلب ذلك في الصحافة الخارجة عن دائرة النفوذ التركي . او في بعض الاوساط الخاصة المشبعة بروح العدا للادارة الحميدية . واكثره من قبيل الانفعالات النفسية التي كانت تثور في نفوس الشبيبة . وهي عادة عنيفة متطرفة . فلما تنظر في الامور من كل وجهاتها تميز بين الغث والسمين وتعرف الصحيح من الفاسد . ولكنها على كل حال صادقة . وبرغم تطرفها ، ورغم تعسفها رسم لمؤرخ الادب صورة جلية لناحية من نواحي تلك البيئة السياسية

﴿ البوادر القومية الاولى في الادب العربي ﴾ ظهر في اصيل القرن التاسع عشر نخبة من احرار الكنبه والشعراء ، وأكثرهم كما ذكرنا في فصل سابق ، من دعاة الاصلاح العام للدولة العثمانية . على ان الذي يهمننا هنا هو ذلك الادب القومي المتصل مباشرة بالحركة العربية او بالاسباب

(١) عن صوت الاحرار (بيروت) ٣٠ سبتمبر (ايلول) ١٩٣٧ (٢) طبع ١٩٣١ ص ٤٨ (٣) المقطم عدد ١٧٢٨ (٤) المشير ٢٥ يناير (ك ٢) ١٨٩٥ (راجع سيرته في تاريخ الصحافة لطرازي ج ٢)

التهديدية لها . ويلوح لنا من رجاله ثلاثة نرى في نفثاتهم اصدق مثال لتلك الحركة . وهم ابراهيم اليازجي . وعبد الرحمن الكواكبي . وأديب اسحق . فلننظر في كل منهم وفي الدور الذي قام به **﴿ اليازجي ١٨٤٧-١٩٠٦ ﴾** ولقد يعجب البعض لزجنا ابراهيم اليازجي في هذا المقام وهو المعروف بالتنقيب اللغوي والبعد عن تيار السياسة . على ان الذي يطالع شعره في ابان شبابه يرى فيه عربياً شديداً النزعة القومية . ودليلنا على ذلك بعض قصائده التي نظمها (وهو في نحو العشرين او بعدها بقليل) فأحدثت في نفوس الناس هزة لا يزال اثرها الى الآن . ومنها ثلاث قصائد أولاهها قصيدة انشدها سنة ١٨٦٨ في الجمعية السورية ومطلعها ^(١) —

سلامٌ ايها العربُ الكرام
لقد ذكر الزمان لكم عهداً مضتْ
وقدما فلم يضع النمام
ويتقدم الى وصف مجالس العلم وأربابها ثم يعود الى ذكر العرب فيقول مفاخرأ : —
وما العربُ الكرام سوى نصال
لعمرك نحن مصدر كل فضل
وعن آثارنا أخذ الانام
ونحن اولو المآثر من قديم
وإن جحدت ما رنا اللثام
ويأخذ من هنا بتعداد اجداد العرب الأول في العراق والشام والحجاز واليمن والاندلس ويختم ذلك بقوله —

ولسنا القانعين بكل هذا
ولسنا سنجدد للعالي
الى ان يستقيم لنا قوام
والقصيدة الثانية باثية وهي تلهب حماسه ومطلعها ^(٢) —
تذهبوا واستفيقوا ايها العربُ
فقد طمى السيل حتى غاصت الركبُ
واتم بين راحات القنا سلب
تستغضبون فلا يبدو لكم غضب
من دهركم فرصة ضنت بها الحقب
قليلة تم إذ ضمت لها القلب
ثم يشير الى الاتراك فيقول : —
سلاحهم في وجوه القوم مكرهم
وخير جندهم التدليس والكذب

(١) راجع الآداب العربية في القرن التاسع عشر لشيخو ٢ — ٣٧ (٢) راجع نصها في الشب ٢٥ ابريل ١٨٩٦ وفي مجلة الاصلاح (بونس ايرس) ٤ — ٤ وفي القضية العربية للاعظمي ١ — ٤٣ . ولا يذكر المشير اسم ناظمها . وتعزى في سر مملكة ٧٣ الى أحد مشائخ المسلمين . أما سائر المصادر ومنها زيدان في تراجم مشاهير الشرق ٢ — ١١٩ فتتفق على ان صاحبها اليازجي

لا يستقيم لهم عهدٌ اذا عقدوا ولا يصحُّ لهم وعدٌ اذا ضربوا
وتأخذهم الحماسة القومية فيصيح :

بالله يا قومنا هبوا لشأنكم فكم تناديكم الاسفار والخطبُ
ألستم من سطوا في الارض واقتحموا شرقاً وغرباً وعزوا أينما ذهبوا
فما لكم ويحكم أصبحتم هملاً ووجه عزكم بالهون منتقب
لا دولة لكم يشتدُّ أزركم بها ولا ناصرٌ للخطب يُنتدب
أقداركم في عيون الترك نازلة وحققكم بين أيدي الترك مغتصب
وكُلُّها على هذا النمط من اثاره الحفاظ والعصية الجنسية

أما الثالثة فهي السينية المشهورة . قال سليم سر كيس : « ان الذي تولى نشرها في دمشق
جمعة نظمت ايام مدحت باشا . وقد كان لنشرها رنة في البلاد فارسلت التلغرافات الى الاسكندرية
وازداد عدد البوليس السري والقت الحكومة القبض على كثيرين » ^(١) . ولما كانت قد نشرت
كاخها البائية غفلاً من التوقيع فقد اختلف في ناظمها على ان أكثر المصادر تعزوها الى اليازجي
وهي قصيدة طويلة قد زيد على الستين بيتاً وهاك بعضها ^(٢)

دع مجلس القيد الاوانس وهو لواحظها النواعس
ومنها أي النعيم لمن يبيت على بساط الذل جالس
ولمن رام بائساً أبداً لذيل الترك « بائس »
ولمن أزمته بكف عداه يُظلم وهو آيس
ولمن تباع حقوقه ودماءه بيع الحسائس
ولمن يرى أوطانه خرباً كاطلال دوارس
وهنا يقف الشاعر على طول البلاد ويعدد ايجادها الفارة ثم يقول : —
فالترك قوم لا يفوز لديهم الا المشاكس
أولستم العرب الكرام ومن هم الشم المعاطس
فاستوقدوا لقتالهم ناراً تروّع كل قابس

ويدعو العرب الى الاتحاد مندداً بالشقاق والتعصب الديني ومثريه في نفوس العامة ثم يقول :

ساد الفساد بهم فساد الترك فيه بلا معاكس
كم تأملون صلاحهم ولهم فساد الطبع مائس
ويفرم برق المنى جهلاً وليل اليأس دامس

عمّت قبائحهم فأضحت لا تحيق بها الفهارس
حالٌ بها طاب التيسم للوغي والموت عابس
وحلا بها سفك الدماء فسفكها للجور حابس

ولم تكن هذه النفقات الشعرية نسيج وحدها في تلك العهود بل ظهر مثلها كثير في البلاد
العثمانية والمهاجر. وكلها تم على تخمير قومي أحدثته الاحوال الجديدة في نفوس الشبيبة
لذلك العهد

﴿ عبد الرحمن الكواكبي ١٨٤٩ — ١٩٠٢ ﴾ كان هذا الاديب الحلبي اصلاحياً حراً.
وقد اوصلته نزعة الحرية الى السجن. ثم الى هجرة تركيا والطواف في افريقيا وبلاد العرب
والهند^(١). وله كتابان معروفان هما « طبائع الاستبداد » و « أم القرى » والاول دعوة جريئة
الى الحرية والتخلص من قيود العادات الاجتماعية المضرة. اما الثاني، وهو الذي بهمننا هنا،
فن العوامل الفعالة في ايقاظ الشعور القومي بين العرب، اذ هو يدعو الى خلافة عربية مركزها
الجزيرة العربية^(٢) ويسرد لذلك اسباباً كثيرة نذكر منها ما يلي^(٣) —

(١) عرب الجزيرة هم مؤسسو الجامعة الاسلامية لظهور الدين فيها
(٢) عرب الجزيرة اقوى المسلمين عصبية وأشدهم أنفة لما فيهم من الخصائص البدوية
(٣) لغتهم اغنى لغات المسلمين في المعارف ومصونة بالقرآن الكريم من ان يموت وهي
اللغة العمومية بين كافة المسلمين

(٤) والعرب أعرف الامم في أصول الشورى وفي الشؤون العمومية
وليس من شأننا في هذا المقام ان نشرح نظرياته اثباتاً او تجريحاً وانما نحن نعرضها تدليلاً على
ما كان يخرج في بعض النفوس يومئذٍ واشارة الى تلك الحوافز القومية التي تركت أثرها في الادب العربي
وقد اجمع العلماء والادباء على وصفه بمكارم الاخلاق والشفقة بالحرية والاصلاح والجرأة
على الجهر بما يراه مفيداً لبلاده. وذهب بعضهم الى نقد عتقه ومرارة لهجته قال الطباخ^(١)
« ولعل غليان دم الشباب في فؤاده وقتئذٍ، وتلك النفس المفطورة على الايذاء المتعشفة منذ
الطفولية لمحسن الاصلاح المتطلعة اليه تطلع الاسد الى فريسته هي التي أهابت به ان يطلق
لجواد قلعه العنان في هذا الميدان، وحال حبسه الشديد لوطانه وشفقة العظيم بانتظام احوال
بلاده بينه وبين التطلع الى امامه، والالتفات الى ما كان حوله فكبا يراعه، ولشكل جواد كوة
وكان ما كان، والامور مرهونة بأوقاتها »

وكيفما كان الامر فان الكواكبي كما قال المقتطف^(٥) « من كبار رجال النهضة الحديثة

(١) راجع سيرته في الجزء الاول من تراجم مشاهير الشرق لزيدان — وفي اعلام النبلاء للطباخ ج ٧. وبمجلتي
المقتطف والمنار (سنة ١٩٠٢) (٢) ام القرى ١٧٢ (٣) ام القرى ١٦٠ (٤) اعلام النبلاء
(حلب ١٩٢٦) ٧ ص ٥٢٤ (٥) مج ٢٧ — ٢٤٤

في هذه الديار إلا أن المحيط لم يساعده والاحل لم يمهله حتى يتم مقاصده السياسية والدينية .
على أن النعمة التي ضرب عليها قد استمت بعض الناس . ولو لم يهبط مصر لكان دفن مع من دفن
في تلك البلاد (اي العثمانية) ولم يُعرف عقله ولا فضله »

فالكواكبي ، كما يتبين لنا من اقواله واعماله ومن آراء اهل الثقافة فيه ، عامل قوي من
تلك العوامل التي حرّكت نفوس الناطقين بالعربية ووجّهت انظارهم الى اصلاح حياتهم القومية
وتعزيز منزلتهم السياسية

﴿ اديب اسحق ١٨٥٦ — ١٨٨٥ ﴾ ولم يكن اديب من المناوئين للعثمانية ، وليس في اديه
ما يشتم منه روح الثورة على نظامهم السياسي . على ان فيه تلك الجرائم القومية الخمسة التي
تقلب على ادب الاحرار لذلك العهد . واذا كان لا يهاجم الحكومة العثمانية كاليانجي والكواكبي
فهو يجارهما في الدعوة للقومية العربية والكرامة الوطنية . والذي يبرز في اديه دأبه على تحريك
الروح الشرقية وتعزيزها . فهو يناضل عنها في مصر وسوريا ، وهو في طليعة المناصرين للاحزاب الوطنية
الرافعين للواء الحرية . ومن الطبيعي ان يكون في رسالته الشرقية ما يهيب بمواطنيه الى احترام
انفسهم باحترام لغتهم وتاريخهم . ومن أمثلة ذلك قوله من خطاب مشهور موضوعه دولة العرب (١)
« شعله سرت من الحجاز فأناثرت الشام والعراقين ومصر والمغرب والهند واتصلت
بأطراف الفرنجة فملاها نورا ونارا . فهي بنورها تستضيء ومن نارها تقبّس » وبعد ان يذكر
فتوح العرب يقول على طريقته الخطابية : —

« فسارت اسود رجالها على طيور خيولها تطوي الصحارى وتقطع الفدافد ، حتى نظحت
برؤي عزما شرفات الايوان ، ونسرت من الشرق نسر الرومان ، ونشرت على مصر اعلامها
وضربت في الاندلس خيامها »

ويأخذ من هنا بمقابلة العرب الأوّل بعرب اليوم مهيأ بهؤلاء الى الاتحاد ، داعياً ايّاهم
الى تلافى حالهم قبل فوات الاوان . ويقترح لهذه الغاية اجتماعاً عربياً يتدأكرون فيه شؤونهم
وبطالون بحقوقهم . وكأنّه شعر بتشاؤم البعض او حذرهم من مثل هذا الاجتماع فقال منشطاً
ومثيراً للهمم

« أنحسبون ذلك الصوت لا يكون له من صدى ، أم يحسبون أن يذهب ذلك الاجتماع
سدى . أو لا يعلمون ان مثل هذا الاجتماع منزهاً عن المقاصد الدينية ، منحصرّاً في العصبية
الجنسية والوطنية ، مؤلفاً من اكثر النسل العربية ، يززل الدنيا اضطراباً ويستميل الدول
جذباً وارهاباً ، فتعود للعرب الضالة التي ينشدون والحقوق التي يطلبون »

وليس هذا الكلام اول ما اذاه من الرسالة العربية وآخره بل في تضاعيف اقواله كثير مما يوقظ النفوس ويشير النخوة القومية

ومن الخطأ ان نحصر هذا العمل التخيري في اولئك الثلاثة فقد كان مثلهم كثيرون، كالشيخ يوسف النبهاني، ونجيب العازوري اللبناني، وقد اصدر هذا الاخير سنة ١٩٠٥ كتاباً سماه يقظة الامة العربية استحدث فيه العرب على استرداد حقوقهم المهضومة ^(١) وكالشاعر المشهور الشيخ نجيب الحداد وهو القائل من قصيدة ^(٢) —

ان الاوان لان اخاطر بالدم من لم يخاطر بالدم لم يسلم
أجزيرة العرب التي احببتها كم من اكفٍ قد رمتك بأسمهم
لعبت أكف الترك فيك فغادروا في كل قطر فيك نهراً من دم
قتلوا رجالك واستذلوا من بقي فبقيت صرعى للدين وللهم
وغدا العراق مع الحجاز غنيمة وبلاد نجد سيئة المتقسم
فلينفذ الله العلي جنوده وليحفظ العرب التي لم تأثم

وقد ادرك هذه الطبقة طبقة متأخرة كان لها يد كبيرة في ايقاظ الروح القومية وسبرد ذكرهم في غير هذا المقام

بمثل هؤلاء الرواد القوميين من كتبة وشعراء اخذت النفسية العربية تستيقظ من سباتها العميق. فلم يكد فجر القرن العشرين ينبثق حتى كانت العاطفة القومية قد اخذت تحرك القلوب والاقلام. وكان لها في الادب اتجاهات ظاهرة اظهرها تلك المفارقة بالاجاد السالفة. وتلك الغيرة الملتبها على اللغة الوطنية والتشكي من اهلها. كقصيدة حافظ ابراهيم « رجعت لنفسي فاتهم حصاني ». ومنها ما جاء على لسان اللغة شاكية مما ألم بها —

انا البحر في احشائه الدر كامن فهل ساءلوا الغواص عن صدفاني
ارى لرجال الغرب عزاً ومنعةً وكم عزاً اقوام بعز لغات
سقى الله في بطن الجزيرة اعظماً بعز عليها ان تلين قناني
حفظن ودادي في البلى وحفظتهُ لهن بقلب دائم الحسرات
وفاخرت اهل الغرب والشرق مطرق حياءً بتلك الاعظم النخرات
ارى كل يوم بالجرائد مزلقاً من القبر يدنيني بغير اناة

(١) القضية العربية للاعظمي ١ — ٤٨ (٢) اوردها الاعظمي في كتابه ١ — ٤٣ ولم نجد لها في ديوانه ولعلها من جملة ما كان ضائعاً من آثاره يوم نشر الديوان

يهجرني قومي عفا الله عنهم الى لغة لم تتصل برواة
سرت لوثة الاعجام فيها كما سرى لعب الافاعي في مسيل فرات
والقصيدة كلها على هذا المنوال من تعظيم العربية وذمّ المعرضين عنها الراغبين في
اللغات الافرنجية (١)

ومثلها قصيدة لمصطفى صادق الرافعي موضوعها اللغة العربية والشرق وفيها يقول
أمّ يكيد لها من نسلها العقبُ ولا نقيصة الا ما جنى الذسبُ
كانت لهم سبباً في كل مكرمة وهم لنكبتها من دهرها سببُ
ومنها في تقلب الايام على هذه اللغة :

أتى عليها طوال الدهر ناصعة كطلعة الشمس لم تعلق بها الرّيبُ
ثم استفاضت دياجٍ في جوانبها كالبدر قد طمست من نوره السحبُ
ثم استضاءت فقالوا الفجر يعقبهُ صبحٌ فكان ولكن فجرها كذبُ
ثم اختفت وعلينا الشمس شاهدةً كانها لغنة في الجو تلتهبُ
كان الزمان لنا واللّسن جامعة فقد غدونا له والامر ينقلبُ
ثم يلتفت الى طلاب الادب الاجني فيقول مؤنباً

اترك الغرب يلهونا بزخرفه ومشرق الشمس يبيكننا ويستحبُ
وعندنا نهرٌ عذبٌ لشاربه فكيف نتركه في البحر ينسربُ
فهو نصيب ما ابقى الزمان لنا وننفض الكف لا بمجد ولا حسبُ
لنا اذن سبةٌ في الشرق فاضحة والشرق منا وان كنا به خربُ

ويختم القصيدة بنشوة فخر فيقول

اذا اللغات ازدهت يوماً فقد ضمنت للعرب اي فخار بينها الكسبُ
وفي المعادن ما تمضي برونقه يد الصّدا غير ان لا يصد الذهبُ

وامثال هاتين القصيدتين كثيرة في الادب العربي ومصدرها كما ذكرنا غير لغوية نشأت
على أثر اليقظة القومية في النصف الاخير من القرن الماضي ولا تزال الى الآن . ويقترن بالغيرة
على اللغة ما نظم في ابطال العرب الاقدمين ووقائعهم احياء لسالف المجد وانهاضاً لمآثي المهمل .
كقول الرصافي من قصيدة مقابلاً بين العرب اليوم والعرب قديماً
لهفي على العرب امست من جمودهم حتى الجمادات تشكو وهي في ضجر

اين الجحاحج ممن يتمون الى ذؤابة الشرف الوضاح من مُضر
 قومهم الشمس كانوا والورى قمر ولا كرامة لولا الشمس والقمر
 راحوا وقد أعقبوا من بعدهم عقباً ناموا عن الامر تفويضاً الى القدر
 وقد اتصت هذه الروح بالجمعيات الادبية في المعاهد العلمية وخارجها فالتهمت بها نفوس
 الناشئة وأخذوا في بدء القرن الحالي يتغنون بالاناشيد الحماسية . وهالك مثالا منها نظم ١٩٠٦ في
 بيروت لاحدى الجمعيات العربية : —

لغة العرب اذكرينا واذكري ما فات
 كيف ننساك وفيما نفحة الحياة

يا بني الشام ومصر وبني العراق
 هل نسيتم ذكر عصر طبّق الآفاق

كنتم فيما تمضى بهجة الازمان
 فلماذا اليوم رضى حالة الهوان

ولشيوع هذه الغيرة اللغوية والتاريخية واتقادها في الادب يومئذ اسباب شتى منها —
 (١) اطراد الانتظام السياسي بمصر وظهورها بمظهر دولة عربية متقدمة (٢) اطراد التقدم
 العلمي والصحافي في الاقطار السورية والعراقية (٣) ان الاتراك برغم تشديدكم التكبر على طلاب
 الاصلاح كانوا لا يزالون يعتبرون العربية لغة الدين والثقافة الشرقية القديمة ويعدون انفسهم من
 حماة ومناصريها فلم يظهر منهم في ذلك العهد ما يرغب المتحمسين لها او يثبط عزائمهم
 على ان من الانصاف التاريخي ان نعيد هنا القول ان هذا العمل التخيري الذي سرى في
 الاوساط الادبية قبل ١٩٠٨ لم يبلغ درجة النضج . ولم يصل الى نفوس السواد من الامة .
 فكانت العواطف العمومية لا تزال غير منظمة . وكان الادب العربي بين هذه الروح القوية
 الآخذة في الاستيقاظ ، وما ألفه من الجامعة العثمانية المرتبطة بالخلافة ، حيران لا يدري كيف يسير .
 فهو من جهة قومي ومن جهة عثماني — تارة يتغنى باجناد العرب ، وطوراً يتغنى باجناد العرش
 العثماني . وما زال في هذا الموقف الغريب حتى فوجيء بالدستور فذهبت حيرته ومررت عليه مدة
 كانت العثمانية الحرة فيها غاية المنشودة (١)

(١) وقد بسطنا ذلك في كلامنا على « الشعلة الدستورية »

جسم الانسان

بين الحرارة والبرد

(١)
لماذا نعرق

كل من يعلم ان جسم الانسان دافئ ، والغالب ان كل من يكره ان يصابح راحة كف باردة رطبة ، ويحاول ان يتغلب على كرهه هذا بقوله ان صاحب « اليد الباردة دافئ القلب » على حد المثل الفرنسي السائر . كذلك اذا وضعنا يدا على عنق بقرة او جواد ، او اخذنا فيها صفوراً حياً ، أحسنا بدفء البقرة والجواد والعصفور ، إحساساً هو في نظرنا مرادف للحياة نفسها . ولكن من الحيوانات ما ليس دافئاً . فكل البزل مثلاً لا تزيد حرارته على ٣٠ درجة مئوية ، اي انها تقل سبع درجات عن حرارة اجسامنا نحن ، ولكن اذا اخذنا الى غرفة دافئة ارتفعت حرارته بسرعة ، حالة ان الانسان ، تبقى حرارته ، اذا بقي سليماً من المرض حوالي ٣٧ درجة مئوية سواء كان في غرفة على جانب من الدفء او على جانب من البرد . فما هي هذه الحرارة في جسم الانسان ؟ وما معناها ؟ ان الحرارة في الحيوانات العليا ، بينها تفاعلات الاحتراق التي تتم في الجسم ، باتحاد ما نأخذه من مواد الغذاء ، بعنصر الاكسجين الذي تنفسه عن طريق الرئتين . ومواد الغذاء ترجع في اصلها الى النبات ، والنبات يخزن في خلاياه ، طاقة الشمس ، بأسلوب عجيب ، سنفسره لكم في حديث قادم . واذن فحرارة الجسم ، سببها ، اطلاق طاقة الشمس المخزونة في الطعام . وليس في وسع اي جسم حي ان يخلق طاقة ، وانما يستطيع ان يحولها من شكل الى شكل . ففي هذه الحالة ، كانت الطاقة كامنة في الطعام ، فحولها الى حرارة ، بالتفاعل الكيميائي

وفائدة الحرارة في جسم الحيوان ، مزدوجة . فهي تساعد على ان تكون افعال الجسم وتفاعلاته الكيميائية سريعة . وثانياً على ان تكون منتظمة . ولذلك نرى الحيوانات المعروفة

(١) من احاديث العلوم المبسطة التي يديرها رئيس تحرير المقتطف من محطة الاذاعة الحكومية

بالحيوانات الدافئة الدم كالطيور والفقرات ، في مكانة أعلى ومقام أسمى في عالم الحياة من الحيوانات المعروفة بالحيوانات الباردة الدم ، كالزواحف والاسماك وغيرها

فالقسم الاول من الحيوانات يوصف بأنه دافئ الدم ، اي ان جسمه يبقى على حرارة واحدة . فاذا وضع الانسان في مكان بارد ، أبرد من جسمه ، وأخذ يبرد بفقد حرارته وتشعشعها الى المحيط البارد الذي يحيط به ، يتنبه الدماغ ، فيحفز العضلات الى زيادة التفاعل فيزيد ما تولده من الحرارة ، والى أوعية الدم فتقبض ، حرصاً على حرارة الدم من ان تشع منها الى الخارج . أما اذا كان الانسان او أي حيوان فقري آخر غير الانسان في محيط حار ، فاذا يفعل حتى لا ترتفع حرارته عن المتوسط السوي ؟ انه يخلد الى السكون ، لكي لا تكون الحركة ، باعثاً على زيادة الحرارة بزيادة التفاعل في الجسم ، او يعمد الى تصبب العرق من جسمه ، والعرق عند تبخره يخفض حرارة الجسم ، او يزيد حركة تنفسه كما يفعل الكلب في يوم حار فيزيد ما يقذفه من الحرارة الى الخارج بزيادة الهواء الذي يزفره من الرئتين هذه الوسائل ، تحفظ جسم الحيوان الدافئ الدم ، على متوسط واحد ، اذا كان الحيوان سليماً من المرض . واذن فلاءمته لمحيطه أتم من ملائمة الحيوانات التي لا تستطيع كل هذا وهو لذلك أوفى منها عدة في نزاع الحياة

ولكننا اذا أخذنا فرخاً من الطير ، ووضعناه في مكان بارد ، رأينا ان حرارة جسمه تأخذ في الهبوط رويداً رويداً حتى يموت برداً ، أخيراً ، ذلك لان الاجهزة التي تمكن جسم الطائر من الملاءمة بين حرارة الجسم ، وحرارة المحيط ، لم يتم نموها بعد فيه ، فيروح ضحية هذا النقص

ومن الحيوانات الفقرية ، حيوانات لم يتم في جسمها نشوء هذه الاساليب ، التي تمكنها من مغالبة حرارة البيئة او بردها ، والاحتفاظ بحرارة الجسم على مستوى واحد ، فتعتمد في أيام البرد ، الى ما يعرف باسم «التشبية» او «الاستكنان» اي انها تبحث عن مكان تقارب حرارته حرارة جسمها ، وتقبع فيه ، متمتعة عن كل حركة ، لكي تحفظ بحرارة جسمها ، ما أمكنها الى ذلك سبيلاً

فقلها في هذه الاحوال ينبض نبضاً ضعيفاً ، والدم يجري في عروقها جرياناً بطيئاً ، ثم انها في خلال ذلك لا تأكل ولا تتبرز ، والتنفس يكاد يقف ، وما خزن في جسمها من الشحم يستنفد قليلاً قليلاً ، وكل ذلك ، لانها لا تستطيع ان تولد من الحرارة في جسمها ، الا جانباً مما تخسره لو تعرضت لبرد يئسها ، فتتكفي من الكفاح ، الى القيلولة والصبر والاستكنان

وهذه الحيوانات التي تشي أو تستكن على المنوال المتقدم ، او « تمام نوم الشتاء » كما يصفونها في اللغات الفرنجية ، تختلف من حيث ثقل نومها فالقنفذ النائم هذا النوم الشتوي ، قد تغطسه مدة عشرين دقيقة في الماء ، او تعرضه لفازات تكاد تكون خانقة من دون ان يستيقظ . فكأنه والميت سواء ، ولكنه ليس بميت ، وإنما جميع الافعال الحيوية في جسمه قد بطؤت بطأً عظيماً

يقابل هذا من حيث ثقل النوم وحفته حيوان يعرف باسم الزغبة Dormouse وهو من الفواض كالفأر يقيم في الشجر ويبنى عشاً يستكن فيه في الشتاء . فنوم الزغبة الشتوي خفيف جداً ، ومثلها الخفافيش فانها تستيقظ ، اذا تحلّل أيام البرد والمطر يوم صحو دافئ . وعندما تستيقظ الحيوانات التي من هذا القبيل ، اي الحيوانات التي تستكن في الشتاء ، ترتد إليها حرارة جسمها كاملة ، وقد ذكر الدكتور ميري ان زغبة مستكنة ، او مشتية ، نستطيع عند استيقاظها ان ترفع حرارة جسمها ١٩ درجة في ٤٢ دقيقة

هنا قد يخطر لبعضكم ان يسألني لو استطاع ، لماذا يشي القنفذ ، ولكن الخلد ، وهو الحيوان الذي يحفر اتفاقاً في الارض لا يشي اي لا يستكن ولا يمتنع عن الحركة ، في فصل البرد . وتفسير ذلك ان الخلد ، وهو حافر الاتفاق في بطن الارض يستطيع ان يجد الخراطين ، أي ديدان الارض ، على عمق كاف بعيد عن طبقة الارض المجلدة حتى في منتصف فصل الشتاء فيأكلها فتجهز بالمادة اللازمة لتوليد الطاقة . واذا سألتموني لماذا تستكن الخفافيش ولكن الطيور لا تستكن قلت لكم ان الطيور التي لا تستطيع ان تحتل برد منطقة ما ، فتقطع او تهجر اي تنتقل من بلاد باردة الى بلاد دافئة وهي الطيور القواطع ، وفي كل سنة تمر طوائف كثيرة منها بالبلاد المصرية . واذا سألتموني ، لماذا يستكن اليربوع ، وهو فأر طويل الرجلين قصير اليدين وله ذنب كذنب الجرذ ، ولكن القرقدان لا يستكن قلت لكم ، ان القرقدان يستطيع ان يخزن الطعام ، فيأكله في الشتاء ويهضمه وهذا الطعام يجهز جسمه بالحرارة اللازمة له واذا فني وسعنا ان نقول ان الحيوانات التي لا تستكن في الشتاء مجهزة بوسائل تمكنها من الاحتفاظ بحرارة أجسامها في فصل الشتاء البارد

على أن حرارة الجسم ناحية أخرى . فقد حكم على الانسان على ما جاء في التوراة « بعرق جبينك تأكل خبزك » . فما هو العرق ؟ ولماذا نعرق ؟

تعلمون ان على سطح الجلد مسام كثيرة . وهذه المسام ، هي في الواقع نهاية غدد صغيرة في الجلد ، هي عبارة عن أنابيب لولبية او حلزونية تأخذ من الدم الذي يجري حوالها الماء وبعض الاملاح ، وتفرزها من هذه المسام التي على سطح الجلد . ويقول علماء التشريح والفسيولوجية ، أن كل بوصة مربعة من سطح الجلد ، تحتوي على نحو ثلاثة آلاف من هذه المسام فإذا كان الجو معتدلاً والهواء على جانب وافر من الجفاف تبخر العرق بسرعة . ولكن اذا كان الجو شديد الحرارة ، شديد الرطوبة ، صعب على العرق ان يتبخر بالسرعة التي يفرز بها ، فتتكون منه قطرات كبيرة على الجبهة مثلاً تسقط على الوجه كما تسقط الدموع المنهمرة . ففي مثل هذه الحالة قد تغطي البشرة (الجلد) بقطيرات من العرق ، حيث لا تمتصها الملابس وتصبح راحتا الكفين ، وهما غالباً على جانب من الجفاف في معظم الناس رطبتين

ومعظم العرق ماء . اذ لا يخفى عليكم ان الجانب الاكبر من المادة الحية مائلاً ، بل ان الماء يبلغ في بعض الانساج والخلايا تسعين في المائة من المواد التي تتكون منها او اكثر . فالماء الذي يخرج في العرق يؤخذ من الدم ، والدم يمتصه من اعضاء الهضم وسائر انساج الجسم . ويقال ان مقدار ما يفرز في يوم معتدل الحرارة والرطوبة ، قد يبلغ ثلاث كوبات من العرق ، ولذلك يمكن ان يقال ان من وظائف العرق مساعدة دورة الماء في داخل الجسم ومع ماء العرق تخرج مواد اخرى ، مقادير بسيرة من الاحماض الدهنية الطيارة ، والزلال والاملاح غير العضوية ، وغيرها من نفايا الجسم . ومن المعروف ان بعض ما نأكله ونشربه تظهر آثاره في العرق الذي نفرزه . ولذلك قيل ان من وظائف العرق ترشيح بعض المواد التي يتناولها الجسم ، فيخرج به او يفرز به ما لا حاجة به اليه . ولكن اذا صح هذا ، بعض الشيء ، فانه لا يكفي للجواب عن السؤال الذي وجهناه ، وهو لماذا نعرق؟

ان الجواب عن هذا السؤال لا يفهم على صحته ، الا اذا لاحظنا زيادة العرق في الجو الحار او عند العمل الشاق . فالعامل الذي يعمل امام الموقد في المصانع او السفن ، يفرز نحو ثلاث كوبات ونصف كوبة من العرق في ثلاثة ارباع الساعة . ونحو خمس كوبات من العرق في ساعة وعشر دقائق . وهذا المقدار لا يكاد يصدق لولا ما نعلمه عن عدد غدد العرق اللولبية الصغيرة التي وصفناها

فقد قال الفسيولوجي الدكتور رونلد كميل ماكفي ان عددها على سطح جسم الانسان

يبلغ مليونين ونصف مليون غدة . ولما كانت كل غدة انبوباً حلزونيّاً ، فان طول هذه الانابيب اذا وضعت طرفاً الى طرف يبلغ من ٢٠ ميلاً الى ٣٠ ميلاً فتأملوا

ففي الجو الحار ، وفي خلال العمل الشاق ، يتعرض الجسم لخطر كبير وهو زيادة متوسط حرارته عن المتوسط الطبيعي اي ٣٧ درجة بمقياس سنتغراد

فلكي لا يزيد هذا المتوسط ، ويبقى الجسم على حالته الطبيعية من حيث الحرارة — وقد بينت لكم في ما تقدّم فائدة بقاء حرارة الجسم على مستوى واحد في تنازع البقاء — جهّزته الطبيعة بوسيلة العرق لحفض الحرارة الناشئة عن الجو الحار والعمل الشاق . ذلك ان العرق عندما يفرز يميل الى التبخر ، وفي تبخره يحتاج الى حرارة ، فيأخذها من الجسم فتبهط حرارة الجسم الى متوسطها الطبيعي

فتسبب العرق من الجسم ، هو اسلوب من اساليب الطبيعة لانقاذ الجسم الحي من تأثير ارتفاع الحرارة فيه

ولكن احدهم قد يسأل لماذا لا تعرق الطيور ، وهي من الحيوانات الدافئة الدم . او لماذا لا تعرق الكلاب الا قليلاً جداً ، وهي من الحيوانات الدافئة الدم كذلك . والجواب عن ذلك ان للطبيعة وسائل اخرى لتبريد الجسم الحار . فالطير تطلب ظل الشجر وهذا يساعدها قليلاً وأوعيتها الدموية تتمدد فيتعرض مقدار كبير من دمها لفقد جانب من حرارته . ثم ان لها اكياساً من الهواء متصلة برئتي الطائر . فعندما يدور الدم في اوعية الرئتين يبرد باتصاله بهواء هذه الاكياس . اما الكلب ، فجميعنا يعلم انه يربض في يوم حار على ارض باردة وهو يلث . والثلث ، يعني زيادة التنفس . اي زيادة مقدار الدم الجاري في عروق الرئتين . أي زيادة مقدار الدم المتصل بالهواء الذي في الرئتين ، وبذلك تخفف حرارة جسمه . ثم إن لسان الكلب المندلع من بين شقيه في يوم حار ، يمكنه من تبخير اللعاب الذي تفرزه غدد اللعاب في فيه ، وهذا يمكنه من تبريد الدم الجاري في اللسان وحواليه ويساعد الرئتين في عملهما على تبريد الدم الجاري في أوعيتها

واذن فالرد على السؤال الذي سألناه وهو لماذا تعرق ، هو هذا : انما نعرق ، لانتباهنا الاسلوب تمكنتها الطبيعة من التغلب على ميل الجسم الى ارتفاع حرارته في الجو الحار او العمل الشاق ، عن المتوسط الطبيعي الذي يصلح له . وهذا الاسلوب ، على بساطته بعد فهمه ، من العجائب في دقته وحسن نظامه . ويأم في الطبيعة والمخلوقات الحية من البدائع والعجائب ا

العامية والفصحى

عود الى الموضوع

بقلم انيس فريجة

دكتور فلسفة في اللغات السامية

عهد الي مرة ان اساهم في وضع كتاب في اسماء الكتب والمقالات والتقارير التي كتبت بعد الحرب العظمى في العلوم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية عن الشرق الادنى العربي^(١). وكان نصيبي ان ادون المصادر العربية . وشدد ما كان عجبى لكثرة ما كتب في موضوع « العامية والفصحى » في الجرائد والمجلات . وكنت اقرأ الردود بانتباه خاص لاقف على وجهة نظر المحافظين ، وشعرت اذ ذاك ان المحافظين سيجنون المعركة لتذرهم بمنطق — مع انه كان ناقصاً — كان يثير في الناس حماسة . سكنت المجلات والجرائد وخفت الصوت وخيل للناس ان الموضوع قد اصبح في سلة المهملات . ولكني كنت ابدأ على يقين من ان القضية ستبعث بعد حين ولا سيما بعد ان يشعر الناس بالاستقرار السياسي وبعد ان يصبح التهذيب والمصالح الاقتصادية من جملة الروابط القوية التي تربط اجزاء العالم العربي . لان الفارء المتبع لتطور النهضة العربية يسلم معي بان القائمين على تغذية الحركة كانوا ولا يزالون يقولون بان الروابط المقدسة التي تربطنا هي اللغة والدين ، فيجب ان لا نمسها ولذا قضي على البحث قبل ان يسفر عن رأي ناضج ولكني سررت اذ تحقق يقيني وأثير الموضوع ثانية . وسروري مضاعف — شأن كثيرين من امثالي — لان الذي اثار الموضوع رجل ذو مكانة سياسية ادبية سامية ولان مساعيه ستكون مثمرة ان شاء الله ، هذا اذا اعدت الصحافة التربة لنمو البذرة . نعم ان الموضوع الآن يدور حول اصلاح الخط العربي وتسهيل القواعد واعداد كتب مدرسية مفيدة ، ولكنني ارى ان للموضوع هذا صلة بمشكلة اعظم واهم ألا وهي مشكلة وجود لغتين لغة البيت والسوق ولغة الكتب ، وانا ارى في اثاره الموضوع بادرة جديدة سوف يرى الباحثون انقسم معها منهيكين

(١) واسم الكتاب بالضبط « مراجع ما نشر بعد الحرب العظمى عن بلدان الانتداب في الشرق الادنى » مطبوعات الجامعة الاميركية في بيروت

بدرس المسألة من جذورها . والذي يودّ أن يقف على ما قيل للآن في الموضوع ، والذي يريد أن يقف على وجهة نظر بعض المفكرين ، يستطيع أن يُسلم بفكرة عامة اذا طالع عدد ابريل لجلة الترية الحديثة التي يصدرها الدكتور امير بقطر في الجامعة الاميركية في القاهرة

وحيث ان الموضوع قد بعث مرة اخرى فعندي ان البحث يجب ان لا ينحصر في فئة من الناس بل يجب ان تسمع اصوات صغار الناس وصغار المعلمين فهؤلاء لديهم كنوز من الاختبارات التي اُمتلأ عليها الحياة وهم بصعوبة اللغة وتعليمها ادري لانهم ان تكلموا فانما يتكلمون عن خبرة وبِقين . وها انا اجروا واصرح رأي طالما درسته ورددته في خلواني وترددت كثيراً في نشره أما الآن فلي من رحابة صدر المجتمع مشجع ولي في اثارة الموضوع مسوِّغ

وقبل الامعان في الموضوع اقول انني من جملة الذين يقولون بأنه ان كان هنالك من مشكلات في تعليم العربية وتعليمها فانها جميعها تُحَلُّ من تلقاء ذاتها اذا كانت برامجنا التعليمية تسعى للاحلال الفصحى محل العامية وهذا لا يتوفر الا اذا (اولاً) قضينا قضاء مبرماً على الكتب القديمة البالية — رغم ان بعضها طبع سنة ١٩٣٨ — التي نستعين بها على تعليم اللغة ، واستعنا بعلماء علم النفس الحديث وبعلماء الترية الاختصاصيين لوضع اساليب عصرية تتعشى وروح العلم (وثانياً) — وهنا يخالفني الكثير — اذا خففنا من حدة الفصحى وتصلبها ، والافضل ان يقال من نصلب القائمين على امرها لان العربية مشهورة بالمرونة والاشتقاق واتباع القياس . ويوم نوفق الى هذا نجد ان ليس هنالك مشكلة خط او مشكلة قواعد او مشكلة اساليب في التعليم

﴿ حقيقة اللغة ﴾ هل اللغة من صنع الالهة ام نتيجة تطور العقل والفكر ! قد يقول قائل ولماذا نسأل هذا السؤال في القرن العشرين وقد كان هذا من مباحث القدماء ؟ المؤسف انه لا يزال بين ظهرانينا من يعتقد ان اللغة ملهمة منزلة فهؤلاء يخضعون العقل لاساليب اللغة لا كما فعل الذين يرون في اللغة عبدة للعقل والفكر ، فان هؤلاء يخضعون اللغة للعقل . عند ما نبهت اللغة يجب ان نبتعد عن فكرة قدسيته بمعنى انها لغة الالهة

وهناك حقيقة اخرى ننساها أو نتناساها عند بحثنا اللغة . ذلك ان حقيقة اللغة هي النطق اعني ان اللغة هي المحكية لا المكتوبة . لان الكلمة المكتوبة ليست سوى هيكل عظمي ميت جاف يكسبه النطق حياة . فان مجرد شكل « قتل » يعيد الى الذاكرة مجموعة اصوات وهذه المجموعة يفسرها العقل بصورة ذات معنى هي صورة القتل . ودرس اللغة في الغرب يدور حول اللغة المحكية ، اللغة التي ينطق بها ولا يهتم بالكتابة الا بقدر انها رموز تشير الى اصوات معروفة تنتقل من جيل الى آخر شفها . لا يوجد لغة تحت السماء تعبر كتابتها عن منظوقها بالضبط التام . وحقيقة اخرى ، وهي ان الفيلولوجي لا يعتبر وحدة اللغة الكلمة المفردة المستقلة بل وحدات اللغة جمل مفيدة . ونحن اذا فحصنا كتب الصرف بالاخص وكثيراً من ابواب النحو نقصر ههنا

على مفردات الكلم بيد أنه يجب علينا ان ننظر الى اللغة كجمل، كل جملة تفيد معنى . اللغة ظاهرة سيكولوجية لا ظاهرة اركيولوجية

﴿ ما الداعي لطلب الاصلاح ؟ ﴾ لا شك ان بعض الرجميين يرون في طلب الاصلاح ناحية من نواحي هذه الطفرة الجديدة التي طفرها الشرق الادنى بعد الحرب ، و يرون فيها فذلكه المدعين بان تفكيرهم متأثر بالطابع العلمي الحديث . ويرى البعض ان طلب الاصلاح ليس سوى محاولة سياسية خفية تديرها يد الاستعمار للقضاء على الروابط التي تربط الشرق العربي . وهناك المتطرفون في رجعتهم الذين يرون في هذا افتراء على اللغة والدين . اتا لا نوافق على هذه المعارضات . قد يكون بعضها على جانب من الصحة ولكن الدوافع ترجع الى ما هو أعمق وأعم . اتا نرى في الحركة رغبة الناس المخلصة في البساطة في التعبير والطلاقة في الكلام . الانسان ، وهو جزء من الطبيعة ، يتمشى مع القانون الطبيعي الازلي : اتباع اقل السبل مقاومة . الانسان يكره التفكير في لغة والكلام بأخرى . وقد بدأنا نشعر بتلك الصعوبة غير الطبيعية في تعلم الفصحى . هذا العصر عصر اقتصاد والاقتصاد شعار الفرد كما هو شعار الامة ، الاقتصاد في كل شيء . الاقتصاد في الكلام والتفكير والمال

﴿ النزاع بين لغتين ﴾ نلاحظ في تاريخ تطور اللغة نوعين من النزاع ، الاول نزاع بين لغتين مستقلتين تمام الاستقلال يتكلم بهما في القطر الواحد كما كان الحال بين الالمانية واليهودية ، بين الالمانية والمجرية ، بين الفرنسية والفلمنكية ، بين العربية والسريانية والفارسية الخ . وهذا النزاع له اسبابه السياسية البحتة . وأما الثاني فنزاع بين العامة المحكية واللغة الكتابية الادبية . وقد يخطئ من يظن ان هذه مشكلة العرب فقط . كلا . هذا النزاع طام مرت في أدواره جميع الشعوب المتقدمة وفريق كبير منها حل المشكل . اما نحن فلا زال من جملة الحائر . هذا النوع الاخير من النزاع بين العامة والفصحى لا يعود الى أسباب سياسية بل بالعكس ، هو نتيجة لتطور طبيعي ، نتيجة لحب الناس للغة السلسة البسيطة التي تعبر عن أفكارهم وشعورهم بدون أدنى تكلف او اجهاد فكري . اللغة الكتابية أبطأ في مجاراة الحياة من لغة العامة . لغة الناس اليومية تتقدم وتتطور بتطور الحياة وأساليبها . وأما اللغة الكتابية مع حمايتها ، فتتباطأ في سيرها قلنا ان كثيراً من الدول مرت في هذا الصراع . اما فرنسا فحلت المشكلة في القرن الثالث عشر ، وايطاليا بظهور دانتي ، والمانيا بترجمة لوثر للتوراة بلهجة المانية محلية ، وانكلترا بظهور تشوسر وشكسبير . وقاست اليونان الامر بين وسفكت دماء بين اتباع اليونانية القديمة ، لغة أرسطو وافلاطون ، واليونانية الحديثة ، لغة الحياة . والحقيقة ان المحكية كانت تخرج من المعمة ظاهرة ﴿ نشوء اللغة الادبية ﴾ ينبغ عبقرى قد في أمة ما فيكتب أدبه او ينشد اشعاره بلهجة خاصة ربما تختلف عن لغة السوق وهذا أمر طبيعي ، وإلا فما هو الفرق بين الخاصة والعامة ،

فتستبغ الناس هذا النوع الجديد من الفن ويروقه فيحاول الفنان الناشئ حديثاً أن يفتي أثر من هو أبرز منه وبعد زمن نجد أن في كل أمة مقياساً أدبياً يسعى الناس لتقليده . ونصبح اللهجة التي كتب بها ذلك الأدب مقياساً للغة الأدب والشعر

لنرجع إلى العربية أي لغة هي مقياسنا الأدبي ؟ القرآن الكريم وهذا أمر نجتمع عليه لأنها الحقيقة بعينها . فالصرف والنحو والبلاغة والفصاحة قوائنها وأسايلها مستمدة من القرآن ومبنية عليه ولكن السؤال الذي لم يجب عنه لآن هو هل كانت لغة القرآن الكريم تمثل عامة ذلك العصر أو كانت تمثل لغة الأدب والشعر الراقى ؟ سؤال مهم جداً ، وقد انبرى للإجابة عليه مستشرقون وشعوبون ورغم الجهود الجيارة لا أظن أن لدينا رأياً تثبت من صحته . المسألة لا تزال قيد التخمين والترجيح وانت إذا راجعت الدراسات الدقيقة التي قام بها العلماء تبينت خطر الموضوع . فمنهم من قال أن الطريقة المثلى لحل هذه المشكلة هي درس اللهجات المحكية الحالية في الحجاز ونجد والعراق وسوريا . وحقاً أن كثيراً من هذه اللهجات قد درس درساً وافياً ولدينا المعلومات الكافية عنها . ومنهم من ظن أن في الأدب بعض بقايا مبعثرات هنا وهناك قد تلتقي ولو ببعض النور على المسألة . ومنهم من انبرى لدرس القرآن نفسه والقراءات المختلفة علته يهندي إلى السبيل كما فعل فولز . ومنهم من حاول أن يجد في الشعر الجاهلي القديم بعض آثار اللهجات المحكية . والغريب أن الأدلة التي يمكن أن يبني عليها رأي ناضج قليلة ، لأن الأدب العربي عدا ديوان ابن قزمان الاندلسي وجانب من مقدمة ابن خلدون ، تقريباً صامت وليس فيه ما يرينا بوضوح لغة القوم المحكية سوى إشارات إلى أن العرب كانت تتكلم باللهجات . أما ما هي هذه اللهجات ولم كانت تختلف عن لغة القرآن وهل كانت خالية من الأعراب ، جميع هذه المسائل لا تزال أموراً نوّدة كثيراً أن يميّط البحث عنها اللثام

المهم أن اللهجات كانت موجودة . وأن لغة القرآن كانت لغة أدبية راقية يتكلم بها الخاصة فقط في جماع خاصة وهذا أمرٌ مرجحٌ لا بل يقبله الكثيرون لما يجدونه في الفصحى من تعقيد يجعلها غير سائلة لتكون لغة البيت والسوق . ومن أراد مزيداً فليراجع ما قاله شيخ المستشرقين نولدكه الذي لم ير في الفصحى لا صعوبة ولا تكلف ، وفولز الذي يقول بعكسه ^(١)

﴿ الأعراب ﴾ وهو العقبة الكؤود في اللغة . ويحق لنا أن نسأل عن قيمته الفعلية في اللغة كما سأل غيرنا من قبل . فهذا ابن قزمان في مقدمة ديوانه الزجلي يحمل حملة شعواء على الأعراب ويقول أنه عبء ثقيل على اللغة وأن لا فائدة منه البتة . وابن خلدون في كلامه عن « اللسان

(١) لفولز كتاب في درس لغة القرآن لتبيان وجود اللهجات حتى في القرآن . موضوعه « اللغة العربية » والكتاب بالألمانية . وقد رد عليه نولدكه مراراً . راجع إحدى مقالاته في

العربي لهذا العهد» يقول « وفقدان الاعراب ليس بضائر لهم (ص ٥٥٨ طبع بيروت)
ويقول أيضاً (ص ٥٨٣) والأفلاعراب لا مدخل له في البلاغة

ولكن لنعد الاستشهاد بالقدماء جانباً ولنبحث الموضوع على ضوء الحقائق الفيلولوجية. لنعتبر
الاعراب في تاريخ اللغات السامية نجد ان جميع اللغات السامية كانت تعرف الاعراب ولكن منذ
بدأ عصر الكتابة والتدوين بدأ الاعراب بالتلاشي كالبلابية والسبئية والارامية والعبرية وفي أدب
هذه اللغات نجد بقايا للاعراب هي أشبه بالمتحجرات التي ليس لها الأقيمة تاريخية. أما العربية
وهي أحدثهن من حيث التدوين والكتابة فقد حافظت على الاعراب أشد محافظة. السؤال الوجه
لماذا لم تحافظ عليه المحكية؟ أما جواب الرجعيين قديماً وحديثاً فهو ان فقدان الاعراب من علامات
الانحطاط والتأخر ومخالطة الاعاجم، والعامة هي الفصحى في انحطاطها. لماذا لم تحافظ عليه
اخوات العربية؟ هل لأنها انحطت؟ أو يسلم بهذا الرأي حماة الثورات؟ أو كتبة الادب السرياني؟
منشأ علامات الاعراب وقيمتها في اللغة أمر لا يزال موضع البحث. ولكن لنا في منشأ
رأي لا ضرر في ايجازه هنا. من المسلم به انه كلما بعدت اللغة في القدم ازداد التعقيد خلافاً لما
كان يُظن سابقاً ولا يزال يظن الكثيرون منا. المعتقد القديم هو ان اللغة في اطوارها الاولى
كانت بسيطة للغاية تتألف من كلمات ذات مقطع او مقطعين ومن جملة غاية في البساطة
والافصح. هذا خطأ محض، عقل القدماء لم يكن على اتزان ومنطق يمكن ان تكون معهما اللغة
في هذه البساطة. لغة القدماء كانت لغة مجازية صورية معقدة للغاية وزعة الناس كانت منذ فجر
التاريخ ولا تزال نحو البساطة والسلاسة، وأدب لغات كثيرة يريك هذا الاتجاه^(١). فالاعراب
من جملة المزركشات والمحسنات. ثم هنالك الشعر والغناء، وهما من أقدم فنون الادب، يتطلبان
وزناً وإيقاعاً ورنّة. أليس عندنا نون الربابة؟ أضف الى هذا عاملين آخرين اولاً حب التفرد
والظهور عند جماعة المغنين والمنشدين والقصاصين. كيف يتفردون، او كيف يتميزون عن طائفة
الناس ان لم يكن لسكلامهم وقع خاص ونبرة خاصة ونغم خاص؟ والعامل الاخر، وهو حديث
العهد، مما حكات اللغويين الذين اشتغلوا بوضع قوانين اللغة من صرف ونحو وتفسيرهم في كتب
من الاحيان. جميع هذه العوامل عملت معاً وساعدت على ظهور الاعراب

ولكن هل هذا الاعراب ضروري للبلاغة؟ الاكثرية الساحقة اليوم تقول طبعاً ضروري
والغريب ان أدلتهم أوهى من خيط العنكبوت. فقد وقع نظري فقط على حجة واحدة يدلون بها
على ضرورة الاعراب وهي جملة « ضرب زيد عمرو » — وتأمل في هذه الواو « الكسيفة »
في آخر عمرو! — فيسألونك من الضارب ومن المضروب؟ كان المحكية لا يميز بين الفاعل

(١) نرجع المستزيد الى كتابات Otto Jespersen فانه في طليعة الثقاق في تطور اللغات وأهم كتب
« Language » و « Philosophy of Grammar »

بلغة وسط لغة لا عامية ولا فصحي بالمعنى التام . ما هي مزايا هذه اللغة ؟ يمكن ان نختصر الجواب بقولنا : تصف هذه اللغة بتجنبها جميع ما من شأنه ان يجعل الفصحى غير سلسلة للتخاطب . إذا ما الذي يجعل الفصحى لغة صعبة ؟ (١) الاعراب (٢) التثنية (٣) قواين العدد . ولنبحث كلا على حدة ﴿الاعراب﴾ وقد مرّ الكلام عنه . نعتقد ان الاعراب ليس ضرورياً لتأدية المعنى فالمعنى واضح تماماً في هاتين الجملتين : « جاء المعلمين . ورأيت المعلمين » . أنا لا أنكر ان هناك بعض الجمل الواردة في الادب ، وكثيراً من أبيات الشعر التي لا يظهر فيها المعنى واضحاً إلا اذا ظهرت علامات الاعراب ولكن لماذا لا ننظر الى هذه على انها أقلية ، انها عارضة ، أنها بعيدة عن البساطة ؟ لماذا لا يكون هدفنا في الانشاء البساطة والافصاح وعدم افساح المجال للظن أو الشك ؟ هل هذا باليسير وفي العربية ما فيها من ضروب التعبير والافهام ؟

﴿التثنية﴾ اللغات السامية جميعها كانت تعرف المثنى وفي العبرية والسريانية آثار تدل على وجود التثنية . ولكن لسبب ما — ونظن السبب عدم وجود مبرر للتثنية — انقرضت . حتى ان بعض اللغات الآرية كانت تعرف التثنية ولكنها سقطت من اللغة عند فجر التاريخ . ومما لاشك فيه هو ان التثنية من بقايا عصر عريق جداً في القدم ، عندما كان الانسان لا يتعدى في حساباته رقم ٢ وانت اذا اعتبرت حذف التثنية في العربية وجدت ان الضمائر ، وعددها ١٤ ، تنقص الى ١٠ ﴿العدد﴾ ومن يحدد قواعده غير الذين يعلمون قواعد النحو ؟ فوالله اني اردد قواعده كل مرة اريد كتابة الاعداد . ونعتقد ايضاً ان هذه ظاهرة عريقة في القدم ، نعي بها ظاهرة التضاد . عقل الانسان القديم يفهم الشيء بضده أليس في الطبيعة تضاد ؟ نهارٌ قليل ، شتاءٌ فصيفٌ ، شروقٌ وفروبٌ ، حياةٌ وموتٌ وقس على هذا . وفي تطور العربية مظاهر عديدة لهذه العقلية . اعتبر المجموع المكسرة ، كبير كبار فحرف i ضده a . أسود سود حذفت الهمزة للتضاد . والتضاد هذا كما قلنا ، له اثر كبير في اللغة لا يمكننا خوض بحته الآن . وتأنيث العدد مع المذكر هو من هذا القليل . يقول مينهوف الذي درس لغات الحاميين انه وجد عند بعض القبائل ان في حفلات ادخال المراهقين في عداد البالغين كانوا يلبسون الفناء ثياب الفتى والفتى ثياب فتاة . الضدّ مستحبٌ والضدّ يظهر حسنة الضدّ . فرحةٌ ببناء القرن العشرين علينا ان نهجر اساليب القرن المائة قبل فجر التاريخ ﴿خلاصة﴾ يشعر العرب اليوم ان الوقت من ذهب ، وان الطفل يبذل جهداً كبيراً لتعلم اللغة ، واحياناً يُسفر هذا المجهود عن خيبة . ومفكرو العرب يشكلون اللجان لدرس قضية اللغة من جديد ، وحيث ان الرأي العام متيلاً لمجابهة الموضوع أشعر كما يشعر غيري ، ان القضية طامة وان القضية تعود الى أعماق من بعض الصعوبات السطحية . المشكلة هي مشكلة وجود لغتين . فهل آن الاوان لدرس امكان الاتفاق على اقرار لغة واحدة هي لغة التخاطب عند المتأدين ؟

رسالة المنبر

الى الشرق

من امين الريحاني الى فليكس فارس
عن طريق المقتطف

سبقي « الصيرفي » في تقريب « رسالة المنبر الى الشرق العربي »^(١) تأليف صديقي
الاستاذ فليكس فارس « ولكنه وقف عند الاشارة الى ماهو في نظره — ونظري —
« أمتع الفصول » في الكتاب « وأولاها بالمناقشة ». فحُتُّ أكمل عمله
ان اهم ما في كتاب الاستاذ فليكس « منابت الاطفال » — ذلك الفصل الحافل بتنوع
العلوم السياسية والاجتماعية والدينية ، المتأجج بنيران الغضب والتفجُّع ، المتلألئ بانوار
منقطعة من انوار التصوف . وان فيه كذلك حملات على العلوم الحديثة ، والنزعات الحرة في اصلاح
شؤون الانسان ، واستمرار رقيته في هذه الحياة الدنيا
في هذا البحث المستفيض علماً وشعوراً ، يعالج المؤلف « مشكلة من اهم مشكلاتنا الاجتماعية
في اصلاح الاسرة ». والبحث ذو شجون ، وذو فسحات للجدل والمناقشة . فهل يجوز ان
يقف عنده المقرظون ساكتين واجفين ؟ هل يكتفون بتقديم الورد للاستاذ فليكس ، ولسان
حلم يقول : لغيرنا ان يقدم الاشواك — اشواك الحقيقة !
فلو قلنا كلنا هذا القول فماذا يحل بالحقيقة ؟ وهبناك أننا اختلفنا في أمرها فاننا لم نضيعوها
في اماننا البحث عنها . هذا من الوجهة العلمية العامة . اما من الوجهة الخاصة الشخصية فاني
أبوح بسرها . وهو ان للحقيقة هذه صلة عقلية بصداقة قديمة ، ومنذ روحية على قلبين
منجاورين متحابين

ألا ان فليكس لصديق عزيز قديم . وقد طالما ترافقنا في جادات العقل والروح ، وانفقنا
بل كنا دوماً في طليعة الحملات ، حملات الحرية والعلم ، على معادل الظلم والضلال

واني لارى فليكس اليوم في غير تلك الطلائع والحملات . اني اراه اليوم واقفاً في المؤخرة وهو يتلفت الى الوراء ويحنج بعض الاحايين الى جادات لا أثر فيها للعلم الحديث ، وللزمن الفكرية الحرة . فكأنني به يقول : اني في هذه الغمرات الاجتماعية ، والمفاسد البشرية ، أؤثر الرجوع الى الشرائع الالهية

فهل أصدحت الشرائع « الالهية » ما فسد من المجتمع الانساني في غابر الازمان ؟ وهل هذا الفساد الذي يعتري العالم اليوم هو الاول من نوعه في تاريخ الانسان ؟ وهل يجوز — وهل يليق بنا — ان نرجع القهقري كلما « بعبت » الايام علينا ، وكلما اكفهرت السبل أمامنا والآفاق ؟



ليست الظلمات التي تنعثر بها اليوم بظلمات جديدة . وليس فيها ، على تكلفتها ، ما يبرر التفجع والتلوع من أولي الفكر والحجى . ان ظلمات هذا الزمان لمثل ما تقدمها ، ولا تختلف بغير مقدارها وانتشارها . هي كثيفة كالحجة . نعم . هي عالمية ، ولا ريب . ولكن في قلبها ، وعلى جوانبها ، يكمن فيض من النور الازلي ، وتشع منه ، هنا وهناك ، أشعة العلم والحبر والحق الاعلى

وما تاريخ الانسان في نشوئه وارتقائه غير ظلمات تخلتها أشعة من النور . في دوائر الزمان يتثقف الانسان . وان كانت كل دائرة أشد هولاً مما تقدمها ، فالانسان كذلك هو أشد عزمًا ، وأكثر علمًا ، في مقاومتها والتغلب عليها

هي الظلمات تغشى العلم حقبة من الدهر ، فيتبعها ، بفضل العلم الدائم النمو والازدهار ، أحقاب من النور . بل ان الفيض النوري ليتسع ، بعد كل ظلمة ، ويزداد حرارة وتألقًا . كذلك كان ، وكذلك سيكون . هو الناموس الدائم للرقى البشري . هو روح التاريخ في هذا العالم ظلمنا . واني ، مع عدد كبير من العلماء والمفكرين ، لمؤمن به كما يؤمن الناس بالكتب المقدسة أما الرقيق القديم ، الاستاذ فليكس ، فهو على ما أرى من غير المؤمنين لإيماننا . هو من المؤمنين الاقدمين . أو انه عاد اليهم ، وهو ينفخ في الصور الذي نفخ فيه قديماً أشعياً وإرمياً . فهل يداوي الانسان مرض يومه بما داوى اجداده امراض ايامهم ؟ هل يحبس المقروح حبسة ايوب ، ويصيح مثله وينوح ؟ أفي الكتب القديمة — المقدسة — نفشد الدواء لامراضنا الحديثة — لكل امراضنا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ؟ لست ممن يرون ذلك . لست من اصحاب العودات والردات . حسبنا ان نعود الى التاريخ لنرى ما فعلته الاديان في أبنائها .

ومع ذلك فقد أدى كل دين رسالته في فترة من الدهر مقدارها ألف سنة ، أو ألفان من السنين .
وبعد ذلك جافاً يابساً عقيماً ، لا يقوم معوجساً ، ولا يصلح فاسداً ، حتى ولا يسد فراغاً
في العقل ، أو في القلب ، أو في الروح

ومن العيب ان نلجأ اليوم الى مهايط الوحي القديمة ، نحاول الاستنارة بنورها الضئيل —
بشمسها الفاربة . لكل أجل كتاب ، ولكل كتاب أجل ، وعلى الاخص في ما يتعلق بالانسان
الحر ، وبأسرته ، ووطنه ، وزرعاته العاطفية والوجدانية والفكرية . والانسان الحر رائد الناس
أما كتاب اليوم فهو كتاب العلم . ومن فروع العلم الحديث ، ان كان في تحسين النسل
البشري eugenics او في تقييده birth-control فروعٌ صالحةٌ مفيدة ، هي آخذة بالانتشار يوماً
فيوماً ، ولا حؤول في انتشارها . فان كان في انطلاق الغريزة الجنسية من قيودها ما سيهلك لها
القلوب ، فان في مجرد الانطلاق شيئاً من الخير . وسيكثر هذا الخير ، وستقل تلك الما سي ،
رويداً رويداً ، كلما ازدادت فيوض النور التي تتبع الظلمات التاريخية

وهاك مثال زماننا من هذه الظلمات ، او من تلك الفيوض النورية — كما تشاء . تقوم
اليوم في بلاد السوفييات الروسية تجربة اجتماعية سياسية اقتصادية منقطعة النظير في تاريخ
الانسان . ويجب علينا ان نصبر لنرى نتائجها . ليس من الحق ، ولا من العدل ، ولا من الحكمة ،
ان نسارع الى شعبيها ، او نحكم اعتباراً عليها . فقد تكون في نتائجها أفضع التجربات ، وقد تكون
أكثرها خيراً ونعمة . علينا ان نصبر . والصبر في مثل هذه الانقلابات الاجتماعية لا يحسب صبراً
إذا قيس بالسنوات التي لا تتجاوز العشرين او الثلاثين عدداً

على ان هناك ما يدعو للتفاؤل والاطمئنان ، وخصوصاً في ما يتعلق بشؤون الاسرة وتطورها
فاذا قرأنا تشريع السوفييات في الزواج والطلاق ، وفي الامومة ورعاية الاطفال ، تبيننا ان
ولئك المشرعين ليسوا من الشياطين او من الجن ، بل هم مثلك ، أيها القارئ الكريم ومثلي ،
انسٌ عقلاء بصراء ، ذوو مثل أعلى ، محبون للجنس الانساني ، غيرون — او غير بالغة التي
لا قياس لها — على خيره ، ومثابرون على العمل الذي يستقيم فيه ويدوم ناموس النشوء والارتقاء

أجل انهم ينشدون المثل الاعلى لخير الانسان في هذه الدنيا ، مثلك يا أخي فليكس ومثلي ،
ويعملون لتحقيقه الاعمال الحيارية ، مهما يكن من خلل فيها او شذوذ . وليس من الحق ان
ننصب تلك الاعمال قبل ان نرى ونذوق ثمارها الناضجة . فلا تسرف ، حرسك الله ، في التلوع
والنشج . اننا سائرنا الى الامام على الدوام ، على الرغم من كل ما في حاضرنا من الفساد
وعوامله ، ومن الردآت السياسية والدينية والاجتماعية

الابوثة والتاريخ^(١)

عند اليونانية القرماء

وفي القرون الوسطى والعصر الحديث

للابوثة تأثير عظيم في التاريخ . فظهورها فجأة وعنفها وقتلها الذريع وما تركته في نفوس الناس من شعور العجز ، كل ذلك يجعلها عاملاً من عوامل التفكك المعنوي وباعثاً من بواعث الانهيار في القانون والنظام

ومن المعروف ان قدماء المصريين والهنود والصينيين كانوا عرضة لبلايا الابوثة . ولكن من بواعث الاسف اننا لا نستطيع ان نعيّن الامراض التي كانوا يبلون بها . اما الوثائق العبرانية فأدق . وفيها نستطيع ان نتيّن طائفة من الامراض كانت تصيبهم ولا تزال تصيبنا . وقد اشار جاريسون Garrison في كتابه « تاريخ الطب » الى ان الجذام كان بينها ومن المحتمل السلّ^١ واول وباء جارف دون ذكره في التاريخ هو الوباء الذي وصفه المؤرخ الاغريقي ثوسيديديس في كتابه « حرب بلوبونيقية » . كانت الحرب ناشبة بين اثينا وإسبارطة وكان قد انقضى عليها سنتان . وكان الجيش الاسبارطي قد اكتسح البلاد حول اثينا فاجأ السكان الى داخل اسوارها فاشتدّ بهم الزحام فتفشى بينهم وباء شديد وعجز الاطباء عن مكافحة داء جديد لا يدرون من طبائعه شيئاً فضاغت مساعيهم هباءً وسلم الاثينيون مصيرهم الى الاقدار وكان المرض عندما يصيب احدهم يبدأ بشعور الحمى في الرأس . ثم تحمرّ العينان وتلهتان ويتبع ذلك عطاس متكرر ثم يخشن الصوت ويصبح صاحبه أحش . بعد ذلك يسقط المرض على الصدر فتأخذ المريض نوبات من السعال العنيف ثم الى المعدة فيصاب بالغثيان ، وكان معظم المرضى يصاب بالفواق او بالتشنج العنيف ، وكان التشنج قصير المدى في بعضهم وطويله في البعض الآخر . وكانت درجة الحرارة ترتفع كثيراً حتى يعسر على المصاب ان يحمل الملابس عليه او التدثر بدثار ما . وكان لا بدّ من استعمال وسائل المنع للحيلولة بينهم وبين الغوص في الماء البارد . وعلاوة على كل هذا كان الارق يصيبهم فلا يخلدون لا الى راحة ولا الى نوم

(١) موجز كتاب فرنسي بهذا العنوان تأليف البير كونا Albert Conat عن مجلة « ماخص العلم »

وإذا استطاع المصاب ان يغالب هذه الاعراض ، انتقل المرض حينئذ الى اطرافه فتصاب الاصابع واليدان والقدمان والعينان بالغرغرين . فاذا شفي احدهم كان يشفى وقد فقد نعمة الذاكرة . ولما كان السكان يجهلون سبب تقشي المرض واسلوب انتقاله ، كانوا يجتنبون بعضهم بعضاً ويمتنعون عن اسعاف المصابين حتى الطيور من أكسلة الحيف كانت لا تقارب جثث المولى إن اطباء العصر الحديث غير مجمعين على صفة مرض هذه اعراضه . ولعلهُ مرض زال الآن ، او لعلهُ حُمى التيفوس تصحبها امراض أخرى او قد يكون الحمى الشوكية او الحمى الفرغزية او الحمى الصفراء او الجدري . وقد بحث الاطباء جميع هذه الآراء . ثم أضاف اليها الدكتور بيتو Betau حديثاً رأيه في ان هذه الاصابة كانت حُمى الدنج وقدضاعقتها الاصابة بالحمراء

أما صفحات تاريخ القرون الوسطى خافلة بذكر الالم واليأس . فالجاعات الخيفة والامراض الخفية كانت تصيب الناس فتبدد شملهم وتنزل بهم الى وهدة القبر . وكانت أوبئة الحصبة والجدري تنالهم . بل ان الجذام تحول وبائياً فأصيب به ألوف من المساكين . وجاءت غزوة العرب لاوروبا الجنوبية الغربية معواناً على ائثاره هذا الداء الذي اكتسح جنوب غرب اوربا خاصة ، بل لقد كان الجذام يعرف في تلك المنطقة من أوروبا باسم « الداء العربي » . وكانت الصلات التجارية في البحر المتوسط وسيلة من الوسائل المتعددة لنقل العدوى

وهناك مرض آخر كان ينتشر حيناً بعد حين فيترك في أثره الموت والخراب والقنوط وكان بوصف بلفظي « النار المقدسة » او « نار الجحيم » . ظهر وانتشر في أوروبا في القرن العاشر والحادي عشر والثاني عشر ، ففتك بالناس فتكاً ذريعاً . وكان المصابون به ، تأخذهم حرارة داخلية لا تطفئ . ثم كان بعض الاعضاء يسود وينفصل عن باقي الجسم ، فاذا ظل المصاب جالساً بقيت حياته عيشة ويل ويأس

وقد روى أحد المؤرخين ان هذا الداء حصد ٤٠ ألفاً في بضعة أيام في اربع من الولايات الفرنسية

أما الحروب الصليبية فقد فتحت أبواب أوروبا للجرذ . فعلى الرغم من البحث المدقق في آداب اليونان والرومان القديمة لم يعثر الباحثون فيها على اشارة واحدة الى الجرذ ، ولعلهُ كان يعيش بريئاً في صحاري مصر وبلاد العرب . وبهذا يفسر عدم اتصاله بأوروبا عن طريق السفن التجارية ، او عن طريق غزاة العرب لاوروبا

وكان الجرذ الاول الذي وصل الى أوروبا هو الجرذ الاسود . فهو حيوان يحمي التسلسق

ولذلك كان يسهل عليه ان يتسلق الجبال الى السفن الراسية . وقد شوهده في اوربا اولاً في القرن الثاني عشر ، فما اقبل القرن الثالث عشر على ختامه حتى كان قد انتشر في ارجاء اوربا . ولم يكن معروفاً حينئذ انه من نقلة مرض معد ، ولكن سطوه على الحقول في ايام الحصاد وعلى الاهراءات جعلته شراً ونكبة على الاهلين فكانوا يعمدون الى الصلاة والضراعة للتخلص منه ونشأت بينهم حرفة جديدة هي حرفة «صائد الجرذان» . ولكن الضراعة عجزت عن رد شره ، وكذلك محترفو صيده .

ولكن ما عجز عنه الانسان حققه حيوان آخر هو الجرذ الاسمر . فهو أصلب بنية وأشد شراً من زميله الاسود ، جاء على ما يلوح من قلب آسيا وأخذ ينتشر في اوربا في القرن الثامن عشر . ففي سنة ١٧٢٧ اجتازت طوائف كبيرة من الجرذ الاسمر نهر الفولجا بروسيا ، ووصلت اميركا حوالي سنة ١٧٧٥ وانتشرت فيها . وفي اقل من قرنين كانت هذه الجرذان قد طوقت الكرة الارضية . الا المناطق القطبية . وكان من نتائج انتشارها انقراض الجرذ الاسود الا جماعات صغيرة منه ظلت مقيمة في اما كن لم يبلغها الجرذ الاسمر .

وخطر الجرذ في نقل الامراض المعدية ، أعظم جداً من خطره في السطو على الغلال . ومن الامراض التي تنقل بواسطة الجرذان الطاعون الدملي (الذي وصف في القرون الوسطى باسم « الموت الاسود ») وحمى التيفوس والكلب وبعض الامراض الناشئة عن ميكروبات لولبية (spirochetes) . ولعلها تنقل « التريخينوسيس » كذلك .

ويذهب المؤرخون الى ان وباء الطاعون الذي تفشى في القرن الرابع عشر كان أعظم الوبئة في التاريخ وأشدّها هولاً . وهو هذا الوباء الذي يشار اليه في كتب التاريخ والادب باسم « الطاعون الاسود » و « الوباء الكبير » و « الموت الاسود » . فقد بدأ في شمال الصين في سنة ١٣٤٦ حيث فتك بثلاثة عشر مليوناً من الناس في اقل من سنة . ثم أخذ ينتشر متجهاً الى اوربا — مسيراً طرق التجارة . فحصد سكان البلدان الواقعة على مسيره حصداً . ويقال انه فتك بالسواد من الناس في المنطقة الواقعة حول دمشق وأورشليم . والمرجح ان عدد ضحاياه في آسيا كلها ما عدا الصين ، بلغ أربعة وعشرين مليوناً . وأصبحت به جميع جزائر البحر المتوسط ، ولم يبق من فتكه في جزيرتي كورسيكا وسردينيا سوى ثلث السكان . ومات به أربعون ألفاً في جنوى . ومائة الف في البندقية . وثلث سكان بادوى . وكان يموت به الفان كل يوم في بولونيا وفرارا . ثم غزا المانيا فبلغ ضحاياه فيها مليوناً وربع مليون . وفقدت به بولندا نصف سكانها .

وتفشى في فرنسا تفشياً ذريعاً . فمات به في مدينة افينيون وجوارها مائة وخمسون ألفاً في سبعة أشهر . وخسرت مدينة آرل نصف أهلها ومرسيليا ثلثهم . ثم تخطى البحر مع الجرذان

والسفن الى انجلترا فبلغ في عنفه درجة لم يسمع بمثلهما حتى ليزعم بعضهم ان عشر سكانها فقط نجا من فتكه . ثم انتقل الى الزوج حيث حصده ثلثي السكان . وأما اسلندا فكاد ان يفتك بجميع سكانها ، وما زالت اسلندا عاجزة عن استرداد ما فقدته به من اقبال ورخاء .

نسوق هذه الارقام على وجه التقريب . ولكن جميع المؤرخين مجمعون على ان وباء الطاعون الكبير فتك بثلاثين الى اربعين مليوناً من سكان أوروبا . فاذا أضيف الى ذلك عدد ضحاياه في الصين وسائر القارة الاسيوية بلغ عددهم من ٧٠ الى ٨٠ مليوناً . كان بينهم الغني والفقير ، والنيل والفلاح — وقد كان من ضحاياه ملكة نافار شقيقة امبراطور المانيا ودوق برغندي وملكة فرنسا وملكة اراجون وملك قشتالة .

وصحب الطاعون الاسود ، وتلاه انحلال اجتماعي اضيفت آثاره الى ويلات المرض والموت . فقد كانت الجماهير تلاحق الاطباء الذين يعنون بالمرضى وترجمهم بالحجارة ، خشية ان تتصل بهم العدوى من الاطباء . وليس بالنادر ان نجد الوباء عاملاً حاسماً في حروب ذلك العهد . ففي انكرا خلف آثاراً من الاضطراب والقلق دامت سنين كثيرة وبلغ من كثرة المائتين به ان قلت البد العاملة وارتفعت الاجور ارتفاعاً فاحشاً . اما عند صغار الفلاحين فقد كان الوباء مرادفاً للخراب علاوة على الموت . وتجدد ظهور الوباء في سنة ١٣٦١ و ١٣٦٩ و ١٣٧٣ زاد الاضطراب الاجتماعي وتفاقم

وقد صحب رحلات الريادة في القرن الخامس عشر ، تفشي اوبئة كثيرة . فقد ظهرت الحمى الصفراء في عهد رحلة كولومبوس الثالثة ، فأصبت بها الجاليات التي انزلها لاستعمار جزائر بحر كريب وفتكت بها . وكان اللون الشاحب الذي يبدو على وجوه المصابين ، يبعث الرعب في قلوب الاسبان عند رجوع المصابين الى وطنهم . ولم ترحم هذه الحمى سكان البلاد الاصليين . ولكن الامراض التي انتقلت اليهم مع الاوربيين كانت اخطر شأناً واشد فتكاً . فالسل حول تلك الجزائر قفاراً وحمى التيفوس كانت تحصد الهنود الحمر بالالوف

وكان المرض والوباء كانا يسيران في اثر الرواد الاسبان واتباعهم من المستعمرين فأصبت جميع المستعمرات بأوبئة مختلفة . وبلغ عدد المائتين في جزيرة هايتي مبلغاً جعل دفنهم متعذراً . فقد حصدت الجدري منهم نحو ثلثمائة الف في بضع سنوات . وانتقلت الجدري مع الفلاح كورتيز الى المكسيك ففتكت فتكاً ذريعاً حتى لم يبق من الفلاحين من يكفي لحث الارض وزرعها فمات كثيرون جوعاً وغدت امبراطورية « الازتيك » مقبرة واسعة . اما وباء الجدري الكبير الذي قضى سنة ١٥٢٠ فقد قضى على ثلاثة ملايين ونصف مليون اي نصف السكان

ومع ذلك لم يكن هذا الوباء اعظم مصائبهم . ذلك بان مرضاً جديداً ظهر سنة ١٥٣١ منقولاً مع الغزاة . وهو مرض الحصبة . ثم في سنة ١٥٤٥ ظهر مرض دُعاهُ اهل البلاد « ماتلازهوات » . ويقال انه حصد ٨٠٠ الف والغالب على الظن انه الجدري . ثم تفشى وباء الجدري ثانية في سنة ١٥٧٦ فمات به ما لا يقل عن مليونين

وقد كانت رحلة كولمبوس الاولى ذات شأن كبير في تاريخ أوروبا . فهي لم تفتح بلداناً جديدة فيها حيوانات ونباتات غريبة فحسب ، بل كانت سبيلاً الى نقل جراثيم الزهري (الحلق : السفلس) من العالم الجديد الى العالم القديم . ويقال ان انتشار الزهري في أوروبا يرتد الى بحارة كولمبوس الذين أصيبوا به خلال اقامتهم بين الهنود الحمر في هايتي . وكانت غزوة الملك شارل الثامن الفرنسي لاطاليا سبيلاً من سبل نشر هذا المرض . ففي اثناء حصار جيشه لمدينة نابولي ظهرت بوادر ذلك المرض الذي أربع أوروبا

وكان مرض الزهري حينئذٍ على جانب من العنف والحدة لا يقرن بهما الآن . فكان المصاب تغطيه القروح . وكان المرض شديد العدوى . وبعد ما أخذت مدينة نابولي تفرق الجيش الفرنسي ناشراً عدوى الزهري في ايطاليا ومنها انتقلت الى فرنسا فلما نيا وانكلترا . وكان الاطباء عاجزين عن وقفه ، فوصفه الفرنسيون حقناً منهم بقولهم انه « مرض نابولي » حالة ان الاسبان والاطالين وسموه « بالمرض الفرنسي »^(١)

وانتشر الزهري بسرعة عظيمة ، فعزيت طريقة انتقاله الى الهواء والماء والنفس^(٢) . وعمد الناس الى العطور للتغلب على الروائح الكريهة التي تنبعث من قروح المصابين . وأفقلت الحمامات العامة . وكان من آثاره الاجتماعية ان تأثير الزهري في احداث الصلع حدا بالناس الى ارسال شعر الرأس واللحى والشوارب ، فغدا كل من يظهر في المجتمعات العامة وشعره غير مرسل تحوم حوله الريب في انه من المصابين

(١) جاء في كتاب الشياطين والعقاقير والاطباء Devils Drugs and Doctors تأليف هجارد صفحة ٢٤٠ ما يلي : وكان الاسبان يدعونه مرض اسبانيولا والاطاليون المرض الفرنسي والفرنسيون المرض الايطالي والانكليز أسندوه الى الفرنسيين وكذلك الترك . واما الروسون فسموه المرض البولندي والهنود واليابانيون المرض البرتوغالي

(٢) يقول هجارد . وانهم السكردينال ولسي بأنه نقل عدوى الزهري الى الملك هنري الثامن بهمه في أذنه . ومن المؤكد ان هنري الثامن كان مصاباً به والغالب ان عدواه به ترجع الى مصادر غير مكان السكردينال . وفي سنة ١٤٩٧ صدر قانون في فرنسا يحظر على المصابين به التحديث مع الناس تحت عقاب الاعدام

والكوليرا مرض قديم الانتشار في الهند . ولكنه امتدَّ في سنة ١٨٣٤ الى أوروبا وسقطت اولى ضحاياه في باريس في ٢٢ مارس من تلك السنة . ثم ظهرت اصاباتها فجأة في مناطق مختلفة من العاصمة الفرنسية ثم انتشرت انتشاراً سريعاً في أوروبا فمات بها نحو مليون نسمة — ٤٠٠ ألف في روسيا و ٣٤٠ ألفاً في النمسا و ١٠٠ ألفاً في أسبانيا و ٩٥ ألفاً في فرنسا . ثم تفشى وباء الكوليرا في أوروبا في سنة ١٨٤٧ وسنة ١٨٥٦ وكان صرعاها أكثر من صرعى وباء سنة ١٨٣٢ وكان آخر وباء كوليرا تفشى في أوروبا وباء سنة ١٨٩٢ . وكذلك ظل هذا المرض خلال قرن كامل تقريباً يهرع في نفوس الناس حتى نسوا ويلات الطاعون الدملي لشدة ما بلوا به منه .

وقد كان الخوف من الكوليرا الباعث الذي حمل الناس على المطالبة بإنشاء المجاري العامة وشق الأعمال الصحية . فأعمال الصحة العامة في أوروبا وأميركا هي وليدة هذا الخوف . ولا ريب في انها أثرت تأثيراً لا يعرف مده في اساليب معيشتنا وطرائق عمارتنا وأفقت الى انشاء صناعات جديدة . ونشبت الحرب الكبرى على أثر فترة من السلام رانت على أوروبا ، كان اهم سماتها التقدم العلمي العظيم . وغلب الظن بأن العلم قضى على الوبئة التي تبثها صفحات التاريخ . ولكن وباء الانفلونزا تفشى في بدء سنة ١٩١٨ في الولايات المتحدة والصين ثم اتصل بفرنسا بعد اشهر فانتشر اولاً بين الجنود ثم بين عامة الشعب . وقد بلغ عدد صرعا في موجاته الثلاث المتوالية نحو عشرين مليوناً من الناس

وفي أثناء الحروب البلقانية عادت الحمى التيفوسية الى الظهور . ثم انقضت تلك الحروب ولكن شأفة المرض لم تسوِّط من النمسا والمجر وبوئندة وروسيا فلما نشبت الحرب الكبرى وعُيِّت الجيوش الكبيرة عادت التيفوس الى الانتشار وكان اول مراتب انتشارها أضر الصربيين سنين ألفاً من جنوبي النمسا فظهرت الحوادث الاولى في احد معتملات الامرى ثم انتشرت في الشعب . وعندما كان المرض على أحده كان يموت به سبعون في المائة من المصابين . ثم بدأ انتشار المرض في الانحطاط في صيف ١٩١٥ ومع ذلك فالذين أصيبوا به بين يوليو وديسمبر من تلك السنة كانوا ٥٠٠ ألف مات منهم خمسمائة (٢٠٠.٠٠٠)

وظهرت حمى التيفوس في رومانيا في سنة ١٩١٧ فمات بها مائة ألف بحسب الاحصاءات . ولكن اشد فتكها كان في روسيا حيث اجتمعت مع الملاريا والدوسنتاريا وحمى التيفود والحمى الفرزبية والجوع وسوء الحالة الصحية في نشر شياطين المرض والموت : وقد صدر تقرير في سنة ١٩٢٢ جاء فيه ان ٢٥ مليون اصابة بالتيفوس سجلت في روسيا في السنوات الاربع السابقة مات من اصحابها ثلاثة ملايين

آلية الفن

اتجاهات العصر في الآداب والفنون

مرفوعة الى استاذي صاحب
«المصور» : اسماعيل مظهر

لزهري الناهي الفاروق

١ - نوطنة

أصبح الايمان بالنشوء والارتقاء في عصر المدنية الحاضرة ، من المبادئ العميقة التأصل ، التي تخضع لسننها جميع الكفاءات العقلية بما شيدته من الحضارات منذ بداياتها الفطرية الاولى ، التي خرج منها الانسان حيواناً منمطح الصفات ، دنيء النشأة ، ماضياً في سبل الارتقاء ومدارج النشوء ، الى ان بلغ الى هذه المدنية التي توشك ان تكون عصر انقلاب وثورة لم تبلغ بعد منتهاها . انتقل فيها الانسان من وداعة القرون الوسطى ، التي كانت آخر حلقة من حلقات الحياة الهادئة ، الى هذه الخليات من المدن حشدت فيها النفوس حشداً ، وتنازعت جوها نواطح السحاب المنتهبة كمرودة ناثرة من الجن وسط دخان المعامل القائم !

تعتبر مدنية الآلة عصر انقلاب في تاريخ البشر ، لما يلا بس هذه الفترة التاريخية من ظواهر تجمع بين الحياة الهادئة ، الخالية من ضجيج المعامل ، المنبثة في تضاعيف عقليتها غرارة الفطرة الاولى ، الى الحياة في اميركا وغرب اوربا ، وأصل ثقافتها العلم اليقيني ، وقوام حضارتها الآلة وقد تناول عامل التطور في هذه الربوع التي أثمرت فيها المدنية جميع نواحي الحياة السابقة ، فنشأت الى جانب حضارة الآلة ثقافة تسير في ماديتها ما ينزع اليه عصر المادة من الصور فان كان للناس قبل أن يخلقوا الانسان الثالث ^(١) موسيقى ، فلمهم اليوم موسيقى ، وان كان لهم أدب فلمهم اليوم أدب ، وإن خلفت قرايحهم على مر المصور ثروة فنية في لوحات رفائيل وبكل انجلو وأضرابهما ، فللعصر الحاضر رسوماته ولوحاته التي رقصت عليها أيدي تود من السرعة لو ينطلق في حركة آلية صماء

-٢-

إن في الثقافة الاشتراكية الحديثة أوضح مثال للفن الآتي ، المنبثقة في تضاعفه روح المذهب المادي . تبين هذا واضحاً في الموسيقى والرقص والأدب والرسم والنقش جميعاً .
ففي روسيا السوفياتية مسجبت جميع صور الثقافة الاوربية ، لتحل محلها صور اخرى تستمد روحها من روح الآلة ، التي يرمز اليها كأبعد مدى وصلت اليه عوامل الرقي البشري منذ العصور المظلمة . وتعتبر كأساس لمدينة المستقبل المثالية ، التي تراود عقول العلماء كحلم غامض في جاة بسودها السلام ، ويتخلص فيها الانسان من أوشاب الفطرة وغرارة الوحشية الاولى ، ليشيد صروح مدينته الخالدة على أساس علمي ، يلوح عصرنا ومدينتنا الى جانبها كما تلوح غرارة الانسانية الاولى الى جانب مدينتنا الحديثة

رجع أسانذة الثقافة الاشتراكية في روسيا إلى أن الفن السائد في الغرب ، إعماله صبغة رأسمالية تمزق الفردية الاستقلالية وهذا يناقض في جوهره فلسفة الاشتراكية من حيث فناء الفردية الذاتية في الضامية التي يمثلها « السكان الاجتماعي »

وبرون ان ألحان الموسيقى التي تتناوح بين جدران الرأسمالية البرجوازية ، تستقطر من أدوات تساعد على تكوين الشخصية الفردية ، او ترمز اليها . إذ أن موسيقياً فرداً يستطيع أن يستوحي « البيان » مثلاً نغمات عذبة دون الاشتراك مع عصبة لا يتم عمل فرد فيها وحده . ثم ان حلقات الموسيقى في المسارح والاندية ، وبيوتات الاقلية الحاكمة تغري المرء بالتعرف ، وتساعد على رفاهية « الصالحين اجتماعياً » ! لذلك ابتدع مجمع موسكو للموسيقى أسلوباً حديثاً يسير روح الاشتراكية ، ولا يناقض نظرية « السكان الاجتماعي » . وذلك بأن ألغت أنغام الوحدة الموسيقية من أصوات اشبه شيء بصفير البخار ، ودحرجة العجلات ، وطنين المعادن في معمل من المعامل التي ترصع الحياء المدينة

وبوجهة النظر نفسها الى أساليب الرقص ، استنتج الثقات انه لا يجب ان يشذ عن قاعدة الآلة ، او تتميز به الروح الفردية . ولدى وضع خطوات الرقص وحركاته ، روعيت في ذلك حركات مختلف أجزاء الآلة الميكانيكية ، التي ان تحركت فيها قطعة منفردة لم تأت بنتيجة ما . فهذه حلقة الرقص ، وهنا رمز للمكبس ، وتمثيل للعجلة ، وإشارة للدفاع ، وتقليد للمهندس وهكذا (١)
وبهذا نقادى أولو الامر وجود أي عنصر برجوازي نبيل ، وانما هو جو يلائم ما ينطبع في عقل العامل من صور الآلة والمعمل اللذين يحملان طيهما بذور العصر الذهبي
هذه بدعة جديدة لها ما يبررها من تطور الموسيقى والرقص في سائر مدن أوروبا وأميركا .

(١) René Fülöp Miller : The Mind and Face of Bolshevism, New-York City.
Alfred. A. Knopf. 1928

إذ إن كلا الفنانين قد بلغ من التطور درجة أصبحت فيها صورهما أسرع وأبعد عن هدوء الطبيعة الذي تطلعه في ألحان شوبير وموزارت ويتهوفن مثلاً . يقول الفيلسوف عماؤيل كانت : « إن أوجه التقدم كلما ازدادت سرعة قصرت صورها » ^(١) وهذا صحيح بالنسبة للتغير الذي طغى على فني الموسيقى والرقص في الغرب . ونعتقد أن مصير هذين الفنانين قد توجهه خطأ التطور على مر العصور — إذا توغل الإنسان في أغوار هذه المدنية الآلية الغربية — إلى نفس التوجيه الذي يحاول علماء روسيا التكهّن به في صورة عملية قبل أوانه ، سابقين في ذلك عوامل النشوء الطبيعية ، شأنهم في إصلاحاتهم جميعاً

غير أنه لا يغرب عن التأثير السياسية في هذا التوجيه . فن الواضح الجلي أن زعماً الاشتراكية الحديثة في روسيا قد طغوا على الفن يتخذونه ذريعة للدعاية ، وأسلوباً يمدّون به لاثورة العالمية التي يعتبرونها خير وسيلة لاجداث الانقلاب الصناعي في تاريخ البشر ، والوصول إلى عصر تسود الاشتراكية فيه بني الإنسان وتسدد خطاهم إلى آفاق العصر الذهبي ، وتحقق الجنة الدنيوية على الأرض ، تلك التي وعدتنا بها شرائع السماء في الحياة الأخرى !

فلندع الآن إصلاحات ثقات الفن وأساتذته في روسيا في كل من النقش والرسم والبناء إذا انها وثبات أولية لم تؤت القوة التي تستطيع بها أن تنهض إلى جانب ما شيده الإنسان منذ فجر التاريخ في هذا الحقل . أما أثر السياسة في هذه الحقول فيسبب الغرض منه عزل روسيا عن مدن العالم ، وتغذية العامل بلون واحد من ألوان الطعام . ولا يخفى ما ينتج هذا التحديد في آفاق الحياة العامة من تعصب وضيق في وجهة النظر قد يرجع بالاتحاد السوفياتي الحر إلى تمثيل نفس الدور الذي لعبته محاكم التفتيش والسلطات الكنسية في القرون الوسطى ، أو إعادة مظالم القيصريّة التي لم يمض على محاربتها ربع قرن

ولتوجه الآن شطر الغرب قليلاً ، لنقف على وجهة القوم في الادب

— ٣ —

يقال في تعريف فن الادب انه ضرب من ضروب التعبير عما يحيش في صدر المؤلف من شعور مبهم ، ونداءات يستجيب لها حين يلجأ إلى الادب يعبر به عما يجد من شعور . وهذا التعريف يقودنا إلى العنصر الذاتي « Subjectivism » الذي نشأ منه المذهب الابداعي « Romantic » وعكس ذلك ان يقال في هذا الفن انه وسيلة لتأدية فكرة إلى القارىء . وهذا هو الجانب الموضوعي من الادب « Objectivism » الذي نشأ منه الاسلوب الواقعي « Realism » ^(٢) وهو المذهب الذي طغى على رومانكية القرن الثامن عشر ، متسلحاً بمبادئ العلم اليقيني ، خاضعاً

(١) معضلات المدنية الحديثة : لاسماعيل مظهر صفحة ١ (٢) Lascelles Abercrombie : Criticism

لقوام الرقي والنشوء ، متخذاً صبغة علمية خالصة عندما ظهر في أفق المعارف العامة علم النفس الحديث في مستهل هذا القرن. وسنرى في هذا البحث تطور الادب في الغرب ومركزه في هذه المدارس الاسلوبية في بعض أوكار الفن في اميركا وأوروبا

يعرف علماء النفس اللغة بأنها أصوات حيوانية تصدرها الحنجرة اذا ما تأثر المتعزي (١) بأي مؤثر جسدي كالالم واللذة ، والخوف والغضب ، والحب والكراهية (٢) ويعدون استكشاف طرق التفاهم بالكلام تطوراً كبيراً ، وحادثة من الحوادث التي وضعت حداً فاصلاً بين عهدين متباينين ، سرهما الانسان في سرى تطورات الفطرة الرئيسية في أعماقه

والانسان انما يسجل فيما ينتج من الأدب أفكاره بالنسبة الى حالات جسمه ، وصفاته الطبيعية ، وليس في مقدوره ان ينظر في ظواهر السكون ونظامه نظرة موضوعية خارجة عن خواص الذات البشرية . اذ ان كل تعريف تنتجهُ قرايح المفكرين ، انما يعرف أصدق تعريف ذاتيتهم التي لن يستطيعوا ان يتدكبوا سبيلها ، لانها متغلغلة في تضاعيف كيانهم البشري

بهذه النظرة الموضوعية (٣) أجرى العلماء عدّة تجارب على الحيوانات وانتهوا الى ان كل بادرة عقلية ، انما هي انعكاس ذاتي ، ورد فعل لتأثر الحواس باحدى المؤثرات الخارجية (٤)

وهكذا تهدم هذه النتائج العلمية العقائد السائدة حول الوحي والالهام ، وتردها الى حظيرة التفسير المادي ، التي يدخل ضمنها كل تهيج روحي او وحي مما فوق العقل ، قد يكون سببهُ وضع خاص يتخذه الجسم أو حالة معينة يتأثر بها الجهاز العصبي ، وتعيها الحواس . وينبئنا العلم بأنه في الامكان أن تعاد هذه الحالة الروحية ، التي يعتقد السواد الاعظم انها هبة تخضع لمشيئة الالهة ، أو عوامل المصادفة بواسطة هذه المؤثرات التي يصحبها عالم « الموضوع » على عالم « الذات » ! (٥)

فان كان هذا حقاً ، فالادب لم يعد وحياً تلهمهُ السماء بضعة نفر من الناس ، وانما هو - الى حد ما - علم له قواعد ومهيجات يُلقاها الطالب في دراسته كأسس تستمد عناصرها من « الفساجية » Physiology . فما هي الا أن يعي الطرق التي يسيطر بها على حالات جسمه ، لينبه بهذا

(١) المتعزي هي الكلمة التي وضعها المجمع اللغوي لمعنى عضوي

(٢) The Mind and Face of Bolshevism. P. 221. New-York 1928. Published by Harper & Brothers N. Y. & London.

(٣) نستعمل كلمة « موضوعي » هنا استمهالا فلسفيا نعني به العالم الخارجي ، دون ان يكون لذات الانسان او ميوله علاقة به . ومن الواضح ان استقراء الحقائق الموضوعية ممكن في التجربة والملاحظة ، وقد قلنا انه عسير الى حد الاستحالة في الاستنتاج والتفكير المجرد

(٤) لا يكاد يخلو كتاب في علم النفس من أمثلة التجارب على الحيوانات وخاصة الكلاب . أما صاحب هذه التجارب فهو بافلوف غالبا . وهو عالم روسي توفي منذ سنتين تقريبا

(٥) Ways of Behaviorism. John. B. Watson. Ch. 3.

التفاعل المادي الصفيق ، وحي الشاعر الكامن في اعماق روحه الهاجمة . فينتج أني شاء وكما يشاء !
قد تلوح هذه النظرة المادية في الادب حقيقة علمية لا سبيل الى نقضها ، ورغم انها لا تزال
بعيدة عن حيز التجربة الموضوعية المتقنة — شأن كثير من نظريات علم النفس الحديث —
الا أن كثيراً من التجارب الطبية الحديثة تعزز وجهة نظر أصحاب هذا المذهب المادي مثل
السلوكيين Behaviorists الذين يشكرون وجود العقل والارادة واللاشعور وغيرها مما عجز العلم
بوسائله المعروفة عن إثبات وجودها ، فاعتبرها فرضاً ضرورياً . وهم يفسرون التفكير مثلاً
بأنه اهتزاز دقائق المخ المادية ، يشترك فيه المجموع المتعضي كله ، كعضلات الحلق والصدر
والرجلين ^(١) وهذا حقيقي بالمشاهدة والاختبار

في هذا الوقت الذي يكتسح فيه تيار العلم حظائر الادب ويكشف بأعاصيره الستار عن
الشعور وحقيقة الالهام ، نجد ان الكثرة المطلقة من الشعراء لا تزال تعتقد بالوحي الشعري ،
وتناضل عن هذا الرأي ، ولا تجد الفضاضة الدلالية بأن ترضى قانعة بمشقة المصادفة والوحي
على ان الادلة قد توافرت وأثبتت التجارب بأن الشعر الذي يبلغ المنزلة الرفيعة من الجودة
الفنية ، التي علمي على القارىء أثر الاحساس النفسي ، انما هو في الحقيقة من جهد التفكير العميق ،
والارادة الدائبة ، فنحن نخطئ كثيراً إن حسبنا أن الشعر وحدة تخضع لشرائط الشعراء ،
وموهبة لا تسيّرهما مؤثرات العقل والجسد

ولقد يكون من الخير أن نلزم الصمت ، لننقل رأي كاتب فرنسا الكبير بول فاليري ، عضو
المجمع الفرنسي ، في فقرات من احدى محاضراته النفيسة . قال شاعر فرنسا الكبير : —
« ينظم الشاعر حين يفيض قلبه ، ويمتلئ صدره ، فينطلق لسانه ويقول شعراً . ولكنكم
وددت أن يكون هذا الرأي الفطير صحيحاً سديداً . إذن لتحتمل الشاعر تكاليف الحياة ،
ورضى الميّن بميسور الشقاء . ولكن القريحة الفنية قد تبدل وتظلم حتى لا تمي امرأ ولا تنطق حرفاً .
فن يقول بهذا الرأي الغرير يخضع الشاعر لسلطان القدر العايب . وكذلك يفقد الانتاج الشعري
مرهوناً بالمصادفة الموانية واللمحة المشرقة ، أو متصلاً بالوحي العالي والموهبة الخارقة . ولست
اعلم افتتاناً على حرية الشاعر وامتهاناً لكرامته كهذا الرأي العاثر ، يجعله منفصلاً لا فاعلاً ،
وحاكياً أميناً يقول ما يلقى اليه من الكلام ، فما كان شراً قالوا هذا من عنده ، وما كان خيراً
قالوا هذا من عند الله !

« لقد يمتاز الشاعر من بين الناس كافة بلحظات مشرقة خاطفة تعصف بذاته وكيانه عصف
الريح بفروع الشجر ، فتفتح لديه مغاليق نفسه ويطل على دنياه السكائمة ، ويلوح عجائب الروح

تلك لحظات ثمينة تضيء ما اختبأ بين اللحم والدم ، وتبعث من المعاني والصور ما لا يفهمها او يفدورها الا الشاعر وحده ، لانها مختلطة بأوضار المادة ، صادرة عن اسرار الظلام . وهي معان وصور لا تثبت للمنطق الظاهر ، ولا تلتين للبيان الشعري . وكل ما في الامر انها قطع تنتثر من أعماقنا على جالها الطبيعي ، كما تنتثر الاحجار الكريمة من جوف البركان . ولقد ينبغي ان نطرح الاوشاب ، ونحفظ بالعنصر الصالح ، لنذيبه في قالب جديد ، ونقدمه جوهرة خالصة للناس « فالذين يؤمنون بالوحي الشعري يقتلون العمل والابداع ، ويرضون بالشاعر وسيطاً تملي عليه القدرة ما تشاء من ضروب القول ، وألوان المطالعة . وما لمثل هذا يُسخر الفن . . . ويخلق الشعراء ! » اهـ ^(١)

— ٤ —

يبني العلماء على النظرية المادية السابقة في الادب ، نتائج لها خطورتها وقيمتها الادبية . فإن تجاوزنا عما يتولد من اصطدام هذه النظرية بالدين ! . ألفينا العلم على الضفة الاخرى ، نبشاً بأنه يحسن بالانسان المتمدن — حين نشوء صور جديدة من الحضارة — ان يجدد اللغة التي يفسدها كثر العصور ، ليساير موكب التطور والارتقاء ، السائر بخطى سهلة خفيفة ، وليسهل نشوء وحدة ثقافية تتناصر مع صور الحضارة المادية في بناء مدينة كاملة باقية ^(٢) . وقد يلمس هذه الحاجة الاقوام الذين يعيشون في مجتمعات تختلف اختلافاً كلياً عن بيئات أجدادهم الذين ورثوا منهم اللغة فيما ورثوا من اسباب الرقي

وتجديد اللغة انما يكون بطرح الالفاظ الميتة ، التي كانت تعني شيئاً لدى اجدادنا بحسب مقتضيات مدنيتهم ، واستبدالها بألفاظ تحت بمقتضى حاجات العصر ، وتعني لاهله شيئاً بحسب ما يشعرون . ولا نذهب في تعديد الطرق لنحت الكلمات او وضعها وترجمة المصطلحات العلمية ، فهذا من شأن المتخصصين . وانما يشعر بهذا النقص في مستهل نهضة الشرق الحديثة ، كل من حاول ان يترجم عن إحدى اللغات الاوربية الحية كتاباً في الفلسفة او علم النفس او علم النبات او علم الحياة ، الى غير ذلك من فروع المعرفة الانسانية ، التي يعتبرها العلماء وحدات عضوية تخضع لتاموس النشوء والارتقاء بمعنى نشوء فروع جديدة من المعرفة على مر الزمن ، وتطورها الى حالات من التمايز والتغاير الجزئي ضمن نطاقها المتحد . اما بقاء اللغة بمفرداتها على سير الزمن ، فشكل من اشكال الثبات الذي لا يتفق مع طبيعة الحياة المتحولة ابدأ

فشكل نظرة لا تعتبر اللغة كائناً حياً قد ينحل ويذبل اذا لم نمده على الدوام بدم تقي جديد انما هي عامل تقهقر رجعي يعوق سير الرقي ، ويذر اللغة كالمرآة الصدئة قد خط عليها الزمن

أشباح الماضي الجامدة ، فهي مرسمة عليها لا تريم ، لتعكس في كل عصور التقدم صورة واحدة للعصر الذي نشأت فيه . فكأنما تكبلت أطرافها وغازت حيويتها وقد أدرك علماء الغرب هذه المبادئ الأولى لازدهار الثقافة . فتناولوا بالتأليف والتصنيف والترجمة معاجم اللغة في العلوم والآداب والفنون ، واستطاعوا ان يجاروا بثقافتهم ثورة الانقلاب الصناعي . وكوّنوا مع بدايات العصر الآلي ، وحدة أدبية تعبر عن روح هذه المدنية الغربية ، وتسمها بسمه ها روعتها . وسنحاول فيما يلي ان نقدم صورة من الشعر الاميركي الحديث لتعطي للقارئ لمحة سريعة عن تطور الآداب ، وتأثيرها بحضارة القرن العشرين الآلية (١)

— ٥ —

الشعر قطعة من روح العصر ، وهو مجموع تراكيب كيميائية منسجمة الألوان متحدة العناصر ، تذوقها الأذن الموسيقية بقدر ما في الشعر من عذوبة الجرس ، ويعيها الوجدان فيتأثر بما تبعته من ضروب المعاني ، وما توصله من صور التعبير . والعاطفة الشعرية إنما هي الاحساس بهذا العالم الذي يجرده الشاعر من نفسه ، فيعيش فيه لحظات طوالاً أو قصاراً ، يتجه فيها الى ما يملأ خياله من الرؤى ، عارضاً ما أولته الطبيعة من حس وادراك للانفعال بالمؤثرات الخارجية والاستجابة لها . فاذا استطاع ان ينقل الى ذهن القارئ او السامع ما يملأ ساحة شعوره المبهمة ، أو يجسم في حدود اللغة هذه الاشباح والرؤى التي تبعها في نفسه مؤثرات الطبيعة او مجالي الحياة « كان بذلك أديباً مفضلاً يمتاز باستجابته لداعي الاحساس اللفظي . وهي الخطوة الايجابية التي تميز الشاعر المنتج عن القارئ العادي (٢)

فهل تشعر اذا قرأت « الشعر الحديث » بأن الميّن يوصل اليك في هذه العبارات القصيرة واللمحات السريعة ما يحول في خياله من الصور ؟ قد تمضي وقتاً قصيراً او طويلاً في شيكاغو ، فتنسب في تيار البشرية الجائشة ، وتأملها كالبحر الخضم المائج ، المسرع على أرجله ومجلائه وقد تنقادفك أبا ليسها فتسلبك فراغك وشخصيتك ، وتدبحك في ضمانية كثيفة من البشر . وتصرفك عما تحرص عليه من هدوء الببال وسحر الخيال ! فهل تشعر اذا رقصت مع الشاعر على توقيع قصيدة ، أنك في شيكاغو حقاً . . . يزعمك ضجيج دواليها بقدر ما يروك أسلوب الشاعر في التعبير ؟ هل تعيش ولو لحظات خاطفة في هذا الجو الفني الذي يتولد في أعماق الشاعر من قلبه بين ضروريات حياته ومظاهر مدنيته ؟

قد تقرأ قصيدة لاعرابي يعيش في البادية . فيسحرك فيها انسجام الموسيقى في البحر الذي يختاره لقصيده ، وفي الكلمات التي ينتقيها ليوصل اليك الصورة التي تراود عقله ، وفي الأسلوب الذي يفهم به الامور والاشياء لينقلها اليك ، كأنما هي لوحة فنية قد اكتملت قبل ان يبعها وجدان

(١) اقرأ هذه المختارات في « حديقة المقتطف » في هذا العدد (٢) Lascelles Abercrombie : Criticism

الشاعر، وتجري على لسانه. ولكنك ترى في الشعر الحديث أنه لا يقيد بوزن أو قافية، وأننى لشعر القرن العشرين أن يوضع في رداء خيط قبل أن تنشأ المدينة الحاضرة، واقصر على وضعه متخلفاً عن موكب النشوء والارتقاء. وإنما هو كلام ينحدر من قام الشاعر كما تنحط الجنادل من القمم الشاهقة، يستمد صلابته من العلم. ويبلغ دقة الوصف في عبارات موجزة سريعة الصورة، متوثبة المعنى، حتى لكان الشاعر ينظم حين ينظم مسرعاً، حريصاً على أن لا يمنح لقصيدته من الوقت فوق ما ينبغي!... وأنت حين تقرأ لشاعر حديث، تجد الشعور الذي يرى لك أن الشاعر يكابد في انتزاع الكلمات التي يعبر بواسطتها عما يتوثب في عقله من المعاني، ويجد غير قليل من الجهد حين يبحث بين أوضاع اللغة المتوارثة عن رداء يضع فيه بنات أفكاره وبكارى معانيه. ولو قد اطلقنا له حرية القول، لتحرر من القيود التي يتواضع عليها الناس، ولا تنثر لديه عقد اللغة، ولأنشأ أوضاعاً جديدة من الكلام بحسب ما تلقى في روعه مظاهر حياته ومدنيته. وأنت تطالع في هذا الشعر النغمي بالآلة غناء قد يجحد حيناً حتى يبين كأنه كلمات مرصوفة لا تمت إلى الشعر بسبب، وقد يسمو أحياناً فيأتي في روعك ما في روع الشاعر من الأحلام، وروعك ما يتبعثر فيه من صور فنية يستلهمها الشاعر من دوي المعمل أو دخانه! ونجد في هذا الشعر أيضاً قرب غور معانيه، وندرة البديع اللغوي، أو التعقيد في المعنى، وإنما الشاعر يتسلسل مما يحوطه من الماديات إلى آفاق بعيدة من الخيال الشعري. ولكنك واجد فيه على كل حال ثورة صناعية على أمنا الطبيعة، التي تقدم لنا أروع صور الفن في دوح من البان يزه النسيم فيترشح من الهواء كأنما فيه نشوة من الطرب! أو ترنيمة غدير ينساب بين الصخور فكأنما تتردد في خريره معاني الطبيعة الهادئة أو وحي التاريخ السحبق. فنثور عليها طالبين وحي المادة، وما تبعثه من آفاق محدودة، أو أنغام جامدة. غير أن الجمال الفني في الشعر كما يكون وليد الطبيعة أو كما يكون في سبر أعماق النفوس وحصد ثمرات حقل الشعوب، فإنه يكون في الشعر الحديث في كل عصر، وهو رهن نشوء صور جديدة من ألوان الحضارة المادية. إذن فنحن لا نجد، حين نقرأ هذا الشعر، صورة النفس البشرية الخالصة من أضرار المادة وضرورات الحياة بل نجد النفس التي طغت عليها قواصر العيش، فتغنت بهذا الكلام عبوديتها للآلة وذلها للعادة الصفيقة، بعد أن كانت صفحات الطبيعة هي المصدر الغالب لكل ما أنتج العقل البشري من شعر وقد لا نستطيع لأول وهلة أن نتذوق مقاطع الشعر الحديث ومعانيه لاعتبارات كثيرة أهمها اختلاف البيئة وجدة هذا التوجيه، وقد نراه خالياً من الانسجام الموسيقي، غداً بارداً. لانتا نودنا أن نلوا الشعر لفظاً جميلاً، يستعمل في اتساق متشابه قوي رائع، ونحتفظ به في الذاكرة ولنبعد لفظاً جميلاً أبداً، تهضمه النفس الواعية، ثم لا تبالي أن هي ثمت، أو حزنت، أو ثارت، ما دام في انشادها رنة الفرح، أو أنة الألم، أو زوة الهوى!

(١) ابن سينا

ليس بين ما نظمهُ الاقدمون قصيدة أدنى الى معتقدي وأقرب الى ميولي
النفسية من قصيدة ابن سينا في النفس

في هذه القصيدة النبيلة قد وضع الشيخ الرئيس أبعد ما يراودُ فكرة الانسان،
وأعمق ما يلازمُ خياله من الاماني التي تولدها المعرفة ، والسؤالات التي يثمرها
الرجاء ، والنظريات التي لا تصدر الا عن التفكير المستمر والتأملات الطويلة

وليس من الغرائب صدور هذه القصيدة عن وجدان ابن سينا وهو نابغة
زمانه ، ولكن من الغرائب ان تكون مظهر الرجل صرف عمره مستقصباً أسرار
الاجسام ومزايا الهوى . فكأنني به قد بلغ خفايا الروح عن طريق المادة وأدرك
مكونات المعقولات بواسطة المراثيات فجاءت قصيدته هذه برهاناً نيراً على ان
العلم هو حياة العقل يتدرج بصاحبه من الاختبارات العلمية — الى النظريات
العقلية — الى الشعور الروحي — الى الله

قد يجد المطالع في ما نظمهُ كبار شعراء الغربيين مقاطع متفرقة تذكره بهذه
القصيدة السامية . ففي روايات شكسبير الخالدة أبيات لا تختلف بمعانيها عن قول ابن سينا
وصالت على كرم اليك وربما كرهت فراقك وهي ذات تفجع
وفي اقوال شلي ما يماثل

سجعت وقد كشف الغطاء فأبصرت ما ليس يدرك بالعبون المهجع
وفي تأملات غوثي ما يضارع
وتعود عالمة بكل خفية في العالمين فخرقها لم يرقع

وفي ما قاله بروانتغ ما يضاهي
فكانها برق تألق بالحمى ثم انطوى فكانه لم يلمع

ولكن الشيخ الرئيس قد تقدم جميع هؤلاء بقرون عديدة . فوضع في قصيدة
واحدة ما هبط بصور متقطعة على أفكار مختلفة في أزمنة مختلفة . وهذا ما يجعله
نابغة لعصره وللصور التي جاءت بعده ، ويجعل قصيدته في النفس أبعد وأشرف
ما نظم في اشرف وأبدع موضوع

(١) ننشر هذه القطعة من آثار جبران خليل جبران بمناسبة نشرنا للفصل الاخير من
البحث المسهب في سيرة ابن سينا ومؤلفاته



تقدم علوم الطب

— ٢ —

للدكتور - شريف عيسوي -

صدر حديثاً كتاب علمي جليل من أقسى الكتب العلمية موضوعه «تقدم العلم»
دبجته أقلام أئمة علماء الانكليز في هذا العصر أمثال السير جيمز جينز والسير وليم براج
وماالدين وهكسلي وابلتن . وقد نشر فيه الدكتور ادورد ملاني فصلاً نفيساً عن تقدم
علوم الطب فيه فائدة للاطباء وطامة الناس . فنقلته لينتفع به الناطقون بالضاد :

ولنستعرض الآن بعض نتائج انفجار هذا النشاط الطبي الذي تدل عليه زيادة التتبعات
الطبية وانتشار المؤسسات الكثيرة . وخير طريقة لذلك مقابلة معدل الولادات والوفيات
الناتجة عن الامراض النوعية . بلغت وفيات الاطفال دون السنة من العمر بين سنة ١٨٩٦ — ١٩٠٠
١٥٩ بالالف بينما سقطت سنة ١٩٣٤ الى ٥٩ بالالف وبلغ معدل وفيات الرجال بسن ٤٥ — ٥٠
(٢٠ر٣) بالالف سنة ١٨٧٠ — ١٨٧٥ وهبط سنة ١٩٢٦ — ١٩٣٠ الى ١١ر٧ بالالف
وهبط وفيات السل الرئوي من ٣٤٧٨ بالمليون بين سنة ١٨٥١ — ١٨٦٠ الى ٧٤٠ بالمليون
سنة ١٩٣٤ ونقصت وفيات السعال الديكي من ٥١٠ بالمليون سنة ١٨٧١ — ١٨٨٠ الى
٥١ بالمليون سنة ١٩٣٤ والحصبة من ٣٨٠ الى ٩٣ بالمليون والتيفوئيد من ٣٢٠ الى ٤ بالمليون .
وقد هبط معدل اكثر الوفيات المذكورة في القرن الحاضر . أما السل فقد بدأت تناقص وفياته منذ
ما يقرب من مائة سنة . فاذا اتخذنا هذه الارقام مقياساً أدركنا المدى الواسع الذي تقدمت فيه
الصحة العامة خاصة في الثلاثين السنة المتأخرة

وهناك طرق أخرى غير المذكورة تؤدي الى نفس النتيجة اي تحسين الصحة العامة . صحيح
اننا خطونا خطوات كبرى في تشخيص الامراض والوقاية منها وطرق معالجتها ولكن مما لا ريب

فيه ان طائفة من الامراض تلاشت لاسباب لا علاقة لها بالطرق المذكورة ونذكر على سبيل المثال ان وطأة الامراض خفت لاسباب لم تخرج عن حد الظن كداء النقرس (gout) الذي كان كثير الانتشار منذ مائة سنة فأصبح الآن نادراً ولا يعلم احد سبب قلته . ويظن البعض ان سبب ذلك هبوط التسمم بالرصاص . ومن الامراض التي قلت في الثلاثين السنة المرض الاخضر Chlorosis^(١) وهو ضرب من فقر الدم يصيب النساء . فمذ ٢٥ سنة كانت المستوصفات تعج بالفتيات المصابات بهذه العلة . أما اليوم فقل من يعرفها من الاطباء لندرتها . ويزعم البعض ان سبب تلاشيها اقلع النساء عن لبس المشدات ولكن هذا الرأي مجرد ظن . ومن الامراض القتالة التي كانت منتشرة انتشاراً فظيماً بشكل وبائي اسهال الاطفال الصغرى فكان يقضي على ألوف الاطفال وقد تناقص الآن كثيراً . ويعزو البعض نقصانه الى تلاشي الذباب من المدن (في بلادهم لا بلادنا) بعد ان حلت السيارات محل الحيل ولكن لم يبت في السبب بعد . ومن الاسباب المهمة لتحسن الصحة نقصان تعاطي المسكرات . وفي هذا نقصان اسرار اكثر مما ندرك في الوقت الحاضر ولكن نستطيع حتى الآن ان نجزم بأن بعض الامراض الناشئة عنه قد قلت كثيراً بعد ان نجحت لجنة الاشراف على المشروبات في حل الشعب على الاعتدال في تعاطيه ففدا الهذيان الرعشي الناشئ عن الكحول نادراً ومن المرجح ان شطراً من اسباب قلة سحق الاطفال في الفراش^(٢) يعزى الى هذا العامل مع ان حوادثه كانت كثيرة

والسبب الثالث لتلاشي بعض الامراض التحسن الكبير في التنظيم الصحي (Sanitation) والنظافة الشخصية . والفضل الاكبر لانكثرتا في قيادة حركة سن الشرائع المتعلقة بالصحة العامة ويجب ان لا تنسى هذه البلاد (يقصد انكلترا) ما لبعض الشخصيات البارزة من الفضل العظيم في حمل المجلس النيابي على تصديق شرائع كهذه رغمًا عن شدة المعارضة . ولا نسمع الا القليل عن هذه الشخصيات امثال Chadwick, Murchison, Simon, Alcband, Buchanan and Benjamin مع ان جهودهم الجيارة هي التي أدت في الشطر الثاني من القرن التاسع عشر الى هبوط الامراض هبوطاً هائلاً . ان انتشار او بئة الهيضة الآسوية ساعد كثيراً في حمل المجلس النيابي على سن تشريع الصحة العامة لسنة ١٨٤٨ الذي كان حافزاً لتشريع التنظيم الصحي لسنة ١٨٦٦ . ومع ان التنظيم الصحي ابتداءً عدة سنوات قبل اكتشاف كوخ وكان العمل به من الامور المسلم بها في ذلك الوقت فانه ازداد زيادة عظيمة حينما تبين ان الجرثيم هي مصدر كثير من الامراض وان أغلبها ينتقل بواسطة الماء واللبن الحليب . وما لا جدال فيه ان بعض الامراض

(١) نوع من فقر الدم يصيب النساء وعلى الاخص حديثات السن

(٢) يقصد سحق الامهات لاطفالهن ليلاً وهم نائمون بجانبهن

قد زال تقريباً بسبب تحسن التنظيم الصحي كالهضة الآسوية والبرداء والطاعون والحمى النشبية والتيفوئيد^(١) وآخر الحميات التي تلاشت هي الحمى التيفوئيدية وصارت الوفيات بها صدفة في بريطانيا وتبلغ ٤ بالمليون سنوياً ولا عذر لنا في هذا الوقت حتى على هذا العدد اليسير من الوفيات بها وللغفلة الآن الى ناحية اخرى من هذا الموضوع وهي عدد كبير من الامراض تقدمت معرفتنا بتشخيصها ومعالجتها والوقاية منها تقدماً عظيماً بفضل البحوث الطبية الحديثة . وقد تقدمت هذه المعرفة من ثلاث جهات بصورة تقريبية . فالفئة الاولى تشمل الامراض المتولدة من الحيوانات الاحادية الخلية Protozoa والبكتيريا والفيروس فنشأ من درسها فرع من فروع البكتريولوجي يعرف بالمناعة وآلت معرفة الاطباء المناعة الفعلية والواسطية الى تخفيف وطأة بعض الامراض الجرثومية بعض الشيء كالحناق والحمى الدماغية الشوكية والحصبة والحمى القرمزية . وقد رأينا ان الجدري تلاشت او قلت من عهد جزر بواسطة التطعيم الذي يولد مناعة ضدها وبنين حديثاً ان المصل الممنوع (المولدة فيه المناعة) المأخوذ من دم ولد شفي حديثاً من الحصبة اذا حقن به ولد معرض للعدوى بهذا المرض فاما ان لا يصاب ولما ان تكون الاصابة خفيفة . وما لم يكن الولد دون الثلاث سنوات عمراً او لسبب آخر خاص فان الطبيب لا يرغب في منع الحصبة بل يفضل اصابة خفيفة بها تولد مناعة فعلية . ونستطيع الحكم على نتائج هذه الطريقة الباهرة من تجارب أحد باحثي لندن فقد استعمل المصل الممنوع في ٣٩٩ ولداً بعد تعرضهم للحصبة فلم يمت منهم احد بينما مات ٥ بالمائة من الاولاد الذين اتخذوا ضابطاً فلم يلقحوا بالمصل الوافي . وآلت النتائج الحديثة في استعمال مضاد سموم الحمى القرمزية الى تقليل معدل الوفيات بها وتخفيف وطأة عواقبها الوخيمة

ان لتخفيف وطأة الحمى القرمزية والحصبة شأناً كبيراً في تقليل حوادث اصابات امراض الاذن الوسطى الناشئة عقب الحصبة والحمى القرمزية لان عدداً كبيراً من اصابات الصمم في هذه البلاد^(٢) ناشيء من مرض الاذن الوسطى واذا لم يقمع هذا الداء العضال فان مشكلة الصمم ستبقى . وقد استنبطت الطرق الآن لتخفيف تأثير هذين المرضين والسير عليهما يؤدي الى النتائج الحسنة وقد اكتشفوا ضرباً آخر من المعالجة لمعالجة الامراض المتولدة من الحيوانات الوحيدة الخلية وهو المعروف بالمعالجة الكيميائية Chemotherapy كالكلفرسان ومشتقاته الادوية النوعية في معالجة الزهري التي لا تقلل هذا المرض فقط بل تأثيراته العصبية كشلل المجانين العام وأشباهه وقد حل محل السكينين الذي يعد دواء نوعياً للبرداء لدرجة ما ، مستحضر الاتبرين^(٣)

(١) هذا في بلادهم نعمي ان تكون سائر من على الدرب (٢) وفي بلادنا ايضاً ينشأ من الحصبة (المعرب)

(٣) لم يذكر البلازموكين بجانب الاتبرين ونعتقد انه لا يزال للسكينين منزلة السامية (المعرب)

ومستحضر باير ٢٠٥ في بدء الاصابات بمرض النوم

ان فئة الامراض الثانية الكبرى هي المتولدة من اضطرابات المفرزات الداخلية فالقدم
(٢) and Myxedema (١) Cretinism يشفى باعطاء الثيروكسين وهو خلاصة الغدة الدرقية
والسكري بالانسولين وهزجة الحائط بال Parathrombone خلاصة الغدد المحاذية للدرقية ومرض
ادسن بخلاصة الجزء القشري من الكظر وفقر الدم الخبيث بخلاصة الكبد . وبما اتانا لا نستطيع
الافاضة في اتصارات الطب الباهرة في هذه الناحية نرى ان لا بد لنا من توجيه النظر
الى اكتشاف حديث عظيم الشأن فان Dakin وزميله استخرجا خلاصة الكبد بصورة
صرفة او ما يقرب من ذلك وفعل هذه الخلاصة عجيب فان حقن ١٠٠ او ٢٠٠ منها اسبوعياً يجعل
الضعيف الشاحب اللون قوياً نشيطاً وتصيره في اسابيع قليلة مؤرد الخدين يحيي حياة طبيعية
كغيره من الاصحاء . ولا يزال هذا الفرع في تقدم مستمر وله مستقبل كبير وكل من له الملم
بمخلاصات الغدد الجنسية كال asterin, progestin, and androsterone يدرك امكان تقدم
هذا الفرع غير المحدود

ان فئة الامراض الثالثة القابلة للمعالجة هي الامراض الغذائية . وقد عثروا اثناء البحث
في هذا الموضوع على الفيتامين الذي هو من العوامل الاساسية في منفعة الغذاء ف عزلت مواده
وعرف تركيبها وصرنا نعرف بفضل هذه النتائج كثيراً عن بعض الامراض كالسكران ونحر
الاسنان وقابلية العدوى ومرض الاسكربوط والبري بري وغيرها من الاضطرابات
الجسدية كالتسمم بالترمس والرعدة الناشئة عن التسمم بالجودر (Erpot) ومن نتائج هذا
الفرع المهمة اتنا صرنا نعلم ان ليست الجرائم فقط تسبب الامراض بل ان سبب بعضها نقص
او زيادة في بعض المواد الكيميائية الضرورية للجسم . ومع ان هذا السبب يعد حديثاً فالطلعون
على تاريخ الطب يعلمون ان هذه الفكرة ليست حديثة . ففي سنة ١٨٥٠ أدلى شاتان بنظرية
خلاصتها ان مرض الجوار (الجحوظ) متولد من نقص اليود وذكر حججاً يفتنه في تأييدها . ومن
صفحات الطب السوداء المؤلمة ان المجمع العلمي الفرنسي رفض نظرية شاتان بعد ان دققها
لجنة من قبل المجمع واعادت النظر فيها عدة مرات واعتبرتها خطأ لان اعضاها لم يصدقوا بان
لهذا القدر اليسير من اليود ذلك التأثير العظيم في احداث المرض او منعه . ولم تتحقق
نظرية شاتان ويصر لها شأن يذكر الا سنة ١٨٩٥ حينما بين بومان ان في الغدة الدرقية معدن
اليود . والفائدة الوقائية اُعلى شأناً من العلاج . صحيح اتنا نستطيع شفاء داء الاسكربوط
والبري بري بوصف الغذاء الملائم ولكننا نستطيع في الوقت عينه الوقاية منهما بالمداومة على استعمال

الغذاء المناسب لعدم الاصابة بهما. والشئ نفسه يصدق على مرض الكساح. وأودان اقول هنا كلمة عن موضوع الادوية الوقائية والشفائية فان الاطباء وعامة الناس لا يفقهون حقيقة أهميتها. ان الدواء الشافي عجيب في فعله لانه يزيل الداء حالاً ولا يستطيع المرء ان ينسى مدى تأثيره اذا كان مصاباً بمرض ما. اما المعالجة الوقائية الفعالة فانها تمنع حدوث المرض بتاتاً ولا سيما اذا صارت متداولة وشتان بينها وبين الطريقة الاولى. فالثانية تمحو المرض بينما الاولى إما ان تطيل الحياة وإما ان تخفف علامات المرض ولكنها لا تزيله فيجب ان يكون هدفنا الوقاية من الامراض او القضاء عليها لا معالجتها ويتوقف نجاحنا في هذه الناحية على مدى معرفتنا اصل الداء ومنشأه. ومن العقبات التي تعترض الاستقصاء العلمي لدرجة ما عدم توصلنا الى كنه حقيقة الامراض فاذا تمكننا من معرفة سببها سهلت الوقاية وسهل الشفاء وان لم يكن باستطاعتنا ذلك فقد تمكننا من تخفيف الألم ولا نعرف او نعرف قليلاً عن سببه او قد نعرف الشئ الكثير عن مرض ما ونجهل طرق الوقاية منه او شفاؤه. فمثلاً قليلة هي الامراض التي نعلم عنها اكثر مما نعرف عن السرطان ومع ذلك لا نعرف الا اليسير عن طرق الوقاية منه. اما معرفتنا عن شفاؤه فنصفر. وعكس ذلك السكري وفقر الدم الحثيث فاننا نستطيع اتقاء ضررها بالانسولين وخلاصة الكبد فتحسن حالة المصاب مع اننا نجهل او نعلم القليل عن سببهما

وأودان اقول الآن بضع كلمات عن مباحث طبية خاصة لا بين كيفية كشف الستار عن سبب الامراض ومعالجتها ولان معرفتها هي التي ادت في هذه البلاد (يقصد انكلترا) حيث المواد الغذائية متوفرة الى ضلال الناس في حقيقة فهم الغذاء وتأثيره في الصحة. فقد ظل داء الكساح في انكلترا وسائر العالم المتمدن قروناً ضربة قاضية ومع ان شدته صارت نسيباً نادرة في لندن فلا يزال منتشرأ في كثير من البلدان الصناعية في الشمال وسببه كما هو معروف نقص في كلس العظام بعرضها لمختلف التشوهات. وحتى سنة ١٩١٤ او ما يقرب من ذلك كانت النظريات مختلفة في سبب هذا المرض وعزوه الى أسباب صحية او معدية او افرازية او غير ذلك. فدائرة المعارف البريطانية مثلاً عزته في طبعة سنة ١٩١١ الى سموم تولد في القناة الهضمية واذا اراد اي شخص الآن ان يعرف سبب داء كهذا يتساءل هل كانت الحيوانات تصاب به فاذا كان من الممكن احداثه فيها فيمكننا اجراء التجارب اللازمة والتوصل الى معرفة السبب ولكننا لا نتمكن طبعاً من اجراء تجارب كهذه على الانسان وأول ما يجب عمله في معرفة السبب ان نعلم بالطريقة التي تمكننا من احداثه على الدوام في جراء الكلاب بمحض اختيارنا. وبمثل هذه التجارب عرفوا ان بعض الاعذية تسببه وان تغييراً طفيفاً فيها يمنع. ومواد الغذاء الاختباري كما يلي : —

لبن حليب منزوعة قشده : ١٥٠ — ٢٥٠ س . م يومياً

دهن : (زبدة زيت الزيتون او شحم او زيت كبدة الحوت) ١٠ غرامات

عصير البرتقال : ٥ س ٢٠ خمير : ٥ — ٧ س ٢٠

حبوب : (كالديقي والارز والاذرة و...) ٢٥٠ — ٠٠ غرام لحم : ١٠ — ٢٠ غراماً
وقد وجدوا ان الكساح يحدث او لا يحدث وفقاً للدهن الذي في الغذاء فاذا كان فيه
دهن حيواني كالزبد او زيت كبدة الحوت فلا يتولد الكساح . واذا اطعمنا جراء غيرها نفس
الغذاء وفيه زيت الزيتون او زيت بزر الكتان او شحم تولد فيها هذا الداء . واستنتجوا من
هذه الاختبارات ان الضابط هو الدهن فبعض انواعه تسبب تصلباً في العظام كالزبد وزيت كبدة
الحوت وبعضها ولا سيما الزيوت النباتية تسبب رخاوة فيها فدعوا المادة التي هي العامل في الصلابة
والرخاوة (فيتامين) وتسمى الآن فيتامين D فهي التي تسبب صلابة العظام بترسيب فوسفات الكلس
فيها ولا تتصلب العظام اذا كانت هذه المادة مفقودة رغمًا عن وفرة المواد الكلسية والفسفورية
فيها . فهذه المادة هي التي تثبت الكلس . ونستطيع تغيير نوع الحبوب لتجربة تأثيرها باحداث
الكساح او عدم إحداثه بنفس الطريقة فاذا اطعمنا جراء كلاب كل عناصر الغذاء الاساسية
بشرط ان نطعم بعضها دقيقاً أبيض وغيرها شوفاناً oatmeal والبعض الآخر أرزاً الخ يظهر
الكساح بدرجات وفقاً لنوع الحبوب ومقدار الفيتامين D الذي فيها فالغنية به لا تسبب الكساح
والتي تحوي قليلاً منه تجعل الاصابة خفيفة وهلم جرا . فالاذرة البيضاء مثلاً تولده بصورة شديدة
والديقي والارز بدرجة اخف . فهذه التجارب تدل على ان ظهور الكساح لا يتوقف على نقص
الفيتامين D فقط بل على نوع الحبوب التي تؤكل . ومن الحقائق الغريبة ان الحبوب التي فيها
كلس وفسفور أكثر من غيرها كالاذرة البيضاء والشوفان oatmeal هي التي تولد أروءاً انواع
الكساح بصورة أشد من المواد المحتوية على مقدار أقل منهما كالارز والديقي الخ

ان هذه النتائج تدلنا على ان لا نكتفي بالنظريات بل على المرء ان يجرب بنفسه ليصل
الى الحقيقة . وقد طبقوا هذه التجارب على الاسنان فظهر ان لنخرها علاقة بالغذاء لان المواد
التي تجعل العظم قوياً هي التي تثبت الاسنان السليمة . فيتضح لنا من هذه الدروس ان الحليب
وصفار البيض واللين وزيت كبدة الحوت والزبد هي العامل في توليد الاسنان الصحيحة بينا الحبوب
كالاذرة والشعير والخبز والارز وكل فئة الحبوب تثبت الاسنان المعيبة . وبما ان الرواضع
(أسنان الحليب) تظهر في كثير من الحيوانات في الدور الجنيني او بعد الولادة بقليل فمن
البيهي ان تنمو صحيحة اذا اطعمناها المواد الغنية بالكلس والفسفور والعكس بالعكس والثوابت
(الاسنان الدائمة) تظهر من بعد الولادة حتى سن البلوغ وتتوقف سلامتها ايضاً على نوع الغذاء .
ومن المعلوم ان اسنان اهل هذه البلاد (انكلترا) ليست صحيحة ومعناه ان غذاء الاولاد حتى

الحوامل ناقص بصورة عامة من وجهة صحة الاسنان . ونستطيع ان نتنبأ على وجه يقرب من الجزم ان نخر الاسنان ونجيح الاسنان Pyorrhea سيظلان ضربة على الامة مالم يتغير نوع الغذاء ولا يمكن انقضاء عليهما الا باعطاء الحليب والزبد وصفار البيض والحلين والخضر والفواكه الخاصة للاولاد . لقد أثبت على ناحيتين فقط من أهمية الغذاء مع ان مجال القول ذو سعة في هذا الموضوع . وقد أصبح من المعروف ان كثيراً من العيوب الجسدية والعقلية في هذه البلاد وغيرها يمكن تقليلها جداً بالتقيد بمبادئ الغذاء المذكورة وسيكون لهذه الوجهة من الطب الحديث الوافي تأثيرها في رفع مستوى صحة العالم

لقد اكملت مهمتي الآن واستعرضت تقدم الطب في مختلف العصور خاصة سرعتها في الحسنيين السنة المتأخرة . وانتقدت الاقدمين في محاضرتي لبطئهم في الاهتمام بالامراض والاختفاء التي ارتكبوها اما عمداً وإما سهواً . ومن الطريف ان نعرف نظر الناس فينا بعد آلاف السنين وحكمهم على ما توصلنا اليه . وعلى الأرجح انهم سوف لا يفكرون بقضية الامراض اذ من المحقق انها نسيج نادرة جداً للدرجة ما وبصير المرء يجهد فكره ليتذكر انتشار المرض الفلاني ولا بد ان يقوم منقب يبحث في سير الاولين وآدابهم فيرى اننا تأخرنا في تقدير الطرق التجريبية ويسخر من بطئنا كما نسخر من الذين قبلنا . لقد حاولت ان ارد بعض أسباب بطء الاقدمين في التوصل الى الحقائق التي توصلنا اليها اليوم . ومن الخطأ ان تقبلها كما نراها اليوم ولا نلنفت الى الجهود التي بذلها البشري في التوصل اليها فعلينا ان لا نتمسك بالنظريات مطلقاً دون التجارب . وسيعثر فيلسوف القد المنقب عن آثارنا على كثير من الامور المستترة . وما لا شك فيه انه سيقص على اصدقائه كيف كان الاطباء سوائهم عن اقتناعهم الشخصي او بناء على طلب المريض يصفون سلسلة من الادوية كالحايل والغرغرات والمساحيق . واذا كان سيسخر من هذه الامور فما احراء ان يسخر من هذه البلاد المتوفرة فيها المواد الغذائية الصحية ومع ذلك يحرم الكثيرون من أبنائها منها واعني بصورة خاصة اللبن (الحليب) . ويعجب حينما يعلم ان مصدر مقابض المظلات ينطبع مثلاً الحصول على مقادير كبيرة منه بسعر الغالون الواحد بخمس بنسات بينما لا نستطيع الحصول على نفس المقدار لتغذية الاطفال بأقل من شلنين وخمس بنسات . وما لا ريب فيه ان هذه الحالة مؤقتة ومتى عرفنا قيمة الغذاء الصحيح أصبحت أسسه راسخة رسوخ التنظيمات الصحية والنظافة اليوم . فالأكتشافات الصحية تترى في الوقت الحاضر وهي تتقدم بخطوات سريعة والحقائق الطبية تتراكم يوماً فيوماً ولا حد لهذا التقدم حتى ان الموظف في الشؤون الصحية يصعب عليه تتبع الطب الوافي — ويجدر بنا ان نعلم اننا في عصر الطب الذهبي وان نفرف بالتمتع التي تتمتع بها اليوم

دائرة الحياة

« كل يوم هو في شان »
« ونرى الجبال تحسبها حامدة وهي تمر مر السحاب »
(قرآن كريم)

شاعر أطرب الاله طويلاً بمقاطيع عذبة الالخان
اسكر الله لحنه فدعاه ليرى خطب ذلك الانسان
قيل: يا شاعر الاله تخير! لك من هذه الدنا ما أردته
قال: هاتوا الخلود يا جند ربني فأجابوا بئس الذي قد طلبته
أرأيت الاملاك هاجت وماجت تملأ الارض والسماء دويًا
مالدود التراب يرجو خلوداً؟ ان هذا قد جاء شيئاً قريباً
رعشة في قلوبهم قد تمشت ولوجه الاله خروا سجودا
قيل: أعطوا عبدي الذي يبتغيه يطلب الخلد فامنحوه الخلودا
نفخة الخلد في حناياه قرئت إنما الخلد للاله العلي
ألبسوه ثوب الخلود وآبوا واحتفى الخلد بالفتى السرمدي
خبروه بين المواطن فاخترار على شاهق رفيع مقامه
تركض الارض حوله وهو ثاو ينظر الارض والشموس أمامه
كم عروش هوت على صاحبها وتمايل حطمتها الصروف
وتهاويل قدسوها رآها تتلاشى كما تلاشى طيوف
كم الله على التراب صريع وآله عن عرشه قد نهاوى
بصرع البعض بعضهم فيختر الكل من سكرة الصراع نشاوى
نظر الارض والتطور فيها عامل في الجماد والأحياء
وهو لا يأتي بطل عليه ابداً وجه هذه الزرقاء

جاء دهر عليه وهو مجيل
 فاذا بالرجاء قد مات فيه
 أنا وحدي في الارض تذهب نفسي
 ما ابتغاني من الخلود وحيداً؟
 أيها الغادي للتراب رويداً!
 افتح الباب للردى وانتظرنى
 كل حين أستطلع الركب منهم
 ينزعون الجلود ثم يعودو
 هذه من عشقتُ نَفْنَى ونَحْيَا
 وجه ليلي، وروح ليلي، وليلي
 جهلني وليت تذكر يوماً
 مص من روحها الثرى كل وعي
 سمع الله عبده وهو يشكو
 سام عاذني وأضعف نفسي
 قال رب السماء آمن بآني
 ملا الناس بالشكاوى سمائي
 يطلبون البقاء في الارض دهرأ
 لا تلوموا على الفناء وجودي
 كل يوم ترى الآله بشأن!
 ما خلودي دوماً بمفني شيئاً
 لدة الارض هل تخاف انطفاء؟
 أفن جسماً واللبس سواء جديداً
 كن كمثل الزمان يوصل ماضيهِ بآتٍ، وعش كشيء جديد
 فيك شيء من الفناء، وشيء
 قد قبسناه من صميم الخلود!

فهايل لفراوى

وزارة المعارف

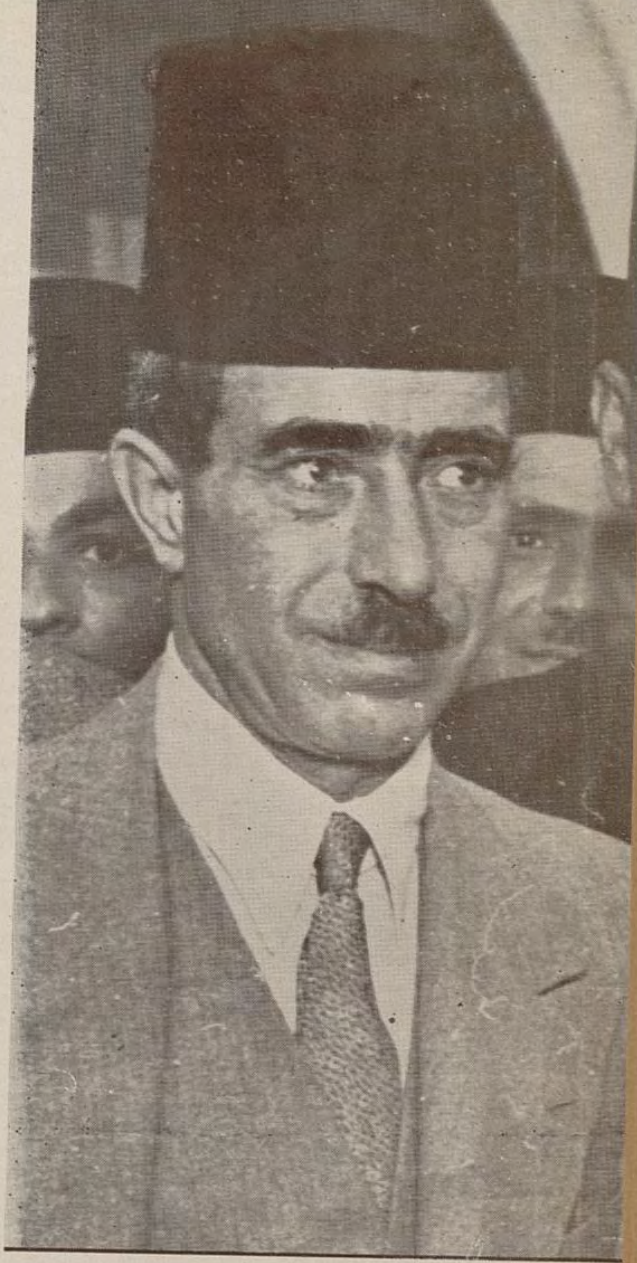
نشاطها في دراسة

مشكلات التربية وتشجيع الثقافة العامة

— ١ —

ظلت وزارة المعارف بمصر رديحاً من الزمن طويلاً تعمل في دائرة لا تتعدى الحدود التي ترسمها حاجة الحكومة الى موظفين يقومون بالاعمال الكتابية . ولم تتخط الوزارة هذه الحدود الا في ناحيتين اضطررتها الظروف القاهرة الى تخطيطهما : الاولى حاجة البلاد الى قضاء ومحامين يقيمون هيكل العدل بعد اعادة تنظيم المحاكم الاهلية فأنشئت مدرسة الحقوق ، والثانية حاجة البلاد الى مهندسين يشرفون على مشروعات الري والصرف وتوزيع مياه النيل فأنشئت مدرسة الهندسة . وفيما عدا هاتين الناحيتين لم يشعر المصريون بان الوزارة أثرأ في توجيه الثقافة العامة وجهة ما . ولقد نقول يقين ثابت ان هذه السياسة ظلت مهمينة على وزارة المعارف حتى عام الثورة سنة ١٩١٩ ، فكان هذا حداً فاصلاً بين عهدين من حياة وزارة المعارف . فان اتجاه الافكار الى المثل والغايات العليا وتحويل أنظار الامة الى الاستقلال والى الحرية قد نال وزارة المعارف منه نصيب وافر تطلعت بعده الميول الى التوسع في شئون التعليم توسعاً لوفسناه في مدى عشرين سنة بما كانت عليه حال التعليم قرناً بتمامه ، لما استطعنا ان نمثل لهذا القياس الا بمحركة الكهرباء مقيسة الى مشي السلحفاه . هذا اذا اعتبرنا النتائج العملية التي عادت على البلاد من تلك الاستيقاظه الاخيره

ولقد تدرجت الوزارة في الاخذ بأسباب الاصلاح ، غير ان اعظم وجوه الاصلاح في نظرنا ذلك الميل الجديد الذي بدا أخيراً في أفق وزارة التربية والتعليم من حيث الاتصال بالحركات الثقافية التي تكون خارج جدرانها . وفي الحق ان انبتت الصلة بين الوزارة وبين أوجه التنقيف التي كان يقوم بها أفراد عاملون في خارج الوزارة كان سبباً رئيساً عاق التنقيف العام زمناً ما . ولا شك في ان الوزارة باتخاذها هذه الخطوة الموقفة سوف تحقق جزءاً كبيراً من مهمتها الشاقة باعتبارها المهيمنة على الثقافة وعلى التربية العامة . ولا شك في ان الخطوات التي اتخذت في هذه السيل حتى الآن خطوات ثابتة سوف تتبعها خطوات اكثر توفيقاً باذن الله . فان تأسيس مجمع اللغة العربية الملكي والعمل على تأسيس المجمع الادبي وتنشيط الحياة الفكرية تكفي للدلالة على صحة ما نقول



مرة صاحب المعالي الدكتور محمد حسين هيكل باشا وزير
رف وهو خارج من بهو الجامعة المصرية حيث ألقى خطبته
التي نشرنا مختارات منها في صفحة ٣٣٠

— ٢ —

في الوسع تقسيم اعمال وزارة المعارف في خلال الاشهر الاخيرة، الخاصة بتشجيع الثقافة العامة بين عامين أو لها القسم الخاص بالمباريات حثماً لهمم وحفزاً للقرائح وقد صدر امر الوزير الدكتور محمد حسين هيكل باشا، بتنظيم ثلاث مباريات كل سنة يمنح الفائزون فيها جوائز مالية نفيسة

١ — المباراة الاولى خاصة باحياء الادب العربي في مصر الاسلامية. وقد جاء في قرار الوزارة:

«نفذت وزارة المعارف العمومية كل عام مسابقة في احياء الادب العربي في مصر الاسلامية على ان يقدم كل من المستبقين كتاباً لا يقل عن مائتي صفحة يتناول فيه اية ناحية من نواحي هذا الادب في اي عصر من العصور وعلى ان يكون الكتاب مثلاً حسناً للعمل الجدي والبحث الشخصي والابتكار الذي يفيد العلم فائدة محقة». وقد عينت الوزارة «مبلغ ٥٠٠ جنيه تمنح منه ثلاث جوائز لاحسن الكتب التي تقدم في هذه المسابقة» وآخر موعد لتقديم الرسائل للمباراة الاولى هو اول يونيو سنة ١٩٣٩

٢ — والمباراة الثانية خاصة بالمدرسين عامة في الموضوعات التي تقترح معالجتها وقد جعل عنوانها «مباريات تشجيع الانتاج الفكري» وجاء في قرار الوزارة «بما اننا نرى ضرورة العمل على تشجيع الانتاج الفكري بين المدرسين بمدارس الوزارة والمدارس الحرة من طريق حفزهم الى البحث والتأليف في موضوعات اختصاصهم والموضوعات المتصلة بها بما يؤدي الى تقوية شخصيتهم وزيادة جوية دروسهم وتكوين ذخيرة من الرسائل العلمية والادبية تدعو الى نشاط التفكير العام اذ ينفع بها الطلاب والجمهور المثقف على السواء وتكون بعيدة عن التقيد بالمناهج وان اتصلت بموضوعاتها، وبما ان المدرسين والاساتذة في جميع البلاد المتحضرة مصدر التجديد العلمي والفكري والعلمي في توجيه الحياة الاجتماعية الى أحدث المبادئ وأدق الآراء العلمية والادبية والفنية»

ولتتوزع الوزارة رصد جوائز سنوية للمدرسين الذين يضعون رسائل علمية وأدبية تمنح في مباريات نفذ كل عام للتأليف بين المدرسين تخصص لها جوائز ثمان قبة كل منها مائة جنيه تمنح للبارين الذين ترى لجان التحكيم ان رسائلهم جديرة بالمنح» وتخصص جائزة لكل من الموضوعات التالية وهي:

الادبية — الاجتماعية — الفلسفية — التاريخية — الجغرافية — الطبيعية — الرياضية — المتصلة بالتربية وعلم النفس — التجارية — الصناعية — الزراعية

وقد اشترطت الوزارة في الرسائل التي يتقدم بها واضعوها لنيل الجائزة ان تكون باللغة العربية وان تكون موضوعاتها بعيدة عن التقيد بالمناهج وان اتصلت بموضوعاتها بعيدة عن طبيعة الكتب المدرسية وان تبدو فيها روح الابتكار في طريقة معالجة الموضوع على الاقل وان يكون لها اتصال بحياة البلاد العلمية والادبية او تاريخها القومي وان تصطبغ بالصبغة القومية في الامثلة

والتطبيق وان يراعى في التأليف التبسيط واستيفاء البحث من جميع أطرافه ، والامانة العلمية في ايراد الآراء والنظريات وان يتبع واضع الرسالة أسلوب البحث الحديث وطرائق النقد الحديثة في ايراد نظرياته ومناقشتها كما يشترط ان تكون الرسائل قد وضعت خصيصاً لهذه المباريات ولم يكن قد سبق طبعها ونشرها . وألاً تقل عن مائتي صفحة من القطع المتوسط . وتولى الوزارة نفقة طبع الرسائل التي تنال الجوائز ونشرها وتحفظ المؤلف قسطاً من ارباحها

وقررت الوزارة ان «تحدد لهذه المباريات في كل عام مدة غايها ستة اشهر بتبديء من اول يونيو وتنتهي في آخر نوفمبر يتقدم فيها المتبارون برسائلهم للوزارة غير مطبوعة»

٣ — والمباراة الثالثة خاصة «بالفنانين المصريين لظهار بعض النواحي القومية في قالب فني» وان «يعرض كل ما يقدم من الآثار الفنية في معرض عام يقام في شهر نوفمبر من كل سنة وتؤلف لجنة محلية من ذوي الاختصاص لفحص ما يقدم من هذه الاعمال الفنية وتقرر الصالح منها للعرض واختيار الاعمال الممتازة لنشرها وضمها الى مقتنيات وزارة المعارف لتكون نواة لمتحف للموضوعات القومية وتوزيع جوائز على المتفوقين» . والمبلغ المرصود للجوائز ٥٠٠ جنيه. وهي تتفاوت من ٥٠ جنيهاً (جائزتان) الى ٣٠ جنيهاً (٤ جوائز) الى ١٥ جنيهاً (ثمان جوائز) الى ٨ جنيهات (١٠ جوائز) الى ٥ جنيهات (ست عشرة جائزة) ولما كانت المذكرة التي وضعها مرافب الفنون الجميلة تسمد برناجماً للناحية القومية في النشاط الفني فاننا ننشر ما يلي منها :

لما كانت الفنون الجميلة تساهم في نهضات الشعوب بنصيب وافر لا يقل بحال عن نصيب قادة الفكر ودعاة الاصلاح وهداة الوطنية بما لها من أثر في ادهاف الحس وتحريك العواطف بحيث كانت ولا تزال من أبلغ الوسائل وأقدر العوامل على حفز الهمم واذكاء جذوة الحياة في الامم اذا توجهت هذه الوجهة بدافع صدق من اشتراك اصحابها الفنانين مع ابناء وطنهم في البواعث والشعور وبخاصة انها أقرب من غيرها من وسائل التعمير الى مخاطبة الامة جمعاء بحكم انها تصويرية تتمثل للعيان وتقع تحت الحواس الظاهرة

ولما كان فنانون مصر الحديثة حريصين الحرص كله على المساهمة في نهضتها كأسلافهم فناني مصر القديمة الذين خلدوا على الصخر مفاخرها الغراء الباقية على الدهر. فتتشرف المراقبة باقراح ما يأتي :
أولاً — دعوة الفنانين المصريين — وبلادنا في أبان نهضتها واستئناف عزتها — الى ان يستبقوا لتعزيز الروح القومي بفنهم مع الحرص على رسالة الجمال التي هي رسالتهم . وذلك بمعالجة الموضوعات الالهية وما يجري مجراها : —

﴿التاريخ المصري﴾ يعد التاريخ المصري في أحقاب المتطاوله ، وما تداول أئمة من دول وما تخلله من احداث جسام ، من أحفل التواريخ قديماً وحديثاً بالمواقع الحاسمة والمواقف الرائعة



حضرة صاحب السعادة الأستاذ محمد العشماوي بك
وكيل وزارة المعارف

فهو يحدث عن وقائع حربية برّاً وبحراً وعمّا كان فيها من هجوم ودفاع ، وحصار واستيلاء على الحصون والقلاع واشتباك بين العائر البحرية وعمّا كان من توديع للجيش المسافر واستقباله في عودته استقبال الظافر ، وعمّا يصحب ذلك من معارض الاسلاب ومواكب الاسرى ، وكذلك مداولات القواد والتقاء أمراء العسكريين واجتماعات التحكيم والمصالحة وما إليها . ولا جرم ان مثل هذه الصور تحتاج الى دراسات تاريخية عميقة للعصر وأزيائه ونوع ادواته وأساليه المعاشية وملامح الوجوه وسماتها وعلى الاخص في الصور التي تلتقي فيها أجناس عدة بالمصريين كالحثيين والاحباش والنوبيين والاشوريين والاغريق والفرس في التاريخ القديم ، وكالعرب والصليبيين من مختلف الممالك في القرون الوسطى ، وكالاتراك والمالوك في العصور الحديثة . على ان هذا الجهد الذي يتكلفه الفنان يسفر عن اروع الصور والتماثيل وأوقافها بالمتعة والفائدة . ومع أن الغرض من هذه الصور تقوية الروح القومية في الامة وتوعيدها الافتخار بتاريخها وتوكيد ثقتها بنفسها فليس معنى ذلك قصر آثار الفنانين على الانتصارات بل يصح تصوير الوقائع التي منبت فيها الجيوش المصرية بالهزيمة لتألب الاعداء عليهم او لغير ذلك من الاسباب الخارجة عن ارادتهم مع ابراز ما اظهروه من معاني الاستبسال والاقدام على التضحية وبذل النفس الغالية في ميدان الشرف

﴿ الآثار التاريخية ﴾ من شأن الفن الالتفات الى الآثار التاريخية ولا يكون ذلك بنقلها نقلاً فوتوغرافياً بل بالاعتماد على هذه الاطلاع الدوارس بعيد الفنان بخياله بنائها كما كانت في عهد ازدهارها ويعمرها باهلها سواء أعمابد كانت ام قصوراً . ويسري هذا على الآثار الفرعونية كما يسري على الدور العربية وجميع الآثار الاسلامية

﴿ الموضوعات الدينية ﴾ في تاريخنا الديني كثيرون دعوا الى الحق وآثروه على حطام الدنيا وزخرف الحياة ، وما زالت سيرتهم العاطرة تخفف من سلطان المادة على النفوس وتلطّف من كثافتها . ول هؤلاء في مصر أضرحة ومقامات وسبل ماء لاستقاء السابلة كما ان فيها فضلاً عن المساجد والجوامع زوايا لعبادة الله ليس لها ضخامة تلك وخفامتها ولكن عليها مسحة من القدسية تخشع لها النفس . والفنانون يمجّدون في سيرة هؤلاء وآثارهم معيناً طاهراً يستوحون منه موضوعات تشعّر بطعم الحياة الروحية وتمعن الاشتغال بما فيه صلاح الناس ورضى الله

﴿ المناظر الطبيعية ﴾ بعض المواقع الطبيعية المألوفة في مصر تتعلق بها ذكريات قديمة فاذا نشع الفنانون بهذه الذكريات وجلوها على مسرح هذا المنظر كان المنظر الطبيعي بما أضيف اليه من المعاني وما غمره من خيالات الماضي أملاً للعين وأوقع في النفس

﴿ الاساطير والقصص الشعبية ﴾ لدينا من هذه الاساطير والقصص الشعبية ما لا يقل عما لدى الامم الاخرى بل ما يزيد عليها تنوعاً وغنى . وفي امكان الفنانين الاجاء بما فيها من المعاني

الرمزية من غير اخلال بسذاجتها الاولية كما هو الحال في تفسير الحرافات الاغريقية مثلاً . ولا شبهة في ان أمثال هذه الموضوعات تلذ الخاصة كما تسهوى العامة وليس أجدى على النهضة من اشتراك طبقات الامة جميعاً في قوة الشعور بها

﴿ المرأة ﴾ . كذلك لا يصح اهمال المرأة وهي عروس الفنون وصاحبة وحيها على ان يختار الفنانون المرأة في أوج سموها وعظمتها النفسية لا لمجرد فتنها الجسدية . والتاريخ المصري حافل بالنساء العظيمات ممن جلسن على عرش مصر وغيرهن ممن اشتركن في الذود عن الدين وحماية ذمار الوطن وكن مثلاً للخير والفضيلة

ومما يتبع المباريات في تنشيط الحركة الفكرية والفنية في البلاد قرار أصدره وزير المعارف بإنشاء لجنة برئاسة معاليه وعضوية الشيخ مصطفى عبد الرازق بك والدكتور طه حسين بك والاساتذة احمد امين و خليل مطران وعباس محمود العقاد و ابراهيم عبد القادر المازني وتوفيق الحكيم « لبحث وسائل تنظيم الحركة الادبية في مصر » لانه قد تبين « ان الحركة الادبية في مصر وان كانت قد نشطت وأصبح بها أثر ظاهر في تثقيف الجمهور وتوجيهه الا انها لا زال يعوزها التنظيم الذي يكفل لها اطراد التقدم وحسن التوجيه وبما انه قد نبئت فكرة الدعوة الى انشاء مجمع أدبي مصري يقصد به على الاخص الى تنظيم الحياة الادبية في مصر وإيجاد صلة منظمة تربط الادب والادباء والجهود التي تبذلها وزارة المعارف في تنشيط هذه الناحية وتعاون على تنمية الثروة الادبية في البلاد على غرار ما هو متبع في البلاد ذات النهضة الادبية الكبيرة» (١)

— ٣ —

هذا وقد ألقى معالي وزير المعارف خطبتين نفيستين في شؤون التربية والتعليم احدهما في اجتماع المدرسين في بهو الاحتفالات بالجامعة المصرية والثانية في اجتماع رجال التعليم الازمعي ومن بواعث الاسف ان المجال لا يتسع لنشرها كاملتين فاخترنا مقتطفات استوفت نظراً بما فيها من الحكمة العالية وصدق النظر قال : —

«على ان الامر في التربية والتعليم وضرورة تأثرهما بالفكرة القومية وبالتضامن القومي على الاجيال لاحاجة للانتفاع به الى هذه الموازنة بين العلم والعالم (٢) ، والانسانية والانسان . بل الامر

(١) أما القسم الثاني من اعمال وزارة المعارف في العهد الاخير فنصرف الى دراسة مشكلات التربية وفي مقدمتها مشكلة اللغة العربية وتسهيل تعليمها وأساليب تلقينها بحيث يخرج الطلاب وهم مالم يكون لئلا يصابوا ومشكلة المركزية واللامركزية في تنظيم الوزارة الاداري . وقد وضعت لجنة قوامها الدكتور طه حسين بك والاساتذة احمد امين وعلي الجارم بك ومحمد ابو بكر ابراهيم و ابراهيم مصطفى وعبد المجيد الشافعي تقريراً شاملاً في الاولى . وأعد سعادة الاستاذ محمد العشماوي بك وكيل الوزارة مذكرة نفيسة خاصة بالثانية . وستعالج الموضوعين في عدد تال (٢) اشارة من الوزير الى القول بأن العلم لا وطن له والقول الآخر بأنه اذا لم يكن للعلم وطن فللعالم وطن وقول الوزير ان العلم له وطن كذلك وانه يتأقلم

فيهما أيسر من ذلك بكثير . فكلنا متفقون على ان انجمع وسائل التربية والتعليم بالنسبة للناشئة ما كان المثل الحي اساسه وما وقع عليه الحس او استطاع ان يتصل به . فما استطاع المتعلم ان يلمسه يده ويراه بعينه ويسمعه بأذنه هو الذي يمثل الحقيقة في ذهنه ، وهو الذي يترك الأثر الباقي في نفسه . الناشئ الذي يرى الجبل ترسم صورته في ذهنه ولا يسهل ان يغيب تعريفه الجغرافي عن ذاكرته . والناشئ الذي يرى صورة موقعة حربية منقوشة على لوحة من اللوحات او تمثلة امامه في السينما يبقى ذاكرة لما رأى من ذلك اضعاف ما يذكره من حفظ عن ظهر قلب ماجرى في هذه الواقعة مما مثلته الصورة او استظهرته الشاشة البيضاء . واذا كانت قواعد العلم الحديث تستلهم سنن الكون من المشاهدة والملاحظة ، ثم من المقارنة والتبويب ، ثم من استقراء ذلك وترتيب النتائج عليه ، كذلك يفعل الناشئ ، وكذلك يجب ان يعود المعلم ان يفعل ، فيما يقع عليه حسه من المراتب والسموعات وغيرها من سائر المحسوسات»

* * *

«التعليم الذي يعتمد على البيئة القومية له — فضلاً عما سبق — أثر في الحياة لاسبيل الى دركه من طريق آخر . لقد قدمت ان عمل الاجيال يجب ان يفضل متضامناً لزيادة الثروة القومية ، معنوية كانت هذه الثروة أم مادية ، ولا يمكن ان تزيد هذه الثروة الا اذا عرف الالباء ما عمل الآباء في أمرها . فاذا لم نقف على تاريخ صناعتنا وفننا وأدبنا وعلما وكل مظهر من مظاهر حياتنا وجعلنا همنا الى استعارة معارفنا من غيرنا ، كان ما يتركه كل جيل مختلفاً عما يتركه الجيل الذي سبقه ، غير قابل للالتزام معه الا بمجهود يحتاج الى زمن والى رجوع الى المقومات القومية التي تعاون على النجاح فيه . فاما اتصال التعليم بالحياة القومية على الاجيال فيعطينا من هذا المجهود الذي يذهب الكثير منه سدى ، ولا يؤول الى النتيجة التي نرجوها من اتصال المزيد في ثروتنا»

* * *

«وأقف قليلاً لأقول ان الحرية التي يفهمها المذهب ليست الفوضى ، وأما هي النظام . فالحرية القائمة على أساس من التربية العقلية السليمة تجعلنا نزيد خطواتنا لتسير في السبيل المستقيم الذي يبلغ بنا الى الغاية التي نبتهيها

«الرجل الذي يقدر الحرية على انها النظام ، ويقدر ذلك عن علم ، يؤمن بأن واجبه الاول ان يحترم حرية غيره ، وان يؤدي بذلك للغير واجبه ، وان يتعاون مع الغير مقابل تعاون الغير معه ، وان يقوم بواجباته لذلك طائعاً مختاراً مؤمناً بأن في ذلك الخير له ولا مثاله جميعاً ، مطالباً ايهاً بأن يؤديوا واجبهم كما يؤدي هو واجبه»

« وحسبكم لتقدروا جلال هذه المهمة ان تذكروا ان المعلم الالزامي يحل من الاطفال الذين يعهد اليه بتربيتهم محل الاب والام ، وان عليه في هذا الدور من أدوار حياتنا القومية واجبات نحو هؤلاء الابناء اكبر من واجبات آبائهم وأمهاتهم . فهو يتولى أمر هؤلاء الاطفال من اطفال اليوم ورجال الغد ، وهم لا يزالون في السابعة من عمرهم . ويتولى أمرهم وقليل منهم من عني أهله بتربيته في السنوات السبع الاولى من حياته ، لان هؤلاء الاهلين جهلاء ، ولا تفهم فوق ذلك مأخوذون عن تربية ابنائهم بالسعي للحياة والسكاح فيها . فواجب على هذا المعلم ان يتم النقص في الطفل وان يقوم على تربيته وتهذيبه ليكون من بعد مصرياً فاضلاً نافعاً في حياته الجماعة وان بعده ليكون في مستقبل أيامه شاباً صالحاً وأباً يعني من شئون ابنائهم بما لا يعني الآباء اليوم به من شئون ابنائهم ، لانهم لم يجدوا المعلم الذي يوجههم في الحياة التوجيه الصالح ومن يؤدبهم فيحسن تأديبهم »

* * *

« وكما ان محبة المعلم لتلميذه تحرك في نفس التلميذ محبة أستاذه ، فهي بذلك أسوة حسنة ، كذلك الاسوة هي المحرك الاول للفضائل في نفس الناشئ ، وعلى محورها تقوم التربية الصالحة . والمعلم الذي يحسب ان التربية الحلقية او النفسية تقوم على التعاليم او على النصيحة التي يقرأها الاطفال او يحفظونها عن ظهر قلب دون ان يروا مثلها واضحة امام أعينهم معلم غير ناجح بل معلم مفسد للناشئة ، مفسد لزملائه اذا لم يكونوا أقوى منه نفساً وأكثر بقواعد التربية الصحيحة إيماناً »

« إخواني : انكم تعلمون ما لكم من أثر في البيئة التي تكونون فيها . وأنتم اليوم اعظم أثر لانكم أنتم في اكثر البيئات القارئون الكاتبون الذين ينظر اليهم الناس على انهم اولو العلم والفضل ، ومصدر الهداية وحسن التقدير . فاذا رأوا فيكم المثل الخاطي الكريم ، ورأوا منكم الاحتفاظ بالكرامة ، وباستقلال الرأي ، والحرص على الخير العام كنتم لهم الأئمة الصالحين ، وكنتم بذلك قد مهدتهم لبلادكم طريق الرفعة والرقى السريع »

« يا حضرات المعلمين : اذا قامت التربية على أساس من عاطفة المحبة ومن الاسوة الحسنة انجبه الجميع الى معرفة بلادهم وما فيها مدفوعين لذلك بعاطفة من الحب يزيد ما يجدونه في هذا الوطن من أسباب الخير والنعمة ، وما يجدونه في تاريخه من دواعي الفخر والمجد . وحسبكم انتم رجال التعليم الالزامي ان تعلموا اهل كل اقليم ما ينطوي عليه من خير أفاده الله عليه ، وما كان له على التاريخ من اثر في العصور المختلفة ، وان تعلموهم ذلك بلغة قصصية سهلة يفهمونها ويحبون لذلك من أجلها اقليمهم ، لتكونوا قد بلغتهم رسالة المعلم الالزامي بعد ان تكونوا قد قمت بدوركم الجليل في تربيتهم وتعليمهم »

مؤتمر علم النفس

الحادي عشر^(١)

للدكتور مظهر سعيد

عقد مؤتمر علم النفس الدولي الحادي عشر بباريس في ٢٤ يولييه الماضي (١٩٣٧) وظلَّ منعقدًا ثمانية أيام متتالية بالسربون . وافتتحه المسيو دلبوس وزير الخارجية وختمه وزير المعارف المسيو جان زاي . وقد مثل فيه نحو ثلاثين دولة وعشرين جامعة ومعهداً علمياً كبيراً وحضره نحو ثلثمائة عالم اخصائي في علم النفس كاعضاء عاملين ومائتي اخصائي في العلوم الاخرى المتصلة بعلم النفس وغيرهم من المستمعين كاعضاء منتسبين . ومثلت فيه من البلاد الشرقية اليابان والصين والهند ثم مصر لأول مرة في العام الماضي . وقد بلغ من اهتمام الحكومة الفرنسية به دون سائر المؤتمرات الدولية التي عقدت بباريس وهي بالمئات — أن أقام رئيس الجمهورية بقصر الاليزه ووزيرا الخارجية والمعارف ومدير الجامعة ومدير البلدية وعمدة باريس ومكتب المعارض الدولي ما دُب منعدة كان الاعضاء فيها موضع الحفاوة والتكريم . ونظمت لهم شركات السكك الحديدية وأقسام الباحث الجنائية وشركات الاجهزة السيكولوجية ورأسه اركان حرب الجيش — زيارات خاصة للعامل وكذلك مستشفيات الامراض العقلية والعصبية . وفتح لهم اللوفر مساء ليروه بأنواره النجيلة وأتي العلماء الاخصائيون محاضرات في سيكولوجية التاريخ والفن والديانات . واعدت لهم حفلات تمثيلية خاصة بمسارح الشاتليه وسانت انطوان ومدينة الجامعة مثلت فيها روايات سيكولوجية هامة متصلة بدراسة علم النفس مثل أوديب الملك وهاملت وماكبث وقطع ممنازة من مولير . ودعاهم المعارض لحفلة ساهرة على السين . ولهذا كله أثره الكبير في تعريف علماء النفس بعضهم ببعض واطلاعهم على ما يقومون به من مباحث لم تقدم بعد للمؤتمر وعرض ما تقوم به بلادهم في هذا الشأن . فهو في الواقع يبيء اطيب الفرص للدعاية القومية بطريقة علمية ولهذا المؤتمر شأن خاص في ميدان البحث العلمي فهو يعقد مرة كل خمس سنوات ليعرض

(١) المقتطف : اتفق لاحد اصدقاء المقتطف ان كان يزور الدكتور مظهر سعيد فدار الحديث على بعض وجوه التقدم في علم النفس فحدثه الدكتور مظهر عن مؤتمر علم النفس الدولي الحادي عشر الذي عقد في باريس في يوليو سنة ١٩٣٧ فطلب اليه ان يتجف المقتطف بمحدث هذا المؤتمر فلي . فنهضهما خالص الشكر

فيه العلماء آخر ما جدّ في العلم من بحوث ونظريات وما ابتكر من أجهزة وطرائق وبالجملة كل جديد ظهر خلال تلك السنوات . وقد قدم له نحو أربعة آلاف بحث من مختلف أنحاء العالم لاساطين هذا العلم والاسانذة المشتغلين به وهذا العدد على كثرته لا يمثل الانتاج العظيم في علم النفس وفروعه المتعددة لان المؤتمر يلزم العلماء ألاّ يقدم الواحد منهم أكثر من بحث واحد ذي صورة مختصرة . وقد أخذ المكتب الدائم للمؤتمر وهو مؤلف من خمسة عشر عالماً مختلfi الجنسيات أمثال ثورندايك في أميركا وسيرمان ومايرز وفالنتين في إنجلترا ويرون في فرنسا وجانيت وكلاباريد في سويسرا وكفسكا وكوهلر في ألمانيا وبونزو في إيطاليا وغير ذلك من الاسماء العالمية المعروفة — أخذ في دراسة ما قدم له من بحوث زهاء شهرين فأقرّ منها مائة وثمانية وعشرين فقط طبعت خلاصتها ووزعت على الاعضاء قبل انعقاد المؤتمر لدراستها ومناقشتها . ويخصص لصاحب كل بحث مقبول عشرون دقيقة يشرح فيها بحثه ونظرياته على الاعضاء ثم يناقشونه عشرين دقيقة أخرى وبعدئذٍ تبدي اللجنة الدائمة قرارها في البحث بالقبول او الرفض او الاشارة بالتعديل واعادة العرض في المؤتمر الثاني عشر الذي سيعقد بفينا سنة ١٩٤١ هذا عدا بحوث اللجان المشكلة من قبل والمناظرات بين العلماء أصحاب النظريات المتعارضة . ولذلك نجد هذا المؤتمر علمياً بحثاً وجدياً ومرهقاً لان المؤتمر ينعقد في كل يوم ثماني ساعات كاملة كلها بحوث ومناقشات فلا يتسع فيه الوقت لكلمات الترحيب أو عبارات الشكر وخطب ممثلي الدول عن بلادهم وجهودهم ومبلغ تفوقهم كما يحدث عادة في المؤتمرات الاخرى . بل ان المؤتمر يبدأ بحوته العلمية بعد خطبة الافتتاح مباشرة . وكانت البحوث تأتي في معظم الاحيان في قاعات المحاضرات الكبرى الاربع بالسوربون في وقت واحد لكثرتها . ففي الاول تعرض النظريات الجديدة البحتة وفي الثانية النظريات المعدلة والتطبيق والثالثة للبحوث الدولية والاجتماعية والرابعة للبحوث الطبية . وأدهشني في هذا المؤتمر شيء لم أعهد له مثيلاً من قبل . ذلك ان المقاعد ركبت فيها سماعات كهربائية تصل بقرص متحرك يشير الى اللغات الست المستعملة في المؤتمر . فبتحريك القرص على لغة خاصة يستطيع العضوان يسمع بها كل ما يقال في نفس الوقت الذي يتكلم فيه المحاضر مع انه يتكلم بلغة أخرى . ولا يتسع المقام هنا لذكر كل البحوث الهامة التي قدمت فوضعها كتاب خاص سأقوم بوضعه فيما بعد ولذلك أكتفي بسرد بعضها

(١) مشكلة المصطلحات العلمية واختلافها في اللغات المختلفة وضرورة تأليف لجان دولية للبحث في توحيدها . وقد عرضت على اللجنة نماذج من بحوثي في تعريب مصطلحات علم النفس والمعجم الذي أقوم بوضعه بالعربية وأبدت وجهة نظر البلاد العربية فوافقت اللجنة على ضمي اليها وسأرفع تقريري في مؤتمر فينا المقبل (٢) تعديل قوانين ثورندايك في ضوء مباحث مدرسة الجشالت . (٣) تعديل بعض الطرق والمعادلات الرياضية المستعملة . (٤) مقاييس جديدة للذكاء

والشخصية والامزجة والكفاية الصناعية . (٥) أجهزة جديدة في مختلف الفروع . (٦) كشف بعض الامور المعقدة في الاضطرابات العقلية وطرق تشخيصها بالاجهزة وعلاجها . (٧) وضع مناهج جديدة لدراسة علم النفس واعادة ترتيب فروع العلم وتدرج مباحثه على أساس جديد وغير هذا كثير مما يهتم كل أستاذ مصري لعلم النفس والفروع المتصلة به . وأرى من الواجب ان نحصر وزارة المعارف المصرية على الاشتراك في هذا المؤتمر وارسال الاساتذة الذين يستطيعون ان يقدموا بحوثاً جديدة هامة يكون في قبولها واقرارها من أكبر هيئة علمية في العالم شرف عظيم لمصر وقد شرفني وزارة المعارف باتتدائي لحضور هذا المؤتمر فعرضت النظريات الجديدة التي تضمنها واحد من البحوث الواسعة التي قمت بها في مصر وإنجلترا . ومن فضل الله أني وجدت في مطبوعاً وموزعاً مع البحوث المائة والعشرين التي قبلت مبدئياً وازداد سروري عند ما تقرر ان يكون بحثي الرابع بين جميع البحوث وان ألقيه في اليوم الاول بقاعة ريشيليو وبعد عرضه والمناقشة فيه قررت اللجنة الدائمة هذا القرار الذي يشرفني ويشرف مصر : « ان هذا البحث سنسوف لجميع الشروط العلمية ونظرياته مقبولة برمتها وفي ضوءه يتضح بالبرهان القاطع ان البحوث السابقة التي عالجت هذا الموضوع خاطئة ولا يركن اليها » . وسينشر البحث في الكتاب الرسمي للمؤتمر . وهذه المناسبة أشكر لمعالي وزيرنا المفوض في باريس تهنته الرقيقة وتشجيعه العظيم وكذلك مندوبي الصحف المصرية الذين بادروا باعلان هذه النتيجة لصحفهم في مصر وجميع الذين عاونوني في البحث بانكثرتا ومصر من أساتذة وزملاء ونظار وطلاب فلم الفضل كل الفضل في نجاحه ولا يتسع المقام لذكر تاريخ هذا البحث والتجارب التي أجريت والظرائق التي اتبعت فأسأمن كل ذلك كتاباً بالانكليزية وآخر بالعربية ارجو ان تساعدني الوزارة بطبعهما على نققتها ولذلك أكتفي الان بسرد النظريات والنتائج التي توصلت اليها : —

- ١ — أثبت بالبرهان القاطع وجود استعدادين طبيعيين موروثين مستقلين : أحدهما الاستعداد اللوني ويشمل كافة العمليات العقلية التي تتناول الالوان كالتعرف والتذكر والتصور والتقدير والمقارنة والحكم . والثاني الشكلي للاشكل وقد وضعت لها رمزين خاصين
- ٢ — لكل استعداد عامل عام يتناول كل الالوان وجميعها او الاشكال على اختلاف أنواعها . وهذا العامل ليس له أي ارتباط بالذكاء العام . فسرعة تذكر الالوان او تمييزها مثلاً ليس دليلاً على الذكاء العام بأي حال من الاحوال كما افترض العلماء والفنانون السابقون حتى عالم الفرنسي بينيا واضع اول أساس لقياس الذكاء أخطأ لجعله تمييز الالوان الاربعة المشهورة قياساً للذكاء في سن معينة عند الاطفال

٣ — ومع هذا فالاستعداد اللوني بدوره تتبعه ستة استعدادات خاصة مستقلة لكل لون من الالوان الرئيسية . فيكون الانسان قوياً في تمييز الالوان الحمراء وضعيفاً في الزرقاء . كذلك

أربعة عوامل أخرى خاصة بدرجات الألوان

٤ — وفي الاشكال كشفت خمسة عوامل مستقلة خاصة للاشكال المنتظمة وغير المنتظمة وذات الخطوط المستقيمة وذات الخطوط المنحنية والاشكال المؤلفة من الاثنين ووضعت لها هذه الرموز
٥ — التمرين على الألوان في التربية الفنية لا ينتقل اثره الى الاشكال واكثر من هذا ان التحسن في مجموعة ألوان لا ينتج تحسناً في مجموعة أخرى ولا التمرين على رسم الاشكال المنتظمة يفيد في رسم الاشكال غير المنتظمة

٦ — الاستعدادات اللونية لا تظهر في الطفل دفعة واحدة وانما لكل منها سن خاصة ينمو فيها ويظهر على أتمه والبنات على العموم اقدر من الاولاد ويصلن الى سن النضوج اللوني قبل الاولاد بسنين طويلة
٧ — لسكل من الجنسين ألوان خاصة يكون استعداده فيها قوياً عن الجنس الآخر وغير ذلك من النتائج الفرعية . وسيكون لتطبيق هذه النظريات أثر عظيم لا في علم النفس فحسب وانما في التربية الفنية وتشخيص الامراض العصبية وتحليل انواع الشخصية
وبكفني خيراً وتشجيعاً ان العلماء في اوربا قد اعترفوا بهذه النظريات من سنة ١٩٣١ وأقروها في بحوثهم ومؤلفاتهم واتخذوها اساساً لبحوثهم الجديدة منذ اطلاعهم على النسخ القليلة التي طبعها بانجلترا سنة ١٩٢٩ وان كان اثر هذا لم يصل لمصر بعد

فهذا الاستاذ الياس يقول في مجلة علم النفس الالمانية سنة ١٩٣٤ ان هذه النتائج تثبت ان البحوث السابقة للعلماء (كاتز ريفيز . فولسكت . كوينبرج) كلها خاطئة في طريقة البحث وان اساس تحليل الشخصية الذي وضعه (جانيش وكريتشمير) يجب تعديله في ضوءها . وقال الدكتور (اويسر) استاذ علم النفس العملي بكامبردج في مجلة علم النفس البريطانية سنة ١٩٣١ وسنة ١٩٣٤ وفي مقالة في مجلة (بسيكي) بالنص : « ان هذه النظريات التي قدمها سعيد في بحثه القيم هي اصلاح اساس لتحليل الشخصية الى نوعيها المتكش والمتمد وانها اصل من طريقة نيمان وكوهلشت . وقد أقر الرموز التي وضعها والتجارب التي قمت بها فاستعملها وأعادها ووسعها فوصل الى نفس النتائج . وأوصت مدرسة (فورتمبرج) بتعميم استعمال هذه المقاييس على مقياس جمعي واسع وخصوصاً من الناحية الاجتماعية

وأقر الدكتور (زنجويل) الاستاذ بكامبردج النتائج التي وصلت اليها والعوامل التي كشفها . وذكرها في كتابه « التذكر والتعرف » وقدم للمؤتمر بحثاً جديداً مبنيّاً عليها . ورأى الدكتور (مايرز) رئيس معهد علم النفس الصناعي البريطاني ان تعمم الطريقة التي ابتكرتها لتمرين ذاكرة الألوان والاشكال على جميع مدارس الفنون . وسيقوم المعهد (وأنا من اعضائه) بطبعها ويسرني بعد كل هذا اني استطعت ان أقدم لبلادي شيئاً يشرفها وموعدنا مؤتمر فيينا سنة ١٩٤١ للبحث الآخر باذن الله

ابن البيطار

لفؤاد عيّناني

برع العرب في مختلف فروع الثقافة والعلم ولا سيما في الطب والفلك وكانوا قدوة للعلماء والاطباء في اوربا فأخذ هؤلاء عنهم مدينة الشرق واليونان . وكان للعرب نصيب وافر في انشاء الحضارة الاسلامية وبعث النهضة الفكرية وعشق الفكر من قيود الماضي والنهوض به الى اسماى مراتب الثقافة والتفكير الحر . ومن كان لهم أثر حميد في هذه النهضة العلمية الطيب العربي الماهر والعشاب المدقق ضياء الدين بن البيطار الذي ساح في اقطار عديدة باحثاً متقللاً فصادف كثيراً من المشاق والصعاب في سبيل جمع النباتات النادرة الغريبة وترتيبها وتصنيفها ومعرفة فوائدها للاستفادة منها واستعمالها في الطب . وهو من اشهر من خدموا المدينة الاسلامية من ارباب العلم والفن فلم يسبقه أحد في علم النبات فكان اشهر العشايين وهو اللقب الذي كان يطلق على علماء النبات في تلك العصور الزاهرة (وكان ذكيا فطنا ثقة بما ينقله وكان حجة اليه انتهت معرفة النبات وتحقيقه وصفاته واسماؤه واما كنهه لا يجارى في ذلك)^(١) هو ضياء الدين ابو محمد عبدالله بن احمد الملقب النباني المشهور ويعرف بابن البيطار . ولد في مدينة مالقة بالاندلس في اواخر القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) ورجع بنسبه على الاكثر الى اسرة ابن البيطار التي استوطنت مالقة . درس علم النبات وفنونه على اكابر علماء عصره وكان استاذة في علم النبات ابو العباس النباني^(٢) وجمع واياہ نباتات كثيرة في ضواحي اشبيلية . ولما بلغ حوالي العشرين من عمره ورغب في زيادة الخبرة والمعرفة قصد الى شمالي افريقية ومراكش والجزائر وتونس فكان يبحث عن نباتات هذه البلاد ويعتني بجمعها ودرسها ويختار النباتات والاعشاب ويحققها ويبحث عن مواضع نباتها ونعت اسمائها على اختلافها وتنوعها . ورحل الى بلاد الاغارقة واقصى بلاد الروم واجتمع بجماعة كثيرة من الذين يعانون هذا الفن واخذ عنهم معرفة نبات كثير وعائنه في مواضعه واجتمع في المغرب وغيره بكثير من الفضلاء في علم النبات وعائين منابته وتحقق ماهيته . وظل مدة طويلة في ايطاليا وبلاد اليونان فاجتمع بعلماء الافرنج وباحثهم في النباتات والاعشاب وقد راجع كتاب (ديسقوريدس) العالم

(١) فوات الوفيات ج ١ ص ٢٠٤ (٢) هو ابو العباس احمد بن محمد بن مفرج النباني المعروف بابن الرومية وهو من اهل اشبيلية راجع ترجمته في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة ج ٢ ص ٨١

المعروف النباني اليوناني وحقق اسماء النباتات وصحح الاسماء العربية وبحجتها بحثاً فنياً^(٣)
ولما عاد من أسفاره رحل الى مصر وكان حينئذٍ ملكها الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب
فأعزّه وأكرم وفادته ومثواه . وكان يعتمد عليه في المسائل الطبية والادوية المفردة والحشائش
وجعله في الديار المصرية رئيساً على سائر العشابين وأصحاب البسطات . وهذا مما يدلنا على
مكاتبه الرفيعة في علم النبات وما حازه من ثقة وطيدة لدى الملك . ثم رافق الملك الكامل في رحلته
الى الديار الشاميه وهناك التقى بـابن أبي اصيبعة صاحب كتاب (عيون الانباء في طبقات الاطباء)
فأدهشه وأعجب به إعجاباً عظيماً . وهذا حديث ابن أبي اصيبعة عنه وعن مقابلته لابن البيطار قال :
« أتقن (ابن البيطار) دراية كتاب ديسقوريدس اتقاناً بلغ فيه الى ان لا يكاد من يجاربه
فيما هو فيه وذلك انني وجدت عنده من الذكاء والفطنة والدراية في النبات وفي نقل ما ذكره
ديسقوريدس وجالينوس فيه ما يتعجب منه . وأول اجتماعي به كان بدمشق في سنة ثلاث
وثلاثين وستمائة ورأيت ايضاً من حسن عشرته وكمال مروءته وطيب اعرافه وجودة أخلاقه
وكرم نفسه ما يفوق الوصف ويتعجب منه ولقد شاهدت معه في ظاهر دمشق كثيراً من النبات
في مواضع وقرأت عليه ايضاً تفسيره لاسماء أدوية كتاب ديسقوريدس فكنت أجد من غزارة
علمه ودرايته وفهمه شيئاً كثيراً جداً وكنت أحضرُ لدينا عدة من الكتب المؤلفة في
الادوية المفردة مثل كتاب ديسقوريدس وجالينوس والغافقي وامثالها من الكتب الجليلة في
هذا الفن فكان يذكر أولاً ما قاله ديسقوريدس في كتابه باللفظ اليوناني على ما قد سمعته في
بلاد الروم ثم يذكر جملته مما قاله ديسقوريدس من نعتيه وصفته وأفعاله ويذكر ايضاً ما قاله
جالينوس فيه من نعتيه ومزاجيه وأفعاليه وما يتعلق بذلك ويذكر ايضاً جملاً من أقوال المتأخرين
وما اختلفوا فيه ومواضع الغلط والاشتباه الذي وقع لبعضهم في نعتيه فكنت أراجع تلك الكتب معه
ولا أجده يقادر شيئاً مما فيها وأعجب من ذلك ايضاً انه كان ما يذكر دواء الا ويعين في اي مقالة
هو من كتاب ديسقوريدس وجالينوس وفي اي عدد هو من جملة الادوية المذكورة في تلك المقالة^(٤)
كان ابن أبي اصيبعة تلميذاً لابن البيطار وقد رافقه في رحلاته وتبعاته النبانية في ضواحي
دمشق . ولما توفي الملك الكامل بدمشق وتولى الملك خلفه ابنه الملك الصالح نجم الدين
أيوب ، عاد ابن البيطار الى مصر ودخل في خدمة الملك الجديد فأكرمه (وكان حظياً عنده متقدماً
في أيامه)^(٥) . وكانت وفاة ضياء الدين بن البيطار فجأة بدمشق في شهر شعبان سنة ٦٤٦ هـ (١٢٤٨ م)
﴿ مؤلفاته ﴾ لما خرج ابن البيطار في رحلته العلمية يجول في أنحاء سوريا وآسيا الصغرى
(بلاد الروم) باحثاً منقباً عن النباتات والاعشاب كان يقوم برحلاته هذه كطبيب نباني فجمع

(٣) قابوس الاعلام - شع . سامي م ١ ص ٦٠٩ (٤) طبقات الاطباء - ج ٢ ص ١٣٣

(٥) طبقات الاطباء ج ٢ ص (١٣٣)

كثيراً من النباتات والعقاقير وأتحف العالم بكتابه المشهور «الجامع في الادوية المفردة» (٦) الذي صنّفه للملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل (٧) بعد رحلته الى مصر وبلاد اليونان وآسيا الصغرى (٨). وهو كتاب فريد في بابهِ جليل الاثر عظيم الفائدة. وهو أهم ما كتب عن الادوية المفردة وهو عبارة عن معجم طبي او مجموعة مرتبة على الاحرف الهجائية، يشمل النبات والحيوان والمعادن وقد اعتمد في تأليفه على مؤلفي الروم والعرب وعلى تجاربه هو نفسه (٩). (ووصف فيه اكثر من ١٤٠٠ دواء وعقار مما يستعمل في الطب وقابل ذلك مع تأليف ومصنفات اكثر من ١٥٠ من المؤلفين القدماء والعرب. والكتاب المذكور يتضمن ملاحظات دقيقة ويدل على براعة فائقة ومعرفة واسعة في هذا العلم. وهو اعظم كتاب عربي في علم النبات.) (١٠) وقد استقصى فيه ذكر الادوية المفردة واسمها وتحريرها وقواها ومنافعها وبين الصحيح منها وما وقع الاشتباه فيه، ولم يوجد في الادوية المفردة كتاب أجل ولا أجود منه (١١). وهذا ما يقوله عنه ابن سعيد (١٢) في كتابه المغرب (حشر فيه ما سمع به ففقد عليه من تصانيف الادوية المفردة ككتاب الغافقي وكتاب الزهراوي وكتاب الشريف الادريسي الصقلي وغيرها وضبطه على حروف المعجم وهو النهاية في مقصده.) (١٣)

وقد ترجم (لوكير) (١٤) هذا الكتاب الى اللغة الفرنسية وضمنه في المجموعة المسماة Notices & Extraits التي تولى نشرها مجمع المخطوطات والآداب. وكان غلان Galland قد ترجمه الى اللاتينية ولكنه لم يطبع ولا يزال محفوظاً في (المكتبة الوطنية) في باريس. وكانت مدارس الاندلس، كما يقول «لوكير» تمتاز بصورة خاصة بدروس التاريخ الطبيعي ولا سيما بما يتعلق بالنباتات والعقاقير (١٥). وله أيضاً (كتاب المغني في الادوية المفردة) — ويعرف بمفردات ابن البيطار — وهو بحث مختصر في الادوية ومرتب بحسب مداواة الاعضاء المريضة، ومؤلف بالنظر لاستعمالها في الطب. وقد طبعت بعض اجزاء مفردات ابن البيطار باللغة اللاتينية في سنة ١٧٥٨ في مدينة فرمونة Cremona بإيطاليا (١٦). ومن اشهر مؤلفاته — (كتاب الابانة والاعلام بما في المنهاج من الحل والاهوام) و (شرح ادوية كتاب ديسقوريدس) و (كتاب الافعال الغريبة والخواص العجيبة)

(٦) طبع في سنة ١٢٩١ هـ تحت عنوان (الكتاب الجامع لمفردات الادوية والاغذية) (٧) قاموس الاعلام م ١ ص ٦١٠ (٨) نيكلسون — تاريخ العرب الادبي ص ٣٤٤ (٩) دائرة المعارف الاسلامية (النسخة الفرنسية) السكراس ٢٤ ص ٣٨٨ — ٣٨٩ (١٠) تراث الاسلام ص ٣٣٩ (١١) طبقات الاطباء م ٢ ص ١٣٣ (١٢) هو ابن سعيد المغربي — ابو الحسن نور الدين علي بن موسى (٦١٠ — ٦٨٥ هـ) من اعظم اديباء الاندلس وشعراؤها مؤلف (المغرب في — الى الغرب) و (المشرق في — الى المشرق) (١٣) راجع فتح الطبيب م ٢ ص ٤٤ (١٤) Jean Leclerc بحاثه فرنسي — سويسري (١٦٥٧ — ١٧٣٦) وناشر المكتبة العمومية والتاريخية Bibliothéque universelle & historique في مدينة امستردام في ٢٥ مجلداً (١٦٨٦ — ١٦٩٣) (١٥) مفكر الاسلام ج ٢ ص ٢٩١ Les Penseurs de l'Islam (١٦) تراث (للاسلام ٣٥٣

الحلم الحالم

لحسن ظمل الصبر في

في ايّ اودية الخيال . بأيّ افلاك الجلال
طوّفت يا حلمًا يطوفُ عليّ في ساع آتِهالِ ؟

يا ليتَ للقلبِ المشوّقِ جناحَ رُوحِي او خيالي
لبسطُ فوق جفونك السَّكْرَى وريفاً من ظلالِي
ونَعِنْتُ بالطيفِ الجميلِ برُودُ اودية الجمالِ
لكنّ لي أسراً من الرّغباتِ فوّارِ النّضالِ
أنا فيه مشدودُ الوئاقِ . فهل تفكّنين اعتقالي ؟



مؤلفاته

بقلم مؤسّر مؤدّب زاده

صاحب جهره نما الايرانية

١ — مؤلفاته الفارسية

(١) كتابه المسمى (دانشنامه أو حكمت علائي) وقد سَمَّاه بعضهم (دانش مايه) وظنه جزءاً من الكتاب المسمى (حكمت علائي) والاصح أنهما اسمان لكتاب واحد والاختلاف الذي أوقع البعض في الخطأ هو من انتساب الكتاب الى علاء الدولة كما كويه المتقدم ذكره والاسم الذي سَمَّي به الكتاب . وقد أراد الشيخ بتأليف هذا الكتاب أن يجعل جميع الاجزاء والمباحث الفلسفية بالفارسية ولكنه لم يؤلف منه سوى قسم المنطق والالهيات والطبيعات وبعد هذا الكتاب من أحسن تأليفه ولا يختلف كثيراً عن كتاب النجاة المؤلف بالعربية . وكان أهم ما يومىء اليه الشيخ في هذا الكتاب محاولة جعل المصطلحات الفلسفية العربية بالفارسية وبذلك أصبح الكتاب أحد المنابع العلمية اللغوية ولاحد تلامذة الشيخ المسمى (پهمنیار) نرح على هذا الكتاب وقد ضمنه الاعتراضات التي كانوا اوردوها على استاذه وقد أجاب هو عليها وتسمى كتابه هذا «بالتحصيل» . ولدانشنامه انسجام وفصاحة معجبة بالقياس الى الفارسية المستعملة في ذلك العصر وأضف الى سلاسة البيان انه أول كتاب في الفلسفة كتب باللغة الفارسية ولكن اذا قسنا هذا الكتاب بالكتب الفارسية الاخرى التي كتبت بالفارسية بعد ذلك ككتب افضل الدين القاشاني مثلاً وجدناه يقل عنها في الانسجام والسبك

وقد ألف الشيخ كتابه هذا لعلاء الدولة بن كا كويه وقد اثنى في المقدمة على حسن اصطناعه لياه واشفاقة عليه وشكره له ما اولاه لياه وقال في حقه : (اني وجدت كل آمالي عنده) . وقد ظن بعض الناس ان كتاب «دانشنامه» هو آخر كتاب ألفه الشيخ لانه لم يمكن من إتمام تأليفه فآتمه أبو سعيد الجوزجاني وكتب مبحث الرياضيات منه وليس هذا بالدليل القاطع اذ يمكن ان يشغل المؤلف مشاغل عن إتمام ما يؤلفه ويعوقه ردها من الزمن وفضلاً عن هذا فان القول

بخالف ما قاله المؤرخون حيث أنهم اتفقوا على أن آخر تأليف للشيخ هو كتاب الاشارات
(ب) الرسالة المسماة بالمعراجية وقد ألف الشيخ هذه الرسالة لابي جعفر بن كويه وهي
تتضمن على تأويل للاصطلاحات الشرعية وتفسيرها ومعنى ما ورد منها كروح القدس والوحي
وكلام الله والنبوة والرسالة والشريعة . وبعد ذكره القوى الانسانية في المقدمة ويأني أن وجهه
الحركة تجب أن تكون متناسبة مع المتحرك والحركة يبرهن في النتيجة على أن المراد بالمعراج هو
معراج الروح بالعلو علو شرفي ويؤول مسألة المعراج على طريقة الحكماء . والظاهر أن جلال
الدين الرومي قد استفاد من هذه الرسالة حيث يقول بالفارسية :

كشفت پیغمبر که معراج مرا نیست بر معراج یونس اجتبا
آب ما والاوان آبشيب زآنکه قرب حق برون است از حسيب
نی چو معراج زمینی تاسما بل چو معراج جنینی تانهی

والمعنى : قال النبي ليس لمعراجي فضل على معراج يونس (النبي) عرجت الى فوق وعرج
الى تحت لان قرب الله خارج عما تتصوره . ليس هذا كالعروج من الارض الى السماء بل هو
كعروج الجنين الى النهي والعقل . وقد أوصى الشيخ في مقدمة هذا الكتاب أن لا يوحوا
بهذه الرموز والاسرار لأحد . وهو يقول « لم أكن من هذه الافكار قبل اتصالي بمجلس
علاء الدولة في شيء خوفاً على نفسي واحتراساً من الخطر »

(ج) رسالة النبوة وهي رسالة صغيرة في معنى النبوة والوحي والالهام وتأويلها وهي بالفارسية
وأكثرها يطابق مقدمات رسالته المعراجية ولا تختلف عباراتها عن ذلك اختلافاً كبيراً
(د) الرسالة النبضية وقد ألفها لعبد الدين علاء الدولة كاكويه وقد بين فيها أنواع
النبض وشرح أقسامه

الكتب العربية (١)

(أ) كتاب الشفاء— وهو كتاب كبير يشتمل على جميع علوم الفلسفة من المنطق والرياضيات
والطبيعات والالهيات ويعد من أهم التأليف الاسلامية وقد شرع أبو علي بتأليفه كما يقول
أبو عبيد في همدان وكان ذلك اجابة لرجاء ابي عبيد فكتب الشيخ ٢٠ صحيفة في مبحث
الطبيعات ثم شغلته الامور الديوانية والحوادث عن إتمام تأليفه . ولما اعتزل وزارة شمس الدولة
عاد على بدء وألف كتاب الالهيات والطبيعات سوى النبات والحيوان في ٢٠ يوماً ولم يراجع

(١) ولا عجب اذا خلف لنا أبو علي وهو من أحاطم علماء ايران وأكبرهم كتباً كثيرة وآثاراً خالدة
بالعربية لان البحث والدرس يكشفان لنا أن غيره من علماء الامة الايرانية أيضاً قد الفوا وصنفوا كتباً
ورسائل في جميع الفنون والعلوم بالعربية وقد خدموا هذه اللغة آية خدمة وأبقوا لها أي أثر فقد نلنا
آثارهم بقلائد لا تثنى وأبقت لها عزاً ومجداً لا يندران مدى الدهر

أي كتاب . ثم شرع في تأليف منطق الشفاء ولكن طالت مدّة تأليفه ولم يفرغ منه إلاّ في إصفهان وكذلك أتم بحث النبات والحيوان في تلك المدينة

ويزعم أبو عبيد ان عمر الشيخ كان في ذلك الوقت ٤٠ عاماً وليس هذا بصحيح لانه لما قدمنا قال كان عمر أبي علي في سنة ٤٠٤ هجرية ٣٢ سنة فإن صحّ ما يقول وجب ان يكون الفراغ من تأليف الكتاب سنة ٤١٢ اي ان يكون الشيخ في هذا التاريخ في مدينة إصفهان ولكن لا شك انه كان عند ذلك في همدان وكان سفره الى اصفهان بعد هذا التاريخ فلا يصح والحالة هذه ان نجعل سنة ٤١٢ السنة التي أتم فيها الشيخ كتابه . وكان الشيخ قد اختصر الفنون الرياضية قبل تأليفه للشفاء ثم ألحقها بعد تأليفه به . وكان المقصود من تأليفه هو تقرير آراء الفلاسفة المشائين وتفسير معتقدهم ولذلك نراه قد اقتصر على الاخذ بترجمة كتب أرسطاطاليس وكتبها في كتاب الشفاء بعد ان هدبها ونقحها وأصلحها الى حدٍّ ما ولكنه لم يغفل عن تدوين آرائه وتجاربه في المنطق والطبيعات وكذلك دوّن قسم الموسيقى من الشفاء طبقاً لآرائه التي حصل عليها بعد فحص دقيق وتجارب صرف فيها ردحاً من الزمن

وكان أبو علي يؤلف شرحاً على الشفاء بسماء بالواحق وكان يؤرخ ما يؤلفه في كل سنة والظاهر انه أكبر مؤلف له شرح فيه الآراء والاقوال الفلسفية وأطنب في هذا الشرح ولم يثبت انه فرغ من اتمامه ونعلم حقاً ان واحداً من العلماء لم ير هذا الكتاب ولا نقل عنه ويظهر من مقدمته على منطق الشفاء ان الغرض من تأليف الكتاب هو جمع خلاصة من أصول علوم الاقدمين وذكر ما أورد على كل من هذه الاصول وايضاح ما أشكل منها وان يكون الفروع واصولها مع الایجاز في الالفاظ وعدم تكرار المطالب وان يدوّن ما صحّ بطلانه من آراء المتقدمين وعقائدهم

والظاهر مما يقوله أبو علي ان كتابه هذا قد حوى كل ما هو مدوّن في كتب الاقدمين غير انه قد غيّر مواضع الاقوال وجعل كلاً منها في المحل الذي يراه يليق به . وقد حذف مطالب فلسفية كان الاقدمون يدوّنونها في المبادئ المنطقية وقال انه دوّن المنطق أولاً ثم الطبيعيات والرياضيات ثم شرع في تدوين علم الالهيات بعد ذلك . ولكن أبا عبيد — كما أشرنا سابقاً — يقول ان الشيخ ابتدا بتأليف الطبيعيات واذا صحّ ما قال ابو عبيد يجب ان نحمل قول الشيخ في التدوين لا الجمع والتأليف فاذا حملناه على هذا لم يكن بينه وبين أبي عبيد اختلاف في القول وقد وضع المتأخرون شروحاً على الهيات الشفاء ومنها حاشية آقا حسين الخونساري وملا (الشيخ) أولياء وملا سليمان وتعليقات صدر الدين الشيرازي والاخيرة من أهم الحواشي على الهيات الشفاء . ولا تعرف حاشية للمتأخرين على طبيعيات الشفاء اللهم الا حاشية وجيزة وضعها آقا جمال

الخونساري على القسم الاول منه أي على كتاب السماع الطبيعي ولم يشرح باقي الكتاب ولم يوضح ذلك وليس له حاشية . والظاهر ان السبب في ذلك هو عدم اهتمامهم بعلم النباتات والحیوان والعلوم الطبيعية كلية

وكتاب طبيعيات الشفاء هو المصدر الوحيد للعلماء الطبيعيين في الاسلام وربما لم تتجاوز الحقيقة اذا قلنا انهم لم يزيدوا عليه شيئاً ولم تعد مباحثهم وتحقيقاتهم كتاب السماع الطبيعي ولم يضيفوا الى كائنات الجو والسماء والعالم والنبات والحیوان اي شيء بل اسقطوها من كتبهم ولم تشتهر وتظهر الهیات الشفاء كما ظهرت طبيعياته ومنطقه ولم يكن لها ذلك النفوذ وذلك لظهور الفلسفة الاشراقية والحكمة المتعالية . وكتاب منطق الشفاء أسهب منطق اسلامي وقد أقبل عليه الفلاسفة واعتمدوا عليه ولم يشرح مباحث الصناعات الخمس ولم يستوف البحث فيها كتاب مثله . وقد اقتبس المتأخرون مطالبهم من هذا الكتاب أو ترجموها عنه وكذلك مباحثه الاخرى فان المتأخرين وان كانوا قد أطنبوا في شرح مباحث القضايا والكمليات الخمس ونجوازوا الحد ولكنهم مع ذلك لم يصلوا الى ما وصل اليه هذا الكتاب ولم يبلغوا الدرس ولا الغاية فان كل ما قالوه لا يتجاوز حواشي وتفصيل وضعت على جوانب المطلب والاصل . وقد استفاد الخواجه نصير الدين الطوسي من كتاب منطق الشفاء في كتابه المسمى بأساس الاقتباس الذي ألفه بالفارسية بل يمكن ان يقال عنه انه ترجمه لكتاب الشفاء

(ب) كتاب النجاة — كتاب متوسط صغير الحجم يشتمل على مباحث في المنطق والطبيعيات والالهيات وأهم مباحثه في تقريره عقائد المشائين وآرائهم على وجه الاختصار ولما لم يكن ينه ويبن كتب أبي علي الاخرى خصوصاً الشفاء فرق يذكر فقد ظن بعض المعاصرين ان كتاب النجاة مختصر لكتاب الشفاء وتبعهم على هذا جم من المعاصرين ولكن الامر على غير ما ظنوا فان تأليف منطق النجاة متقدم على تأليف كتاب الشفاء لان أبا علي ألفه في جرجان وسماء بالختصر الاوسط وكذلك سائر مباحثه فانها لا تتفق مع الشفاء من حيث الترتيب وقد كان يحتوي كتاب النجاة على قسم آخر في تقرير أصول العلم الرياضي ولكنه فقد وضاع . وأما منطق النجاة فهو على جانب عظيم من حسن العبارة وسلاستها وسهولة بيانها ولذلك يعد من معجزات ابي علي

(ج) كتاب الاشارات والتنبيهات — وهو كتاب صغير في فن المنطق والعلم الطبيعي والالهي ويظهر انه آخر تأليف لابن سينا وهو يحتوي على خلاصة آرائه ومعتقداته وقد اوصى في آخر الكتاب بأن لا يراه ويطلع عليه إلا من كان اهلاً وقد تجلت في هذا الكتاب روح ابي علي العرفانية وقد تكلم في آخر كتاب الالهيات عن المقامات والدرجات العرفانية وتمازجها

وعباراته عن سائر كتب أبي علي لان الشيخ قد ألبسها صبغة ادبية لم يراها في سائر تأليفه. ورى الاقفة تتجلى من خلال عباراتها (فكان الشيخ قد خلع عليها ثوباً من كبريائه وانايتيه) وقد استخف أبو علي في كتابه هذا ببعض رؤساء المشائين واحتقرهم ولاجل صعوبة مطالبه والذماجها ولانه تأليف اظهرته قريحة هذا الرجل النابغة العظيم فقد أقبل عليه العلماء والفضلاء والفلاسفة من المتأخرين وصار مطمح انظارهم فوضعوا عليه شروحات كثيرة بالفارسية والعربية وزجروه الى الفارسية ايضاً. ومن الذين شرحوه بالفارسية الامام شهاب الدين السهروردي وتوجد الآن ترجمة فارسية لكتاب الاشارات تنسب الى الانوري (الشاعر الفارسي الذي عاش معاصراً للسلطان سنجر السلجوقي المتوفى سنة ٥٨٣) ولكن لم يحصل ما يثبت ذلك الى الآن . ومن الذين شرحوا الاشارات بالعربية الامام فخر الدين الرازي وقد عارض آراء أبي علي وعنده انه رد على اكثرها . وشرح الخواجه نصير الدين الاشارات وكان متحزباً لأبي علي ومشايهاً له فرد أكثر آراء الامام الرازي وقد أجاد في النقد والرد وقام بهذه المهمة خير قيام . ثم بذل كل وسعه في تقرير آراء أبي علي وبيان عقائده ولم يشكل عليه شيء منها ولم يعترض على أية مسألة من مسائله الا في مسألة العلم حيث يقول : « ولما وصل بي البحث الى هنا لم أملك من الخالفة » وشرح نصير الدين على الاشارات أشهر من شرح الامام الرازي وقد عرفه طالبو العلم وأخذوا في دراسته

(د) كتاب الحكمة المشرقية او حكمة المشرقيين — هذا الكتاب الذي ورد ذكره في كتب أبي علي كان يشتمل على نخبة آراء أبي علي ومعتقداته الشخصية وقد فقد على ما يظهر ولم يبق منه سوى مباحث في المنطق قد طبعت . وكان مراد أبي علي من تأليفه هذا الكتاب ان يدون المطالب الفلسفية حالة كونه خلواً من كل تعصب وتحيز لارسطاطاليس واتباعه . ومع ان الشيخ بعد الفراغ من كتاب الشفاء ورواية كلام ارسطاطاليس وما ترجمه من الفلاس حيث يقول « من أمكنه ان يضيف أصلاً على المنطق فليضيفه ولا يتوقف عن إلحاقه بهذا الفن » أطنب في مدح ارسطاطاليس وغالى في التحزب له اذ قال : « ولم يصف أحد حرفاً واحداً الى اصول ارسطاطاليس ولم يتمكن من رد قواعده » . ثم نراه يعترف في كتابه هذا باضافات الى المنطق ويصرح برأيه في اول الكتاب

يختلف كتاب منطق المشرقيين الذي هو في متناولنا اليوم اختلافاً عظيماً عن كتب أبي علي الاخرى ويتجلى هذا الفرق بصورة عظيمة في مباحث القضايا حيث اظهر الشيخ فيها آراءه وحقق فيها أدق تحقيق وكذلك نراه قد اسهب في مباحث الحد والتعريف وذكر قضايا هي اقرب الى الحقيقة وأكثر تشابهاً لمطالب هذا العصر وهي لا توجد في اي كتاب من كتب المنطق

(هـ) كتاب القانون — وهو اعظم كتاب في الطب الاسلامي ويشتمل على خمسة اقسام :
القسم الاول في كليات الطب والصحة وقسم من علم التشريح والعلامات السكلية للأمراض .
والقسم الثاني يبحث في تركيب الادوية ويسمى بأقرباذين . والقسم الثالث يختص بالامراض التي
يمكن ان يصاب بها جميع الاعضاء . والقسم الرابع في امراض تخص كل عضو بنفسه . والقسم الخامس
في مفردات الادوية . وقد حصل الشيخ على مجارب كتبها في مذكراته ولكن — كما ذكرنا
سابقاً — وقد ضاع اكثر هذه التجارب ولو بقيت لاستفاد منها الطب . ويمتاز كتاب القانون
من الوجهة العلمية على سائر كتب الطب بأن ابا علي يحاول فيه ان يؤدي الالفاظ الطبيعية
بالطرق المنطقية ويجعل التقاسيم منقطبة ايضاً ولذلك صار كتاب القانون من الكتب المشكاة
فأقبل عليه العلماء والفضلاء بفهمونه ويشرحونه ما اشكل منه وهكذا ألفوا للقانون شروحاً
كثيرة . ولم يجد كل العلماء والفضلاء انفسهم اهلاً لتدريس القانون فلم يترشحوا لقراءته عابهم
ولم يحضر طالبو العلم على كل احد ايضاً . ومع هذا كله فان اكثر مدرسيه لم يمكنهم تدريس
كل القانون على الاكثر . ومن درس القانون قطب الدين الشيرازي فقد حضره جملة من
الاساتذة ومع ذلك كله لم يتمكن من فهم مطالبه كلها وايضاح ما اشكل منها فقصده نصير الدين
الطوسي ولكنه على ما يقول لم يكن للطوسي تلك القدرة على تدريس القانون لانه لم يحترف الطب
ولم يعالج صناعته . واخيراً سافر قطب الدين هذا الى مصر وزار هناك احد اطباء المصريين
وكان رجلاً فاضلاً عالماً بالطب وحصل ايضاً على شروح للقانون وبعد هذا كله تمكن من فهم
مطالب هذا الكتاب وحل ما اشكل عليه من المسائل العويصة

وبعد هذا الجهد والنصب العظيم وضع على كليات القانون شرحاً هو اهم واعظم شرح لهذا
الكتاب . وكتب غيره للكتاب شروحاً مفصلة ومنها شرح ابن قف المسيحي وشرح مسألاً علي
الجيلاني وأول من شرحه الايلاقي ثم الامام الرازي . ورى ان اصول القانون لا تختلف كثيراً
عن اصول المطالب في كتاب كامل الصناعة . والظاهر ان ابا علي كان يستفيد من كامل الصناعة حينما
كان يؤلف كتاب القانون

(و) كتاب التعليقات — وهو كتاب يطابق اسمه مسماه فانه يحتوي على جميع المطالب الفلسفية
وقد كتبها الشيخ تعليقاً

(ز) كتاب المبدأ والمعاد — كتبه لابي احمد محمد بن ابراهيم الفارسي وهو يشتمل على ثمره
علمين (علم ما بعد الطبيعة وعلم ما في الطبيعة) وكان غرضه من تأليف هذا الكتاب كما يقول
ان يكشف الغطاء عما اخفاه المشاؤون ويوضح ما اشكل منه ويسهب فيما اوجزوا . والكتاب
يحتوي على المباحث الطبيعية والالهيات كلها ولكن بصورة مختصرة . ويمتاز هذا الكتاب بحسن

التعبير الذي قلما يوجد مثله في أكثر تأليف الشيخ . وقد ألف الشيخ لابي الحسين السهيلي كتاباً آخر سماه بهذا الاسم غير أنا لم نعر عليه حتى الآن

(ج) رسالة الفيض الالهي — وموضوع هذه الرسالة التحقيق في مبدأ الوحي والاعجاز والسحر وأنواعه الأخرى . وقد ميز في هذه الرسالة بين الوحي والاعجاز والسحر . وقد ذكر نبذة من تأثير الروح بأرواح أخرى وأجسام خارجة عنها . ويعتقد ان الانسان بعد تقوية كل الروح والارادة يمكنه ان يكون منبعاً لتأثيرات خارجية كثيرة

(ط) رسالة سلامان وابسال — وقد أشار إليها في كتاب الاشارات . وقد روى نصير الدين حكايته بطرق كثيرة ونظمها الجامي (الشاعر الفارسي الذي عاش في القرن التاسع وتوفي سنة ٨٩٨)

(ي) رسالة الطير — وهي تبحث في كل النفس وعود الارواح الجزئية الى النفس الكلية وقد استفاد منها العطار في رسالة سمائها (منطق الطير) — والعطار شاعر فارسي عاش في القرن السادس وقتله التتر في اوائل القرن السابع

(يا) رسالة حي بن يقظان — وقد قرأه بعضهم بالطاء المهملة (يقظان) ويظهر لنا ان كلمة يقظان (بالطاء) المعجمة هي الاصح

(يب) كتاب عيون الحكمة — وقد شرحه الامام الفخر الرازي ويظهر لنا ان الانوري الشاعر — وقد مر ذكره — يقول فيه : —

« كتابي است مثنى بخط من خادم
چو آشك وچهره من جلدش از درون و برون »
« سه گونه در او کرده بو على تقرير »

والمعنى : كتابة مثنى كتبها العبد ودفنتها من الظاهر والباطن كدمعي ووجنتي وقد ألف فيها أبو علي ثلاثة من العلوم

وقد نسبوا الى الشيخ أبي علي أشعاراً فارسية وعربية والظاهر أن بعضها منحول . وله القصيدة العينية في النفس التي مطلعها

هبطت اليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزُّز وتمنُّع^(١)

وقد ألف أبو علي كتاباً في اللغة ولكنه لم يصل إلينا وقد ضاع قبل الاستنساخ . وكانت له رسائل بالفارسية والعربية ولا يزال بعضها باقياً . وله غير ذلك كتب كثيرة أعرضنا عن ذكرها خوف الإطالة . آم

(١) راجع في صفحة ٣١٦ من هذا العدد من المقتطف رأي جبران خليل جبران في هذه القصيدة

حيوانات مشهورة

وصحة اسمائها

للمصنف الركنور امين الملقوف

Falcons & Hawks

الصقور والبزاة

الصقر كل طائر يصيد ما خلا النسر والعقاب وهو يشمل البازي والباشق والبيدق والزرق واليؤيؤ والحر والشرق والشاهين والعوسق والزجاج وغيرها . والصقر عند البزادة من اهل الشرق كالعرب والفرس والهنود كما هي عند الافرنج اي صقور وبزاة فالصقور على الغالب سود العينون محددة الرؤوس طوال الاجنحة قصار الارجل والبزاة على الغالب صفر العينون مدورة الرؤوس قصار الاجنحة طوال الارجل . وفي ما يلي بعض ما يعلم من الصقور وما لا يعلم منها

Accipiter. Hawk

باز . جنس من الجوارح يصاد به

A. gentilis. or Astur

palumbarius, Goshawk

(ابن سينا والدميري عن سافيني ٢٣: ٢٦٩)

باز وبازي . (ابن سينا والدميري عن سافيني ٢٣: ٢٦٩) (عرب الشام عن سافيني) صقر باز (الاسكندرية عن سافيني) شاه باز (الف ليلة وليلة لبرتن ٢ : ١٦٠) وقد حذفت الزمجة لانه ليس به

A. albidus. White goshawk

باز اشهب

A. nisus. Sparrow hawk

باشق

(الدميري وهو كذلك في مصر والشام : سافيني) ببندق (الدميري عن سافيني) ولعل البيدق هو النوع الاتي ذكره ولم يكن معروفا بهذا الاسم في عهد سافيني . ومن اسماء الباشق الطوط والعلام

A. badius brevipes

ببندق او عفصي وهذا عن الاب انستاس

Elanus caeruleus. Black-winged kite

زرق . كوهي (فارسية)

صقر ابيض في مصر . طائر يصاد به في حجم الباشق او اكبر قليلا أسود الظهر ابيض البطن أحر العينين اصفر الرجلين عده الدميري صنفاً من البزاة لانه اصفر العينين او أحمرها ومنه قول أبو نواس من آيات اوردها الدميري

كان عينيه لحسن الحدة نرجسة ثابتة في ورقة

وقال صاحب كتاب انس الملا ان الزُرَّق ذكر البازي في كل جنس من اجناسه وان الكوهية خطأ وعوابه كوهي . ولم أعثر على الكوهي ولا الكوهية في كتب اللغة ولعل اللفظة فارسية بمعنى الجيلي أما تسمية هذا الطائر بالزُرَّق والكوهي فعن سافيني قال هو الكوهية عند أهل المنزل وديايط وفارسكور والزُرَّق عند بعض مؤلفي العرب (٣٧٦: ٢٣) . وهو الزُرَّق عند هوغلان ودرسر . وصقر ابيض عند غربي

Falco. True falcon

صقر

جنس من الجوارح مجدول البدن مستدير المنخرين طويل الجناحين والذنب عاري الساقين ناد الخالب قصير المنسر معقفه له سن في كل من شقيه

F. aesalon aesalon. Merlin

بُؤيؤ . جلم . أبو رياح

صقر جميل هو أصغر الصقور في الشرق يفرخ في أواسط آسية ويشتو في العراق والشام ومصر اسمه عند عامة المصريين الجرادية وصقر الجراد

والبؤيؤ في حياة الحيوان « طائر كنيته أبو رياح وهو الجلم من جوارح الطير يشبه الباشق » في باب الصقر « البؤيؤ ويسميه أهل الشام الجلم لحفة جناحيه وسرعتها ولان الجلم هو الذي يبرز به وهو المقص . وهو طائر صغير قصير الذنب قال النashi في وصفه ويؤيؤ مذهب رشيق كان عينيه لدى التحقيق

فصان مخروطان من عقيق

فدعوت في تحقيق هذا الطائر على ما ذكره سافيني ودرسر وهوغلان (المؤلف في المقتطف ١٠٧٣: ٣٥)

F. biamareus langypterus. Lanner

حصر

طائر من الجوارح أصغر من الشرق والشاهين أصقع اي في رأسه يياض أسفع الظهر أغبر البطن حجت في المقتطف ١٠٧٢: ٣٥ ان الحر هذا الطائر واللفظة شائعة في العراق والشام ومصر . أطلقها بعضهم على الشرق ويسمونه الصقر الحر والبعض الآخر على هذا الطائر كما في معجم لوزي وحيوانات فلسطين لترسترام

F. cherrug cherrug. or F. sacer. Saker falcon

شرق . صقر

صقر الغزال (مصر) . وهو المشهور بالصقر في المؤلفات العربية والبلاد العربية ولما كان صقر يشمل الصقور الاخرى قدمت لفظة الشرق وهي فصيحة وواردة في اللغة وهو الاسم الذي سماه به غراي سنة ١٨٣٣ واللفظة شائعة في الهند وفارس (درسر وكتاب التاريخ الطبيعي للملك) وقد قدم مؤلف طيور مصر الاسم الاول الذي ذكرته الآن على الاسم الثاني مع ان لي وهو الذي وضعه غملان أقدم من الاول الذي وضعه غراي لذلك قدمت الشرق على الصقر لكي

لا يقع التباس . وقد ذكرت الصقر في المقطف ٣٥ : ٩٦٧ ولم أذكر الشرق وهو الطائر الذي كان عند السيد محمد النقيب في باب الشيخ فذكرته هذه المرة وكلاهما فصيح كما تقدم ووارد في اللغة

F. concolor. The sooty falcon

صقر بيم

مترجمة وهو صقر أسود يسمونه صقر الغروب في مصر لأنه يخرج عند الغروب

F. peregrinator. Shahn or Royal falcon

شاهين الهند

F. peregrinus peregrinus. Peregrine falcon

شاهين

F. peregrinus babylonicus. Babylonian peregrine falcon

شاهين العراق او يوصى

F. peregrinus calibus. Siberian peregrine falcon

شاهين سيبيرية

F. P. peregrinoides. Barbary falcon

شاهين المغرب

طائر من الجوارح بين الصقر والحرّ طويل الجناحين لون رأسه وذنبه أسود ضارب الى الزرقة اما صدره فأبيض ضارب الى التوشيم

ويصعب معرفة الشاهين من وصفه في الديميري والقزويني وكتب اللغة واحسن وصف له وجدته في كتاب أنس الملا للسيد محمد المنكلي قال الشاهين قصير الساقين قصير الفخذين وإذا كان فرخاً تكون خطوط صدره عريضة كبيرة قصير الرقبة بغلظ عريض الهامة غائر العينين محذب الظهر قصير الذنب اخضر الكفين طويل الاصابع زائد سواد الحدين طويل الجناحين وهي صفة الطائر المسمى F. peregrinus عند علماء الحيوان وهو يختلف باختلاف البلاد وقال سافيني في الكلام على طيور مصر والشام في وصف مصر مجلد ٢٣ ان الشاهين في المؤلفات العربية هو هذا الطائر وذكر ان فورسكال سماه الشاهين ايضاً . وهو الشاهين في كتاب طيور شمال افريقية الشرقي لفون هوغلن وهؤلاء الثلاثة ثقات يعول عليهم . وقد سألت جماعة من المصريين لغيتهم في حديقة الجيزة (في تاريخ كتابة ذلك للمقطف اي في خريف سنة ١٩٠٩) عن الشاهين فأروني هذا الطائر وقالوا انه يسمى عندهم صقر شاهين فالصقر عند المصريين كل طائر يصيد ما خلا النسر والعقاب اي كما هو في كتب اللغة ويميزون الصقور بعضها عن بعض بقولهم صقر باز وصقر شاهين وصقر الجراد وصقر الغزال الخ وهذا الاخير هو المعروف بالصقر عند بزادة العرب والافرنج كما مر

أما الشاهين في الهند فهو الطائر الذي سميت شاهين الهند ويظهر ان الشاهين هو هذا الطائر اي كما سماه بزادة الفرس ثم اطلق العرب اسم الشاهين على الصقور الاخرى القريبة منه . ذكر ان اسمه الشاهين في الهند جماعة من الثقات منهم السر رتشارد برتن في الف ليلة وليلة ١٦ : ٢ وصاحب كتاب التاريخ الطبيعي الانكليزي في وصف الصقور وغيرها

F. tinnunculus. Kestrel or windhover

عاسوق وعوسق

عويسق وعويسقة

F. naumanni. Lesser Kestrel

طائر في حجم الباشق احمر اللون منقط بسواد يسمى في مصر صقر بلدي وصقر الجراد وابو سرقفة . ولم يرد ذكر العويسق والعاسوق والعويسق في كتب اللغة ولا في معجم دوزي بل ذكر العويسق الامير أسامة بن منقذ في كتاب الاعتبار صفحة ١٦٢ ولم يصفه بل قال انه من الجوارح وذكر العاسوق الدكتور بوست في كتاب نظام الحلقات ٢ : ١٦ وذكر العويسقة داود الانطاكي في الباب الرابع فصل البزدره قال « الباشق وهو اخف الطير وأسرعها نهوضاً والاني منه تسمى العويسقة او هي صفاره » كذا وردت بالفاء في النسخة المطبوعة التي وقفت عليها وهي مطبوعة طبعاً سقيماً جداً وصوابها العويسقة كما هي في نسخة مخطوطة في دار الكتب الملكية في القاهرة . والعويسق يعرف في جبل لبنان بهذا الاسم وقد اريت هذا الطائر الى صديق يعرفه فقال هو بعينه . وعلى كل فقد اطلقت العويسق والعاسوق على الكبير منه والعويسق والعويسقة على الصغير . (المؤلف في المقتطف ٣٥ : ١٠٧٣)

F. subbuteo. Hobby

كُونِج . زُمَج . دوبردران

لم أتمكن من تحقيق اسم هذا الطائر بالعربية وكنت ذكرت قبلاً انه اليدق او السقاوة ولكنني كنت خطأً وربما هو الكونج قال الدميري في باب الصقر « الصنف الثاني من الصقور الكونج ونسبته من الصقور كنسبة الزرق الى البازي الا انه احر منه ولذلك هو اخف منه جناحاً وأقل بجرأً ويصيد اشياء من صيد الماء ويعجز عن الغزال الصغير وفي معجم فولرس الكونج باللغة الهندية طائر ولم يصفه وفي معجم ستينجس هو Falcon وضبطها هكذا كُونِج وفي معجم ريتشارد سن كُونِج وقال اسمه Falcon, sparrow-hawk

ولاب انستاس نظر في معجم الحيوان مقتطف ٣٩ : ٣٨٥ يقول فيه ان هذا الطائر هو Astur وهو اللويح وأبو لاحق اي الباز وقد سأله وأنا في بغداد كيف عرف انه هذا الطائر قال انه رأى صورته في كتاب في الحيوان قلت ان الصورة لا تكفي للتحقيق العلمي بل يجب معرفة الصقور والبزاة ومعرفة الفرق بينهما والذي أراه الآن انه هذا الطائر لانه من الصقور لا من البزاة كذلك الزميج لذلك اخرجت الزميج من صفحة ١٠٢ و١٠٣ . ولا شبهة ان الزميج كما قال الاب المحترم فانا نعتمد قوله كما قال انه الزميج والزميج بالمعجمة او الزماح بالمهملة فانا نعتمد قول الاب في حركة او كسرة او فتحة . أما في تحقيق الحيوانات فلا نعتمده

ثم ان وبستر في مطوله ذكر هذا الطائر وقال Soar not with the hobbie lest you fall with the lark

لا ترتفع كالزميج لئلا تسقط مع القنبرة ، فالزميج من الصقور لا من البزاة فالزميج في العراق هو الكونج كما في معجم الحيوان اي ان كلمة كُونِج هي مثل زميج تماماً

F. vespertinus. Red-legged falcon

لُزْرِيق

طائر من الجوارح في حجم الباشق احمر المنسر والرجلين جفون عينيه حمر ولم يذكر الزريق بهذا المعنى في كتب اللغة وأما ذكره الامير اسامة بن منقذ في كتاب الاعتبار صفحة ٢٦٢ قال «لجاء جارج مثل العوسق احمر المنسر والرجلين جفون عينيه حمر فقالوا هذا الزريق» وهو وصف في غاية الدقة ينطبق تماماً على هذا الطائر (المؤلف في المقنظ ٣٥ : ١٠٧٤)

Gerfalcon, Gyrfalcon. Hierofaleo or Faleo

سُنْقَر

وسُنْقُور. وسُنْسُقَار وسُنْسُقَار وسُنْقُور. شاهين بحري. طائر من الجوارح اعظم من الصقر وأجل منه صورة. يؤتى به من البلاد الشمالية لذلك سمو السناقير احياناً الشواهين البحرية لانه كان يؤتى به عن طريق البحر

وقد اخذت السنقر ومرادفاته وذكرته في ص ١١٤ من معجم الحيوان. وسنقر اسم سلطان من سلاطين المماليك والبعض يكتبون اسمه بالحيم اي سنجر وحقه ان يكتب بالقاف لا بالحيم فلو سألنا صعيدياً كيف يلفظ هذا الاسم لقال سنقر والعامة هنا تلفظ كما يلفظ اهل القاهرة الحيم فليس جميع اهل مصر من القاهرة

Buzzard and allied genera

حَمِيمَق

في حياة الحيوان الحميق طائر يصيد القطا والجنادب وسمعت بعض اهل العلم يقول هو الباشق ويفسر به قول ابي الوليد الازرق في تاريخ مكة وهو: قال ابن جريج: قلت لعطاء اذا كنت محرمًا فاقتل العقاب قال اقتل قلت والصقر والحميق فانهما يأخذان حمام المسلمين قال اقتل واقتل البعوض واقتل الذئب فانه عدو ذكره في تعظيم الحرم. وفي مستدرك التاج حميق عن ابي حاتم طائر ولم يزد على ذلك. وقد اعتمدت قول حياة الحيوان لانه موافق قول فلور وهس كما سيجي.

Common buzzard. Buteo Vulgaris

حميق معروف

Long-egged buzzard. Buteo ferox

حميق

حميق (جزيرة العرب عن الماجور فلور عن الاستاذ هس) . صقر حوام (حلمي السماع) سقاوة (حلمي السماع عن عرب الواحات) . صقر جراح (غربي) وارى الاقتصار على الحميق لفصاحته ولأن الذين ذكراه من علماء الحيوان وقد رأيت الكتاب المذكورة فيه في حديقته الحيوان والاسماء التي فيه مكتوبة بالعربية ولعل الكتاب لا يزال في مكتبة الحديقة

Rough legged buzzard. Buteo lagopus

حميق مسرول

Honey buzzard. Pernis apivorus

حميق النحل

يقال له في الحديقة حوام النحل والحميق أفصح

هذا ما قدرت على تحقيقه من أسماء الجوارح مما ورد في معجم الحيوان وكتب اللغة وقد

انتهيت من كتابة هذا البحث

أبيقور

وأرسطس له في اللذة مقالة تباين مقالة
أنتيثنس . ومقالة أبيقورس تباينها مما
عن « بيرهون »

بقلم سليم خياطه

ليس في الوسع الحديث الطويل عن أبيقور الإلهي ، وهو ذلك الحكيم العميق العقل الذي أنشد لوقيطيوس الشاعر مجده أغنية ملحمية بحجم سفرٍ عادي في سبيل حقيقة الطبيعة والإنسان . فما عندي له سوى خطراتٍ من وحي اسمه وفكره وما ظاهرا به من سوء النسبة . والحق إن الكلام عنه ، رغم قلة ما أبقت عليه القرون من آثاره نفسه ، ليمتدُّ ويشعب ويلد جداً . أليس إن واحداً من أنجب تلامذته المتأخرين ، الراهب « غسندي » ذاته ، لم يستطع إن يكفي الرغبة في تعليم مبادئه إلاَّ بأن يدعو كصاحب مدرسة اختصاصية فريدة في بابها ، تحت ظلال جدران « الكوليج دي فرانس » في باريس ، حيث تخرَّج على فكره النير كوكبة من النجوم اللامعة فيهم أنصع نفسين أبيقوريين ظهرا في وقتيهما : مولير الروائي وفولتير الأديب ؟

واليس إن « برنيه » ، وهو تلميذ التلميذ ، لم يستطع إن يشرح حتى غسندي ذاك إلاَّ كما قال فرانس في « الحياة الأدبية » : « برنيه هذا الذي كان يلقَّب بالفيلسوف الظريف ، الذي جاب سوريا ومصر والهند وفارس ، وخدم كطبيبٍ عند اورانغ زيب ، والذي كما ذهب إلى كل مكان رجع من الكل ، فكان عنده كثير ما يقول ، وكان يدرس من غير انقطاع ، وكان لا يؤمن البتة ، صنّف « لمدام دي لاسابليير » موجزاً لنظام استاذ غسندي ، وهذا الموجز لم يكن أقلَّ من ثمانية مجلدات ؟ فانظر ! هل سمعت ؟ ثمانية مجلدات هي موجز في تلميذ التلميذ ! . . . إذن ، فلنفتش عمّا هو بعد اوجز من ذلك . ولئن أراد شيئاً أقلَّ كتمهيدٍ أوليٍّ يتعرّف به إلى فيلسوفنا ، عليه بالكتاب الصغير البديع الذي ألّفه الاسقف « فينيلون » عن فلاسفة اليونان لترية الناشئة عليه في زمن لويس الرابع عشر ^(١) . ففي سلسيل هذه التحفة الأدبية

النقيّة يتاح للقارىء العادي أن يُلمَّ بشيءٍ مقتضب سهل عن شخص أبيقور الكريم ، وبشيءٍ من التماعات الآراء والنظريات العقلية العبقريّة التي ظهرت له فيها وصلت إليه مدرسته «الديسيوسية» «الديموقريطية» ، تلك الآراء والنظريات التي لا زال منذ أطلّت أعمدة آئتنا الرخاميّة الذهبيّة على الفين واربعماية سنة مقبلة من تطوّر فكر الانسان ومجتمعة حتى هذه الساعة : يثبت بعضها بتقريرات ومذاهب وتفسيرات علمية مقبولة ، وبعضها يُكتشف لها حقائق ملاح له من أسرارها ، وبعضها الآخر أيضاً يتجه إليها البحث بكلّ قواه لشدة دلائل الصحة فيها وصعوبة قبول التفكير الفلسفي الجدلي (الديالكتيكي) والمادي العلمي لسواها من النظريات والمقولات النفسيرية لحركة الوجود وتشكلاته . من الامثلة على كل هذه التماعات الرائعة بضعة التالية : الذرّة والجوهر الفرد ، الكهرباء وتفسيرها ، عمر الارض ونظرية طبقاتها ، التطوّر والارتقاء في ميداني تنازع البقاء والتعاون ، حركة المادة الديالكتيكية ، الاحلام كظاهرة نفسية ومظهر عقلي ، نشوء فكرة الالهية وتطوُّرها ، نشوء المدينة وظهور المجتمع ، الخ . الخ . . .

يبد أن كتاب فينيلون ، لسوء الحظ ، غير متيسر لآبناء العربية الآن في طبعةٍ مندثرة صدرت منذ مائة سنة ويَنف . إذ لا أظن أحداً ترجمه الى العربية حتى اليوم غير كاتب اسمه عبد الله بن حسين ، كان من «عدة» ارسلهم محمد علي باشا — على حد تعبيره — «الى الديار الفرنجية» . «شاع أمرهم في الآنام ، فخصّوا قدراً جسيماً من اللغات والفنون ، وجلب لهم (محمد علي باشا) كتب العلوم الخ . . .» وقد تمّ طبع هذا الكتاب في سنة ١٢٥٢ هـ . تحت اسم «مختصر ترجمة مشاهير قدماء الفلاسفة» ، بالتنويه الى تعريبه ، لكن من دون ذكر مؤلفه ، وذلك في دار الطباعة التي أنشأها محمد علي بيولاقي . على أننا نكتفي الآن بما يلزمنا من كتاب فينيلون هذا في فصله عن «أبيقور» ، وهو لا يتعدى عبارته التالية التي تترقق في لغة صاحبها الفرنسية عدوبة الماء الزلال في ساقية الواحة او نبع الجبل . قال :

«اتباع أبيقور حديقة جميلة ، وأخذ يثقفها بنفسه . فيها أنشأ مدرسته وعاش مع تلامذته حياة حلوة ورضيّة ، فكان يعلمهم وهو يتنزّه أو وهو يشغل . . . لقد كان حلّو الطبع مُحَبِّباً الى كل الناس . . . وكان يعتقد بأنه ليس ما هو أشرف للانسان من أن يزاوّل الفلسفة .»

ثم مع هذا القول الجميل لا يسعني إلا أن أورد أيضاً حكم القديس اغسطينوس على أبيقور،

حيث قال في « اعترافاته » وهو يتكلم على تفتيشه عن المبادئ والتعاليم التي ترتاح إليها نفسه (وهي المرة الوحيدة التي يذكره فيها) ، قال : « كنت أتحدث مع صديقي « أليبيو » (نيريديو) عن حدٍّ الخير وحدٍّ الشر . وفي نفسي ان أبيقور هو الذي كنت أقتلدهُ من التخيل^(١) لو لم أكن أعتقد بديمومة حياة النفس (يقصد خلودها بعد الموت) وبالعقوبات (يقصد الأخروية) على أفعالنا ، وهو الاعتقاد الذي رفضه أبيقور »^(٢)

اقرأ أيضاً ، بعد رجلي الكنيسة هذين ، قول المؤلف الاندلسي ، القاضي أبي القاسم بن صاعد في كتابه الطريف « طبقات الامم » . فان هذا الكاتب الذكي ، على قلة ورود المضبوط السقي من بنوعه في مواضيع الفلسفة اليونانية عند كتابنا الاقدمين ، قد أعطانا هو عبارة فيها من الصحة عن أبيقور بقدر ما فيها تماماً من نصوع صفحته . قال : « وأما الفرقة المسماة من الآراء التي كان يراها أصحابها في الغرض الذي كان يقصد اليه في تعلم الفلسفة ، فشعبة أفانورس^(٣) ، ويسمون اصحاب اللذة لانهم يرون الغرض المقصود اليهم في تعلم الفلسفة اللذة التابعة لمعرفتها »^(٤)

نأمل ، الآن في تينك الشهادتين الوضاعتين بحق فيلسوفنا تصدران عن رجلين صادقين من آباء الكنيسة ، ونأمل فيما وصل الى القاضي بن صاعد من خلال ركام القرون الوسطى من ناحية حقيقة عن أبيقور المجهول : هي أن « شيعته » على لغته واهة اغلب الكتاب سابقين حتى « مونتاني » ، رأيت اللذة في اللذة التابعة الى معرفة الفلسفة . ثم انظر فيما اشتهر أنه ووصم به عند جهلاء الادعياء ومحرفي المعرفة وسخفاء التفلسف من سوء الصيت وشهوانية لمعوى ، حتى صار أبيقور منسوباً اليه عدواناً وتجنباً كل رقيق من مجانين متطرفي الذات عند رومانين ، اولئك الذين قصّر حتى « هوراس » الشاعر في هجوهم وتهزئهم ، وان كان من جهله قد تبعهم أيضاً في إسائة فهم ذلك المعلم الكريم ، فلاك اسمه بغير حق ومرغهُ

حظائر الحنازير

طبعاً لم يؤثر هذا الصيت المشوه في تحريف حكم المفكرين الانسانيين الثقات الا صلاء وتقديرهم . رئيسيس بابكون ، مثلاً ، إذ يعر بذكر أبيقور في مقالته « عن الاتحاد » ومقالته الاخرى عن الوحدة في الدين » ، لا يبدي نحوه الا انكاره « السنسي » الصبغة لشهرته الفلاسفية عنده ، لا يلاحظ عنه انطباعة الشهرة الانفاسية المشوهة ، بل يبدو عليه الميل المكتوم بتعذر انظر الى رأي أبيقور وتعقيله ، ويعلم بجرأة اعجابه العالي بقوله البديع : « ليس الكفر رفض الاعتقاد بالله السواد ، بل الكفر في الاعتقاد بالله ما يعتقده السواد فيها »

(١) الجائزة ، او دليل الاسبقية والاولية (٢) الاعترافات — نهاية الكتاب السادس (AI—XVI—26)

(٣) أفانورس » ، اي أبيقور (٤) طبقات الامم — نسخة اليسوعيين ونذرلوس شيخو — بيروت ١٩١٢

غير أننا ، من جهةٍ أخرى ، نجد أن السمعة الرديئة التي لصقت بالأيقورية أثّرت حتى في مفكرٍ مرتابٍ حرٍّ مثل مونتاني . فمع أنه ، مثلاً ، بطراً عليه ذكر أبيقور ، في فصله الكبير « الاعتذار عن رايمون سيديون » كصاحب تأملات فلسفية تحققت صحتها في اكتشاف جُزر الهند الغربية ، فإنه ، على جري عاداته في تأملات أفكاره السائجة مع كل ربح قد تصل به مكاناً أو قد لا تصل ، يعود في مقاله « عن بعض آيات لفرجيل » — في معرض الكلام عن بهيمة الشهوات ، وحديث الامبراطور الذي اقتضت عشر قتيات في ليلة واحدة والامبراطورة التي بزّته في استبدال خمس وعشرين رجلاً في ليلة واحدة أيضاً — إلى ذكر ما سمّاها « فرقة أبيقور » كشيء من القباحة في هذا الباب مثل كل ما عدّد غير ذلك من كتابات وافعال !

إنما نحن نعلم اليوم بأنه يحدث في التاريخ أن المنتسبين إلى معلم إنساني كبير ، أو قل من ينسبون أنفسهم إليه ، كثيراً ما يبدلون ويمسخون ويقلبون مبادئه ومنطق تعاليمه بحسب الهوى والمصلحة أو نوع الضغظ والاتجاه المادي والمعنوي والنفسي ، من عامٍ بيئيٍّ وخاصٍ شخصيٍّ حتى ليصبح هؤلاء المنتسبون بما يخرجون به أحياناً سبّة كل عقل صافٍ وحكمة ناضجة ، وحتى ليتجلبب ذلك المعلم الكبير — وهذا ما يؤسف — في نظر الكثرة التي تجهله وبصعب عليها فهم مستعصيات الفروقات والتطورات والاستنتاجات ، بمجلباب خزيهم وعارهم . لقد أشار لينين إلى ظاهرة كهذه بشأن ماركس والحركة الاشتراكية من بعده في كتاب من آخر كتبه . ومن الأمثلة أيضاً على حالة كهذه يسوع المسيح و « المسيحيات » التي انتسبت إليه ، ثم كذلك أبيقور وعديد من سموا أنفسهم أو سمّاهم سواهم « أبيقوريين »

ومن الملاحظ أيضاً بخصوص أمثال هؤلاء المعلمين الكبار أن من ينتسبون إليهم ، ومن يشرحونهم ويتلاحقون عليهم ، يختلفون ويتباينون في أمرهم أكثر من تباين الحق والباطل ! بل قد تكون فسحة تباينهم كالفسحة بينهم وبين من لا يطبقون حتى سماع رنة أمتائهم . وقد يفترقون إلى فرق وملل ومحل تتباغض وتتعدى وتثير — لا أقول الثورات ؛ أي حقبات الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية ، والانشاءات الشعبية والعلمية الكبيرة ، والتطور الإنساني الارتقائي في العلاقات والتفكير والشعور والعادات — بل تثير مذابح الفتن والحروب والعصبيات الفائرة الحادة ، وأنواع النفاق والتنافس السياسي والاغتصابي (والاغتنامي) وهذه الظاهرة كانت قوية جداً وطويلة التاريخ في المسيحية ، وفي المذاهب « الروحية » التي انتشرت كمنظّات مدنية عموماً . ثم هي أصغر من ذلك ، ولكن أبلغ انضغاطاً وأسرع انفجاراً وأفضل ، على الأقل ، نتيجة إنسانية ومدنية ، في الاختلافات الاشتراكية التي حصلت من حول اسم ماركس . فالأولى تسببت وعاشت بالحرب والقتال ، والثانية رافقها ما في حياة

الاستعار وكأنه من حربٍ و قتال . بيد ان من انتسبوا الى أبيقور ، ومن لم ينتسبوا ، ومن بنت فيهم الرجفة حتى رنة اسمه ، اختلفت في هذه الظاهرة حالهم . فهم لم يتناذبوا فيما بينهم صطمين حول انشقاقات فهمهم لأبيقور ، ولم يشتهروا بشيء من ذلك . انهم لم يتحاربوا ولم يتقاتلوا أبداً !

سبب ذلك ان جماهير الناس ما سمعت قط حتى باسم أبيقور ، كما انه لم يكن لاني الحقيقة ولا في الفكرة المشوّهة التي نسبت الى اسمه ذا قابلية على انتشار التأثير والمكانة في كل بيئة كانت ما تكون . فأبيقور على حقيقته وصفاء فلسفته يصعب ان يجد له مقعداً في بيئة أقل رقياً من جمهورية أثينا الخالدة في وقته . والآبيقورية المشوّهة كعبادة بهيمية لا يعلوها صوت إلا في حلقات ضيقة ، كحلقات المتخمين حتى التي ، الفارغي الرؤوس والقلوب ، ومن كانوا على عقليتهم ، في دور كدور انحطاط روما الامبراطورية او بغداد العباسيين وممالك الطوائف . لذلك كان اصحاب الهوى والهوس في ابيقور ضاعفاً قليلين ، على الاكثر المعروف من « المتعاضين » المتكلفين . لم يأخذوا عنه الفلسفة ، بل رأوا فيها تلطّخ به اسمه عنوان رذيلتهم وتسويفاً مبتذلاً لنفوسهم بقدر ما كانوا عليه من ابتذال

وعلى هذا ، فإنّ اثرأ لم يتضح ولم ينتفخ لا لأبيقور ولا لهم في صلب حياتنا الماضية أو الحاضرة ، في عقل بشرية متجمهرة ، مجيشة ، مسخّفة ، متعاركة بالناب المزبد والظفر الدامي على صولجان سلطنتها ورغيف اطفالها . فخط ابيقور في خمول الصوت وغلبة الانحراف عليه حائد ، إذن ، إلى ان الإعجاب به هو الإعجاب الفلسفي والاخلاقي السلوكي السامي ، الهادي ، المتسامح ، الذي لم يكن إلا من نصيب قليلين فهموه وأحبوه ، من فوق الاجيال والاكاذيب ، حُبّ صداقة شخصية ، لا الإعجاب الطمّوح ، المتهب بنيران وجهالات الرغبات « المثالية » ، ولا توجه وتكريم التفكير « العقائدي » ^(١) او « التعليمي » ^(٢) الجامد ، التعصي ، المطلّس الوجه بلونيات مثالية ، المبطن القلب في الواقع بنوع تكاليف وآنيّة في الغرض (لنسما : *Teleologisme* آنية ...)

لهذه العوامل فقدت حقيقة أبيقور أكثر مما ضاعت حقيقة ماركس . ولو انه كانت لفلسفة أبيقور ونظرياته ما كان لافكار ماركس الفلسفية الكبرى ونظرياته الاستنتاجية الاخرى من علاقة وثيقة صارخة بمصالح الناس الآنية والمباشرة ، ولو انه كان لها ما لهذه من منطقية سريعة التفتح في صلب الحياة الاجتماعية (بل الماركسية أسرع حتى من منطقية الحياة الاجتماعية لانها مبينة

(١) ترجمة استعنتها للفظة Dogmatic (٢) ترجمة استعملتها للفظة Doctrinaire و« التعليمي » في التفكير الحديث « كالعائدي » في التفكير العتيق

على حركتها — او بالاحرى على ما في الامكان تبينه من الخطوط العامة واتجاهها في حركتها ،
إذ تهبط وتتغلغل الى اعماق العيش اليومي بمختلف الاشكال والمجاري التي تتصادم حتى كتناد
الحياة بعضها ببعض ، والتي تصبح في احتكاكها بحالة الجماهير ونفسياتها ذات قابلية على توليد
عواطف اهتياجية شديدة —) اذن لكنت هرعت طوائف الناس ايضاً الى ابيقور كما هرعوا
الى ماركس ، ولتعلقوا به كل طرف وجماعة على وحي ما بهم ونوع حماسهم دفعاً وجذباً ، وشدداً
ولفتاً ، وتقبلاً وتخييطاً !

لكن ماركس ، فيلسوف الثورة الصناعية والنحول الاشتراكي ، قد حظي بعصر الصق
به جمهوراً وأوسع وأكثر اشتباكاً من كل عصر ، مع ان ابيقور كان في زمنه شخصية تستوقف
عناية الجماهير ايضاً (في أثناء حياته فقط) اكثر من كل فيلسوف يوناني آخر الا « يرهون » .
ثم ان ماركس قد حظي ايضاً من الاتباع المدركين ، والمحبين المكملين له في قلب حياة زمنه ،
من لم يكن لهم من الجهل ولا من الطمع به كمبرر شخصي مثل الذين يلي بهم ابيقور . وابيقور ،
وان كان قد نال قسطاً من أرقى الذكاء البشري لدفع ظلامته وبحلية حقيقته ، إلا أنه لم يدفع
عنه أحد بمثل ما دفع هؤلاء عن ماركس ، وبمثل ما رفعوا من نبراس حقيقته من خلال ظلمات
الدخان الدامي وعماء الحق المنقشي

هذا ، وقد يستغرب ان يزعم زاعم بأن فلسفة ابيقور تعيش في الماركسية . لكنها حقيقة
واضحة لكل من يفهم شيئاً من الفلسفة غير الشهرة والاسماء . وان فلسفة ابيقور تعيش فيها
من وجهتي الاعتماد في النظر والتعليل على المادية وعلى « الديالكتيكية » . وتعيش فيها ، ايضاً ،
بالطبع ، بما يتجه التفكير اليه ، على هذا الاساس المزدوج عند كليهما ، من نفس النتائج والآراء
والمبادئ . في نفس القضايا ، وان كانت قضايا الثانية ومسائله الفرعية تختلف أغلبها وتزيد وتعقد
كثيراً عن قضايا الاولى ومسائله . وذلك لان العصرين مختلفان ، لان مادة البحث والمعلومات
الحاصلة والمتيسرة تزيد وتترتب وتتناوب في ثانيها عنها في الاول منها ، فنزل الماركسية لهذا
السبب من ميدان التفكير الفلسفي الى أقصى ميادين الاحتكاك الواقعي بالجموع ، ومن ثم الى
التحول الديالكتيكي الحركة بحسب ما تحكم مجاري تلك الميادين ومناقشتها في مجرى صحة
النظريات وسلامة الآراء والتصورات . أما فلسفة ابيقور ، وان كان هذا الاسلوب والتعقيل هو
أسلوبها وتعقيلها بالطبع والامتيار ، إلا أنها ، لما ينشأ من أسباب ، تكاد تقبع في حقل التعليل
والتفسير الكوني والطبيعي ، وفي مبدئية أخلاقية إنسانية عامة

لكنها على كل حال أصدق ما تأتلف ويتساوى من الاساس (اذا لم تكن الوحيدة التي
تأتلف وتتساوى) من بين فلسفات جميع العصور السابقة مع أساس فلسفة الاشتراكية الحديثة

العلمية في المنطق والاسلوب ، ثم في الحدود الموضوعية التي تصل إليها معها في النقيض والاستنتاج وأخيراً في اعتبار أخلاقية الفرد الاجتماعية . أما الوجهة الاخلاقية السلوكية هذه عند أيقور ، فلا أنصوّر الماركسية وجدت أو يسهل عليها ان تجد للفرد سلوكاً أخلاقياً عملياً عيشياً في مجتمعه أفضل وأعذب وأبلغ استقامة اجتماعية مما نلقى في أيقورية أيقور ، تلك الحكمة الجميلة المعتدلة في العيش والاجتهاد والرفق بالذات والانسان ، تلك المبادئ والاعتبارات في الخير والشر التي ما أمكن الا أن تفوز باطراء أي رجل صالح عادل كان ، حتى من وجد في مخيم معاكسي أيقور المذهبيين ، سواء في ذلك مخيم أعلام التقوى والنظر المسيحي او كبار المفكرين الخالصي الضمير . ومن بين كبار المفكرين هؤلاء واحد احب ايقور بعقله وقلبه ، واحب انا ان اتحدث عنه قليلاً كتلميذ حق لذلك المعلم . هو اناتول فرانس ، الذي ترك في برك عالم الادب الرفيع بين اكاليل بدائمه كتاباً معجزاً صغيراً لقبه « حديقة أيقور »

لم يرد في هذا الكتاب اسم للفيلسوف الاغريقي أو إشارة مباشرة الى أفكاره ، فيما عدا غاوبن الصفحات ، غير مرتين او ثلاث . فما ذكره به في هذين المرتين او الثلاث ما جاء له في جملة من قوله : « ... في اسمي العقول ، واصفاها ، وأعذبها : في ديموقريط ، في أيقور ، في غسندي » ^(١) ، ثم ما وضعه على لسانه في مساجلة تخيلها بين الفلاسفة تجري وسط العبرون والآس على ضفة نهر في « هاديس » ، عالم ظلال الاموات عند اليونان ، إذ جعله يخاطب ارسطو بمعرض آراء متواردة عن خلود النفس ونفس الحيوان ، قائلاً :

— إيه ارسطو ! هذه النفس فيها (اي الحيوانات) هي مثلها عندنا فانية خاضعة للموت ، وفي ذلك سعادتها . أيتها الظلال العزيزة ! إصطبري منتظرة في هذه الجنائن مجيء الزمن الذي تفقدن فيه تماماً ، مع فقدان الرغبة القاسية في الحياة ، الحياة نفسها هي واوصابها . ألا فارقدي ندماً في السلام الذي لا يعكسه شيء .

وهكذا ليس هذا الكتاب سيرة لايقور ، ولا شرحاً ، ولا مجادلة ولا نقاشاً ، ولم يأت فيه صاحبه حتى على لفظ اسمه إلا كما رأيت . وهو ، إن اردت الصحيح ، ليس الا حديقة أفكار لفرانس ذاته وردت عليه بروح التعقيل الايقوري وأسلوبه من غير شك ، إذ الكتاب مجمله يعبق برائحة جميلة لجو « دياليكتيك » ايقوري مادي ينتج منه المؤلف منطق متناسق وحلقة آراء تستقيم في مجموعها مع وزن (او قل : دوزنة) الايقورية الفلسفية ، اي ايقورية ايفور لا غيره .

صحيح ان حلقة آراء فرانس هذه ، وجوها العابق بدياليكتيك ايقور ، ملونة بأصباغ

(١) تجوزت في تنوين هذه الالمام لحاجب معنى الافراد الى سبيل انزل و جمع من نوع الاسم

شقي متناسقة ومتعارضة ، وفيها مزيج من تكهات كثيرة مما رؤي وظنّ ، وحق وبطل واختلف فيه من معاني الابيقورية : من حقيقة ما جاء منها لا يبقو وعنه ، وما اختلف وتناسق حقيقة مع منطق فلسفته ، في التعابير والنظرات التي يصدرها فرانس مباشرة ، او مما تستخلصه او تراه بنفسك في اثناء محاورات تدور فيها الا راء معروضة يوشك ان يتجلى فيها صحيحها الابيقوري من غير تسمية او تنويه الى ما يشبه كلاماً ودعوة ابيقورية كالعبارة المنقولة فوق والتي وضها فرانس ، وكأنه يتكلم ويخلط بأبيقور « زينونيّا » رومانياً او شونهوراً « ماكس نورداوينا » في فم ابيقور ذاته ، واخيراً الى انحس ما تصور في الابيقورية وما لبسته من دعوى المحبة المفرقة المنحلة للشهوات البدنية ، واستعمال الملذات مطلقاً كاعقل وأفضل مصرف للعيش ، وذلك فيما وضعه من اعترافات على لسان « قدموس » الفينيقي الخرافي ، رمز اختراع حروف الهجاء ومثال مدينة الصناعة والتجارة والزراعة الاعلى في حضارة البحر المتوسط القديمة ومطلب جبارتها في السلطة المطلقة والانحلال برفاه تنعمي صفيق ، كل هذا وارد وصحيح من أمر هذا الكتاب ، ولكنه يتألف من تلك المجموعة الملوثة ، كما أشرنا ، مخرج واحد لونه صفاء النور ، صفاء منطق ابيقوري سليم لا يحتمل ضوءه اظهاراً رائعاً أصلياً لما ليس من الآراء والتعليلات مستقيماً مع مجرى شعاعه

غير ان في الكتاب ، عدا هذا وذاك ، محاورة تعرض النقيض الابيقوري تماماً بمهارة فنّ فرانسى ساحر . هي آخر قطعة منه ، وكأنما الاديب الانساني أراد ان يرينا فلسفة معلمه القديم من معرفة صورة عن عكسها . ذلك انه يعرفنا بإيجاز وتمكّم رحيم الى انسان رومانتيكي النزعة ، « روسوي » ، ونوعاً ما شعري « برناردين دي سان بييري » ، لا ابيقوري على طول الخط . هو نتاج فكري لاواخر القرن الثامن عشر الفرنسي ، لكنّه ظهر في أواخر التاسع عشر الفرنسي ، متأخراً بذلك في حساسية نفسه عن سير الزمان وعن معدّل حساسية التفكير في سبق سير الزمان لا أقل من مائة سنة . وسبب ذلك ان فلسفة هذا الانسان أكثر ما تشكلت بتأثير أحوال خاصة معينة ، متأخرة فيه عن وقتها شدوذاً ، فأحاطت بحياته الشخصية بحيث ظهر اثر تغيرات قرن الثورة الصناعية عليه بمظهر أفكار الهدم والانكار في قرن الثورة الديموقراطية السياسية سابقة . وبكلمة أخرى من استعمال التعبير الماركسي : هو بقية باقية من الطبقة الوسطى الصغيرة الثامن عشرية الفرنسية ، او التاسع عشرية الالمانية ، او الاوائل العشرية في سوريا ومصر العربيتين ، لكنه متأثر في تمزق نفسه بحياة متغيرة في فرنسا التاسع عشرية ، فرنسة الدنيا « البازاكية » وبيئة « مدام بوفاري » و« التربة العاطفية » الفلويرية

وعلى هذا فالانسان محاورة فرانس ، الذي هو فيلسوف لم ينتج بين الناس ، قد ضجر من

حياة المدينة ، مدينة زحف وتغيرات الثورة الصناعية واستفحاحها ونوع الحياة الرأسمالية العاجية التي خلقتها ، الحياة المدخنة الكثيفة ، يذوب فيها نوع الفرد الذي لا يشعر بنفسه إلا في ظهوره وضالة محيطه كما تضيق النملة بين قبيلتها

كره صاحبنا بيتنا بليداً في صفٍّ في شارع من العاصمة ، فهجرها الى الريف . في الريف اشترى ديراً خرباً وسط عرصة تابعة له . وفي الدير عاش مع ذاته ، ناسياً كل عمل وعيش بين الناس . لا يقرأ عنهم إلا بالصدفة ، لا يكتب ، لا يتقن حتى قطعة ارضه او حديقته ، يتسلى ويقاوم الوقت بالكسل والنظر الطويل في معالم الهواء وغيوم السماء ، ويغذي نفسه بأراء كأنها نصائح التعزية ! فكلها تسفيه وتسخيف لكل ما يدعى او يترادف او يقرب من اسماء مدينة وفن وثقافة وعلم وأدب ورفاه . لقد أصبح عنوان طلب البساطة في البقاء . لا يخدم شيئاً ، ولا يخدم سوى فتاة حسناء ، منفوخة الحدين ، فارغة الرأس والقلب . عنها وعن نفسه يقول لزارته : — هي سعيدة ، ومهما تعمل فطاهرة . فان العلم والمدينة هما قد خلقا الشر الجسدي يرافقه الشر الاخلاقي . انني لا أكاد اكون من السعادة مثلاً ، اذ انني اكاد اكون من البلاءة مثلاً . واذا أصبحت لا افكر في شيء ، فاني لم اعد أعذب نفسي . وإذ صرت لا آتي حركة ، فاني لأخاف ان اسيء عملاً . حتى حديقتي لا اتفقها ، اشفاقاً من ان أتم فعلاً لا استطيع ان احسب نتائجه . وفي هذه الحالة اراني على تمام الاطمئنان »

فهذا الشخص ، كما ترى ، « روسو الجديد » يتكلم ، وان كان اصح كثيراً من روسو العبق . واقع هو في نفس الحالة التي يهرب ويظن نفسه بمنجى منها كما سترى من خبث دعاية فرانس . واذا قابلنا مثاله بأبيقور وجدنا ابيقور رجلاً واقعياً متمدناً لا ينكر الجمعية ويتحفظ كلومياء . هو يتقن عقله وحديقته يوميّاً ، ويبارز الفلاسفة ، ويعلم الناس . يعلمهم وربما بدون اجرة ، ويقدم حتى نفسه مثلاً . يعلم بأن على الانسان — لا قدرة فقط ، بل حتى شاء ام ابى وبالرغم مما في فكره — ان يعتني بحديقته . والا ، فالنتيجة الطبيعية : من اين يأكل ؟ ومن بض فرط ألم الانسان هل يخلص ؟ عادياً متعادلاً ، حساساً ممتازاً ، ولد هذا الخلق . ومن غابات الهمجية وكهوف السباع فقيراً خرج ، لا طعام على مائدته ولا حائط بقيه الناصفة . وليس كل من جاءت به امه في مدينة مكروهة بصاحب ثروة ، موروثة او « مرسملة » او متعوب عليها ، فيشتري بشيء منها ولو ديراً مهجوراً بعرصة مهملّة ، ويكتري ولو فتاة بلهاء تطبخ له الزاد وتُربيه وجه المرأة

وهكذا ترى . فصاحبنا الذي سيعكس فرانس أفكاره هو عن أفكاره ، كنوع مباغية في عقلية الرهبنة الاعترالية التي تتواري في وكرها إما لفوضى الحياة وخرابها ، كما أشار فرانس في

« حديقة أبيقور » الى حدوث ذلك في سبب ازدهار الرهينة بالهيمار امپراطورية روما ومعها جميع بنيان مدينة العالم القديم وأمن الحياة فيه ، وإما لنفس منهوكة ، مخيبة ، شاذة ، متقرزة مفرقة في توثراتها العصبية مما يحيط بها ، كما يظهر في اتجاه الافكار الروسوية ، وإما أخيراً بتأثير نواح معتدلة من كتي هاتين الحالتين معاً كما هو ظاهر في متفلسف فرانس هذا ، الذي مثاله الهرب من المخلوق البشري ، التخاذل عن كل عمل ، الكسل الابدي اللذيذ ، روحه ذات أصرة — على وهن خيطها — بالروح العدمية المقتولة في بعض متشرد قصص مكسيم غوركي ، برغم الفرق الكبير بينهم وبينه . انهم في حركة أبدية قائمة محزنة ، وهو في سكون أبدي مخدر على ان فرانس قد خرق منطق صاحبه هذا بطعته النجلاء ، فبدد ما اوردت له من مكانه فوق كما تبدد نفحة نسيم بحري من ارخبيل الاغريق شتات غيوم قطنية مندوفة في سماء صائفة . وذلك حيث برد عليه ، في محادثتهما التالية ، بقوله :

— لو كنت في محلك لما شعرت بظلمة . من قال لك ، يا صديقي ، بأن سكونك الى هذا الدبر المغطى بالطحلب والبلابل ليس هو عملاً ذا شأن في مجرى الانسانية اعظم من مكتشفات جميع العلماء ، وذا تأثير حقيقة في المستقبل ؟ — ليس هذا بالمحتمل — بل ليس بالمستحيل ! فأنت تعيش حياة فريدة . انت تتحدث بكلمات غريبة قد يمكن ان تجمع وتطبع للنشر . وفي بعض الظروف لا يلزم اكثر من ذلك لكي تصبح ، بالرغم منك وحتى من دون ان يكون لك اي علم بالامر ، مؤسس دين يصبح إيمان ملايين من الناس ، فيجعلهم تعساء واردياء ، وبذبجون باسمك الوفاً من خلق آخرين . . .

— إذن على الانسان ان يموت كي بطمئن ويكون بريئاً

— حذار من هذا ايضاً : ففي عملية الموت أمام فعل ذي نتيجة لا يمكن حسابان مداها ! هكذا جعل هذا المداعب الكبير فرانس ، هذا الابيقوري الأصيل ، المتسر بل مجبنة موروثة في نفس الانسان عن عبقرية اخرى من اليونانيين ، عبقرية « يرهون » ، ذلك الكاهن الاعلى في هيكل الشكوكيين ، ذلك الذي « كان ابيقورس » ، في لغة معرب فيثيون ، بحب محادثته ومكلمته ويلتذ بسماع قصة معيشته واحواله » — اقول : هكذا جعل اناتول فرانس الابيقوري البيرهوني في نفس الرجل الساذج محدثه « سراسابا » بعد اكثر مما كان قد بلغ به . ما ابداع وارق نكتة فلسفته ! ألا ان عيراً حلواً من نفس ابيقور يفوح عليها !

ولا غرو ، فان هذا الشيخ الاشتراكي الرحيم قد كان ، فيما نعلم ، آخر وابدع كاتب لمع في عصرنا ولا يضير سمعة ابيقور انتسابه اليه ، ولا حديقته تثقيفه فيها وتعليمه بين شكول ازهارها ، تحت فواكه غصونها وهينات ظلالها الوثيدة المبول

جَدِيقَةُ الْمُقْتَطَفِ

الآخر !

للشاعر الألماني الشهير آرثر شنيترز

Arthur Schnitzler

نقلها : ايزاك شמוש

شيكاجو

للشاعر كارل ساندنبرغ

نقلها : زهدي التاجي الفاروقي





آرثر شنتزلر

كاتب نمسوي الماني من اشهر كتاب العصر الحديث . وُلِدَ

سنة ١٨٦٢ وتوفي في سنة ١٩٣٣

الآخر !

للكاتب الالماني الشهير آرثر شنيتزلر

Arthur Schnitzler

وحدي !... وحدي !...

انا جالس الى منضدتي ، والمصابيح مشعلة ، الباب المؤدي الى غرفتها مفتوح ، نظري يسبح في ظلام الغرفة ، ... الاضواء المشعشة المنبعثة من الدور المقابلة تنعكس على زجاج نافذتي ... يا لله لقد تبدل كل شيء !... كانت تسبل بعناية ستائر مكتبي ، وتدينها بعضها من بعض لتمنع عن تقاربنا ، في غيرة قوية ، ضواء الشارع والاضواء المجاورة

الساعات تمر ، طقت في غرفتي ، ثم أخذت أطوف في غرفتها ، تمددت على كرسيها الطويل ، تمددت عليه بدون حراك ، وطفقت أصوب نظري نحو النافذة التي تكشف لي عن عالم أصبح بعدها ولا شأن له ... ثم وقفت الى منضدتها ، وأخذت بيدي اقلامها الخيرية والرصاصية التي اسأزل تعق بأريج اصابعها ... انحنيت بعد ذلك على موقد مدفأتها المطفأ ، وشرعت احرك الاوراق والنفخ ، فكان كل ذلك ، وقد استحال الى رماد ، يصر صريراً حزيناً ، عند ملامسة المحرك الفظ

اذهب كل صباح الى المقبرة . الحريف المتأخر تنيره شمس وقحة ، باردة ... لا اكاد اشاهد الجدار الابيض عن بعد ، حتى اشعر بحرقه في عيني ... اطوف بين صفوف الاضرحة اراقب الذين يصلون ويبيكون ، اصبحت اعرف بعضهم ، وما يدهشني هذه الطريقة المتشابهة التي تسكاد تكون هي هي عند الجميع ، وتلك الحركات التي يكررها كل منهم ، في كل مرة ، بدقة فائقة ... اصبحت اعرف هذه

القادة التي تنهالك على اقدام ضريح يعلوه صليب ، نجيش في البكاء ، وتذرف ذات الدموع ، وتضع ذات ازاخير البنفسج على الارض المبللة ، ثم تنهض وقد راق لون حياها نوعاً ما ، وتشعر بتبعد عن المقبرة بخطوات سريعة وثابتة ... هي تبكي شاباً في الرابعة والعشرين ، خطيها بدون شك ... كيف تقوى على الهوض ؟ ومن اي ينبوع تستقي ذلك العزاء الذي يلمع في نظراتها كلما عمدت الى الهوض ؟ ... اريد ان اتبعها ، وان اصرخ في وجهها : « لا عزاء ايتها الجنونة المسكينة ! » ولكن ... وأنا ؟ ... انا وقد اعتدت ان آتي كل يوم الى هنا ... عما اجث اذن ؟

اولئك النسوة ذوات البراقع الحريرية ، والقفازات السود ، يضابقني كثيراً ... لاشك اني مثلن ، صاحب اللون ، متفتخ الاجفان ، ولكني وأنا مثل بشي . سام منقطع النظير ، لا تحمل هذا التأثير الذي يرسم على وجوه الآخرين ، فانظر في شيء من الحسد الى ذلك الانسان الذي تهزه ذات الرجفة التي تهزني والآن ، فان تأثرتي تشور لمجرد الافتكار بأن جميع هؤلاء الذين يتيهون بين الاضرحة يلتمهم نفس الالم الذي يلتمني ، ذلك الالم الخالد الذي نعجز عن التعبير عنه ! اوه ! يا للرحمة ! جميعهم يتألمون ألمي والايام تمضي ، فتجلب افكاراً جديدة ... وتبعث آمالاً جديدة ... وتعيد بصورة أكيدة ربيعاً ينشر خضرته الصفيقة امام انظارنا ... سيعود الهواء قاراً ... وستعود الازهار تعطر الجو بأريجها ... وستعود النساء تبسم كما كانت تبسم من قبل ... وسنخضع عن انفسنا مرة اخرى ... سنخضع عن انفسنا وننسى حزننا !

أقف دائماً على بعد بضع خطوات من النجف الذي يواربها ، عندما يوضع الحجر ، أستطيع ان اتكئ على درجات الضريح الباردة . وأستطيع ان انجي ، وأن أجنو على قبرها ... لا أجرؤ الآن على الاقتراب خشية ان تنهال بعض الحصوات على نعشها ... ومع ذلك تتناوبني احياناً رغبة لا تقاوم للارتقاء على ذلك النجف ونبشه بأصابعي ... ألمي لا يعرف الصبر ، هو ألم وحشي ، تصطك له أسناني ... أصبحت أبغض كل شيء ، وجميع الناس ، وعلى الاخص اولئك الذين يتألمون مثلي

جميع هؤلاء الرجال ، والنساء ، والاطفال ، الذين أصادفهم كل يوم ، يثرون حفيظتي . . . أتمنى لو أستطيع ان أطردهم . . . وأي حزن ينشأ بي ، بصورة خاصة ، عندما أفكر ان احدهم جاء البارحة للمرّة الاخيرّة ، اذ أحسّ بسكون المرء المله ولا حظ انه يخف من يوم لا آخر ، وهو يعود من المقبرة . . . انه عاد لا يتألم . . . لقد استيقظ ذات صباح باسماء . . . آه . . . كم أبغض اولئك الذين يستعيدون ابتسامهم ! هل يأتي يوم أستعيد فيه انا ايضاً ابتسامي ؟ . . . وأنسى ؟ . . . لا تكاد ذكرى شبابي تفارقني : اني لأرى نفسي أجتاز الغابة الى جانب محبوبتي . . . كان عليّ ان أكون سعيداً جداً ، وقد كنت سعيداً جداً . . . ولكن هنالك بعض لحظات تلتهم في أحشائها كل شيء ، تلتهم المستقبل والماضي لانهما الخلود نفسه ! لم أكن قط من اولئك المتزهين الهادئين الذين يعبرون الطريق الكبيرة ، ويتوغلون في الحقول ، ويتمددون بلطف في ظلال الغابة ليتذوقوا النسمات البليدة التي ينعشهم بها صباح منور . . . كلاً ! لم أكن من هؤلاء ، وانما كنت أتسلق الاشجار ، لاستكشف آفاقاً أوسع ، وكنت أشاهد الطريق اذ ذاك تتلطف في السهول البعيدة حيث يخضر الربيع . . .

في هذه الغرفة ، وازاء هذه النافذة ذاتها ، التصقت بي ذات يوم امرأة وأخذت تعانقني وتقبلني . . . رجفة باردة هزتني . . . الدقائق ، الساعات ، الايام السنون ، كل ذلك أخذ يهرب ، مسرعاً ، مسرعاً . . . انتهى عهدنا . . . دبّ البنا الهرم . . . أدركنا النهاية . . . هكذا كنت أدنّس حبنا ، باعترافي بقابليته للزوال ، وهكذا أدنّس ألمي الآن لتفكيري بأنه سيأتي يوم أبتسم فيه !

من هو هذا الرجل ذو الشعور الشقر والعيون الحزينة ؟ من يبكي ؟ الضريح الذي يزوره كل يوم كئن على بعد بضعة خطوات من ضريح امرأتي . . . لقد استوقف نظري هذا الرجل لاني لم أستطع ان أبغض كلاً خرين . . . هو يأتي قبلي ويبقى حتى بعد ذهابي . . . ومن المحتمل انني كنت لا أشعر بوجوده لو لم أشعر ذات يوم بنظرانه ترمقني في كثير من الحنان أزعجني . . . تفرست في وجهه ، فحوّله عني شيئاً فشيئاً ، ثم أخذ يبتعد وهو محاذٍ للجدار . . . لا بدّ اني عرفته قبل اليوم . . . ان وجهه ليس غريباً عني ! . . .

أين رأيته أذن؟ ... في سفر؟ ... في مسرح من المسارح أو شارع من الشوارع؟ أنه يشعر بحزني بصورة غريزية ... ربما كان يعضه حزن كحزني ... لعل هذا الغرض يفسر نظراته، التي لن أنساها قط! أنه شاب وجميل!

ها قد جلست مرة أخرى الى منضدتي، أزهار ذابلة تحيط برسم المرأة التي كانت قريبتني، بل سعادتي، بل دنياي! ... بدأت افهم الاشياء وأقدرها ... الايام التي عشتها أخيراً غشت على عقلي ... أخيراً وجدت نفسي ... للمرة الاولى منذ شهر. عزمت على ان أشغل نفسي، ان أفتح مكتبتي، ان أطلع، ان انظر في بعض الاوراق، ان افكر ...

لم افعل شيئاً من ذلك ... عدت الى المقبرة ... كان الليل قد شرع ينشر اجنحته السود ... ليس في المقبرة احد ... للمرة الاولى جنوت على ضريحها وطفقت أقبل الارض التي حنت عليها فوارتها تحتها ... ثم اخذت ابكي: نعم بكيت ... لا صوت ... لا نامة ... صمت رهيب ... هواء ساكن، بارد ... نهضت التمس الخروج بين صفوف الاضرحة من جهة الكنيسة ... لا احد ... كان القمر يسكب ضوءه على صليب، وعلى الاحجار، بصورة لا يمكن ان يفوتني معها وجود شخص ما ... فلما هممت بالذهاب صادفت امرأة، ملفحة في نقاب الحزن، وفي يدها منديل ... اني اعرف النساء ... كانت الطريق العريضة المؤدية الى المدينة يضاء تحت اشعة القمر، وكنت اسمع وقع خطواني، لم يكن هنالك من يتبعني، وهكذا بلغت منفرداً اطراف المدينة حيث استقبلتني بيوت الضواحي والفنادق، وترددت في اذني اصدااء الجلبة والضوضاء ...

اشعر بتحسن حالي ... الآن وقد عدت احس برغبة ملحة كنت قد نسيتها منذ زمن طويل، احس برغبة قوية لفتح نافذتي، لاسمع جلبة الشارع، لاسمع اصواتاً بشرية ... ولكن الليل هرم وخرس ... تكاد اصابعي يجمد من البرد وانا اكتب، والضوء يضطرب رغم سكون الهواء

كنت مستنداً الى جدار المقبرة، وكانت صفصافة ضخمة تحجبني عنه ... بكّرت كثيراً لا اكون الاول، وصلت وفي غرفة الحفار، صباح بضئ ... جاء بعدي

كثيرون ، نساء على الاخص ... وفجأة ... هو ! ... اقترَب بهدوء من المكان المعتاد ، اقترَب بهدوء بعينه الواسعتين الحزبتين ، ثم جثا على اقدامه ... بذلك فصارى جهدي لاراه جيداً ... فرأيتُه يجثو على ضريح امرأتي !!!

انقطعت عن كل حركة ... اخذت انقاسي تتردد لاهفة منقطعة ... تشنجت اصابعي وهي تشد على اعصان الصفصافة ... مرت دقائق ... لم يكن يصلي ... لم يكن يبكي ... واخيراً نهض وشرع يطوف بدون وجهة معينة ، كما كان من عادته ان يفعل ... فاقتربت من الضريح ، ووقفت على بعد منه ، مستنداً الى حاجز حديدي بكتف ضريحاً آخر ، واذا به يعود من ناحيتي وينظر اليّ بهدوء ... ويستأنف سيره ... ويمر ... اردت ان اسأله ، ولكنني لم افعل ... شيعته زمناً طويلاً بأنظاري ، الى ان اختفى وراء الكنيسة !

لا اعرف بماذا كنت اشعر ، ولا اعرف بماذا اشعر الآن ! ... ولكن سيأتي يوم ... ربما كان غداً ، اراه فيه ، واسأله ، واعرف كل شيء !

* * *

آه يا لها من ليلة ! لا أستطيع ان أرقد ! لم تبلغ الساعة الواحدة ... فلماذا لا اعود الى المقبرة ؟ ... ماذا أستطيع ان افعل هنا ؟ ... هيا بضع ساعات صبر ، بضع ساعات فقط ، وجنوني بعرف لهُ حدّاً ... يتضح كل شيء ولكن الى ان يتضح ؟ ... صبراً ... بضع ساعات وتنقضي !

* * *

أجل على ضريح امرأتي ! ... هنالك رأيته مرة ثانية !!! كنت على بعد عشر خطوات منه ، لماذا لم انقض عليه ؟ ولماذا لم أقطع عليه الطريق ؟ عندما شاهدته يبتعد ؟ أليس من حق ان أسأله عن اسمه ؟ ومن أستطيع ان استفهم اذا لم استفهم منه ؟

حين أراد تخطي الباب تبعته ، ولكن يظهر انه أحسن بي ، أجل لست خطئاً ، لقد أحسن بي ، ولذلك حث خطاه مسرعاً ، وأنا بدوري حثت خطاي ، حتى اذا بلغت الباب ضاع عن عيني لحظة ، ثم ابصرته يمتطي سيارة ، اندفعت تعدو به مسرعة ... لم تكن هناك سيارة أخرى ، فطارده راجلاً ، ولكنه لم يلبث ان ابتعد عني كثيراً ... مدة طويلة ، طويلة جداً ، وقفت أشيعه بنظرائي كانت

الطريق مستقيمة ، فما زلت أراقبه عن بعد حتى اختفت السيارة عن بصري ، فلبثت في ذلك المكان كما أنا الآن لا بث أمام هذه الورقة في حالة قريبة من الجنون ! من هو هذا الرجل ؟ الذي يتجراً على ان يجثو على ضريح امرأتي ؟ من يكون لها ؟ كيف أعرف ذلك ؟ كيف أراه ثانية ؟ ... آه ! ان ماضي بأسره ينفك ! إن ماضي بأجمعه تبعث به يد التشويه ! هل أنا مجنون ؟ ... أمن الممكن ان لا تكون قد اجبتني ؟ ... ألم تكن تقف وراء هذا الكرسي ؟ ألم تكن تضع شفاها على جيبني وتلف ذراعيها حول عنقي ؟ ... ألم تكن سعيدين ؟ ... ولكن من يكون اذن هذا الشاب الاشقر الجميل ؟ ... ولماذا بدا لي محياه غير غريب عني ؟ ... انه ليخيل إلي الآن انني شاهدته مراراً في المسارح وفي المغاني ، جالساً بجانبنا وعيونه مسددة الى امرأتي ، لا تكاد تحيد عنها ! ... ألم يكن هو الذي وقف ذات يوم عند مرور سيارتنا ، وتبعنا زمناً طويلاً بنظرانه ؟ من هو ؟ من ؟ من ؟ أليكون عاشقاً افلاطونياً ؟ لم تعرفه ؟ ولم تتجه انظارها اليه قط ؟ ... لو لم يكن الامر كذلك لعرفته أنا أيضاً ، إذ كان لا بد له ان يبحث عن وسائل ليرانا في المجتمعات وليتحدث الينا ... ولكن كلا ! ... ربما كان يحذرنني ... انه تعرف على امرأتي ولم يعرف علي ، فقبعها في الشارع وتجراً على توقيفها ... كلا ... لو كان شيء من ذلك لا علمتني به ... ولكن هل كانت تعلمني به ؟ واذا كانت تحبه ؟ ... ولكنها كانت تحبني ! ... كانت تحبني ؟ من أين لي هذه الثقة ؟ لأنها كانت تقول لي ذلك ؟ جميع النساء يقلن ذلك ! ... والحديثات يسرفن فيه أكثر من الطاهرات ... أوه ! سأجده وسأسأله ! ... وهو ، على فرض أنها أحبت ، بماذا يحبني ؟ ... أزور ضريحها لاني كنت أحبها ، ولكنها لم تعرف ذلك قط ! ... هل استطيع ان اضطره الى قول الحقيقة ؟ ... ما العمل ؟ ... هل أستطيع ان استمر احيا هكذا ؟ ؟ ؟

* * *

ثلاثة ايام لم اشاهده خلالها ، كنت اذهب كل يوم ، ولكنه لم يعد ثانية ... الحفارون يحملون اسمه ! ربما كان قد سافر ... ولكنه سيعود ! ... سيعود ؟ واذا كان قد توفي ؟ ... اذا كان قد توفي لانه لا يستطيع ان يحيا بدونها ؟ آه ! ان المسألة تبعث على الضحك : أليكون هنالك رجل آخر لا يستطيع ان يحيا بدونها ؟

ان نكون لي سوى رغبة واحدة ، وهي ان اقول له : « سيدي المحترم .. لا تذهب في تفجيمك عليها الى هذا الحد ، اذ من المحقق انها احببني انا ايضاً » اريد ان اجعله غيوراً ... قدفت برسمها تحت منضدتي ، هوذا في وسط الغرفة ، على الارض بين رسائلها ، بين رسائلها التي كانت تحفظها في خزائنها وأدراجها ، فتحها كلها ونشرت فيها ... ماذا وجدت ؟ ... رسائل كنت ارسلتها اليها ازهاراً كنت اعطيها اياها ، وشرائط حريرية ، وتذكارات ... ربما كانت بين كل ذلك زهرة مقدمة من قبله ... كيف اعرف ذلك ؟ وماذا كنت ابغي العنور عليه ؟ او هل تحفظ المرأة بشيء يمكن ان يخونها ذات يوم ؟ افرغت جيوبها ، وقلبت أثوابها ، باحثاً عن ورقة ، ورقة غرامية ، تكون قد نسيها سهواً ... لكنها لم تنس شيئاً !!!

لم اعد بعد ذلك الى المقبرة ، اني ارنجف لمجرد التفكير برؤية ذلك الضريح احياء الآن ساعات اخف من قبل ، لان الايام الاولى قد عبرت دون ان يصاب عقلي بخلل ، وعليّ ان اقنع بعدم معرفة الحقيقة ابداً ... كم احسد الرجال الذين يعرفون ان نساءهم يخونهم ، اذ انهم متأكدون من مصيبتهم ! وكم احسد اولئك الذين اذا امضهم الشك فاستطاعوا ان يراقبوا نساءهم ، على امل ان يخونهم كلمة ، او نظرة ، او حركة !!! اما انا فقد قضى عليّ الهلاك ! لان الضريح احرص لا ينجب ! ويتفق لي احياناً ان انتفض في الليل مذعوراً من كابوس خافة ان اكون قد دنست ذكرى امرأة طاهرة !!! آه ! لو استطيع ان احب ذكرى تلك المرأة التي منحتني ذلك المقدار العظيم من السعادة !!! لو استطيع ان ابغض تلك المرأة التي خانتني وعبثت بكرامتي ؟ ...

اعدت رسمها الى منضدتي ... لمتة من الارض وأعدته الى مكانه ... لماذا لا استطيع ان اعبدها ؟ و ... ان اجثو امام رسمها كما اجثو امام رسم قديسة وأبكي ؟ لماذا لا استطيع ان احترقها ؟ ... ان امزق هذا الرسم وأن ادوسه بأقدامي ؟؟؟ طيلة ليالٍ كثيرة ... بكاملها ... لبث نظري عالماً بها بين العينين ، الصامتين ، الباسميتين ، المحاطتين بالالغاز !!!

ايزاك شמוש

استاذ اللغة والآداب العربية
في الجامعة العبرية بالقدس

شيكاغو

Chicago

للساعر كارل ساندبرغ

يطالع القارئ في هذا العدد من المقتطف مقالاً
تقديساً جداً في «آلية الفن» ص ٣٠٨. وقد أشار كاتبه
في آخر فصله الرابع الى أمثلة من الشعر الاميركي يمكن
القارئ من استلحاق تطور الادب وتأثرها بحضارة
القرن العشرين الآلية. وقد أرفق بمقاله قطعتين
مختاريتين اكتفينا الآن باحداها — وهي التي عنوانها
شيكاغو — على ان ننشر الثانية وعنوانها التربين
Turbine في عدد تال. والشاعر صاحب «شيكاغو» ولد
في أميركا سنة ١٨٧٨ من أصل سويدي وقد طالع الاعمال
اليدوية في حياته وحارب في جانب أسبانيا في بورتوريكو
وهو في العشرين ثم انصرف الى الادب والصحافة

يا جزارة الخنازير للعالم ٠٠٠

يا خالقة الآلة ٠٠٠ مكدسة الخنطة ٠٠٠

اللاهية بخطوط القطارات ٠٠ القابضة وسق (١) الشعوب ٠٠

إنك حاصفة ٠٠ أجشة الصوت ٠٠ مكافحة ٠٠ مدممة ٠٠

يا مدينة ذوي الاكتاف العريضة :

يحدثوني بأنك فاجرة ، وأنا أومن بما يحدثون ٠٠٠

لأنني رأيت نساءك ذوات الاصباغ ٠٠٠

ينغرين — على ضوء مصابيح الطرق — شباب الريف

وينبؤني بأنك معوجة ٠٠٠ ملتوية الخلق ٠٠

فأجيهم : أجل ! حقاً ما تقولون ٠٠

فقد شاهدت المجرم يزهرق الارواح بينديته ٠٠٠

ثم ينطلق حراً ليقفل ثانية

وينخبروني بأنك وحشية ٠٠٠ أما جوابي فهو : —

(١) الوسق هو أجرة الشحن

على أوجه النساء والاطفال ... قد طالعت علائم الجوع الشرس ...
 وعند ما القيت اجابتي ...
 التفت الى من استهزأ بي ، وعيرني ببلدتي ...
 فرددت اليه هزءاً بسخرية ، وقلت : —
 أروني بلداً آخر
 يشمخ برأسه ... وينشد بكبريائه ...
 ليكون حياً ... فظاً ... قوياً ... داهية ... !
 « أنظر اليه يرشق الاعمال المكسدة المنهكة بالاعنات الحارة ...
 هذا العملاق الجريء القعدة !
 الذي يواجه المدن الصغيرة متجلبباً في الفضاء » (١)
 انه ضار كالكلب ، يلغ بلسانه وراء العمل ...
 محال كالوحش الذي يهيم في الفلاة .
 انه عاري الرأس ... يحرق ، يدمر ، يخطط ...
 يبني ... فهدم ... ليني ثانية ...
 وسط الدخان ، يكلل الغبار فمه ، يضحك عن أسنان بيض ،
 تحت عبء القدر المرعب ، يضحك كما يضحك الصبي الغرير ...
 يضحك كما تما هو محارب ساذج لم يخسر معركة واحدة .
 يضحك لان تحت معصمه يضرب النبض ... وبين ضلوعه قلب الشعب .
 يضحك ضحكات الشباب العاصف ، الاجش الصوت ، المكافح .
 نصف عريان ... ينضب عرفاً ...
 نخور لانه جزار الخنازير
 خالق الآلة ... مكس الخنطة ...
 العاثر بخطوط القطارات ... القابض وسق الشعوب
 [ترجمة : زهدي التاجي الفاروقي]

"Hinging magnetic curses
 Amid the toil of piling job on job,
 Here is a tall bald slugger
 Set vivid against the little soft cities.

(١) في الاصل : —

بَابُ الْإِخْبَارِ الْعِلْمِيَّةِ

(١) العلم واداعته وفوائدها

ألاً نقط حين تحقق بنا المصاعب لان العلم لا يتقدم ، وهذه المخترعات العظيمة لا تتم ، الا بالبحث الدقيق والصبر الجميل والمثابرة التي لا ينقطع حبها . ثم ان كل خطوة بخطوها العالم الى الامام توظف فيه ذلك الجبور الروحي الذي كان ينسب الى الحكماء الاقدمين عندما تأخذهم نشوة الفكر الاعلى

بضاف الى هذا ان غرض العلم الا بعد غرض روحي . هو تحرير الناس من رتبة الاستعباد للقوى الطبيعية بتوفير الراحة والرفاهة للجسم فيتحرر العقل ويتسع امام النفس افق المعرفة والفهم . ولقد صدق من قال ان المعرفة محرر المستعبدين لا الثورة .

على ان هذا لا يعني : سيداتي وسادتي ، ان العلم خير محض . ضل من يحسب ذلك ويجرد الاشارة الى معدات الحروب الحديثة وما يصحبها من ألم وويل يكفي . ثم ان الحضارة الحديثة بصابة بالنواء في اجتماعها وعرج بما تخلقه الآلات الجديدة من تعطيل المال عن العمل وإقامة شبح الفاقة والعسر جنباً الى جنب ووجهاً الى وجد مع ثمال الثروة والمتعة

الا مرد هذا وذاك ليس الى العلم نفسه . فهو يعطينا الاسمدة بيد والمفرقات بأخرى ،

عندما شرّفتني حضرة مستشار الاذاعة الاستاذ محمد سعيد لطفي بأن اجعل «العلوم المبسطة» الموضوع العام الذي تدور من حوله احاديثي المذاعة لبّيت عن طيبة خاطر . لبّيت لانني موقن ان نواحي متعددة من المباحث العلمية تطوي على كثير مما لا يبلغه الخيال احياناً من المتعة الذهنية الخالصة ولانني اعتقد ان تحبيب العلم الى الناس انما هو توطئة لابد منها لخلق بيئة روحية تُعزّز العلم والمشتغلين به فتنجب العلماء . ولست اعرف امة واحدة في هذا العصر ، استطاعت ان تبلغ شأواً بعيداً فيه الا بعد ان خلقت هذه البيئة . وأنجبت هؤلاء الرجال . وعلاوة على ذلك وذاك ، انني أرى بالاختبار ان العلم الصحيح ، يطبع طالبه بالصفات الروحية المثلى ، بالصبر والصدق والانصاف والاخاء ، فاذا ساوره الغرور وفاخر بما ادرك من علم وقوة ، فليقلب الى كتاب من كتب الفلك الحديث ، او ليرسل طرفه في هذه العوالم المنثورة في رحاب الفضاء وفي ذهنه شيء من تلك الكتب ، يعرف عندئذ مدى جهله ومبلغ ضعفه فتدركه سجية التواضع والدعة . ان العلم يثقف العقول فيدنيها من قدس الحق لانه يجهزها بوسائل للبحث عن الحق . ويعلمنا

ورجال الأعمال أقل عناية بالكسب الفادح
ورجال الحكومات اعظم اقداماً وأبعد بصراً ،
ورجال التعليم أشد انطباعاً بمبادئ الاسلوب
العلمي ، لكان في المستطاع ، ان يوقى المجتمع
الحديث جانباً غير يسير من الرجة والقلق
الذين أصاباه من ارتقاء العلم في العصر الحديث
هذه البيئة الروحية العالية التي ينبغي فيها
العالم الصحيح ويكرم — هي على مدى فهمي —
الغرض الذي تبغيه ادارة الاذاعة العربية
المصرية ، من نشر الاحاديث العلمية المبسطة ،
على اختلاف مذيعيها وموضوعاتهم . وفي وسعي
ان اقول متواضعاً ان مستواها في الطبقة العالية
مادة وبياناً . والفضل في ذلك عائد الى مستشار
المحطة وأعوانه الافاضل . فانا اذ اشترك في
هذا العيد ، اشارك بوجه خاص في الاحتفال
بتقدم الفكرة العلمية في البلاد ، وتشجيعها
بإذاعتها على اجنحة الاثير

* * *

تجاور النباتات وتؤثره في نموها

الى ذلك في حينه في المختطف . ومن الامثلة على
ذلك ان تعريض الليمون والموز لغاز الاثيلين
مدة قصيرة ينضجها طمأً ويحول لونهما الى
الاصفر خلال بضعة أيام . ثم تبين بعض
الباحثين انه اذا وضعت ثمار نضجت مبكرة
قرب ثمار متأخرة النضج ، أثرت الاولى في
الثانية فيسرُع نضجها

هذه الحقائق والملاحظات حملت فريقاً

كثيراً ما تقضي المكتشفات العلمية الى
ارتقاء العلم المحض . ومن أحدث الأدلة
على ذلك تفوذ باحث الماني يدعى الدكتور
هانس موليش Molisch الى حقيقة جديدة
عن نمو النبات ، بالاستناد الى اكتشاف عملي
في انضاج الثمار

فقد ذاعت في السنوات الاخيرة طريقة
لانضاج الثمار بتعريضها لغاز الاثيلين . وقد أشرنا

يثبت ان التفاح لا يبطل نمو النبات بل يزيده اذا كان مدى تأثيره في النبات قصيراً . وهذا القول يستقيم مع ما يعرف عن تأثير السموم والمواد المهيجة في الجسم فانها اذا كانت مركزة أضرت به ولكنها اذا كانت مخففة كانت ذات فائدة

وتأثير التفاح في النبات المجاور له ناشيء عن الغازات المنطلقة من التفاح . هذا الغاز هو غاز الاثيلين وهو ينطلق في جو الحوجة فتتناوله النباتات المنتشة فيؤثر فيها التأثير المتقدم ذكره

ثم جربت تجارب أخرى ظهر منها ان ثماراً أخرى كالكمثرى والحوخ والدراق تؤثر تأثيراً قوياً في الفول وغيره من الخضراوات . وللبرتقال والبرتقال اليوسفي والليمون والموز والمشمش تأثير من هذا القبيل ولكنه أضعف من تأثير الثمار الاولى

ثم نوعت التجربة فبدلاً من ان يوضع التفاح كاملاً في بعض الحوجلات وضع قشره في بعضها ولبه في البعض الآخر ، فظهر ان تأثير القشر ضعيف وتأثير اللب قوي . وامتحن تأثير الجذور فظهر ان الغازات التي تطلقها تؤثر أيضاً تأثيراً متفاوتاً في نمو النباتات المجاورة لها

ومن النتائج التي أسفرت عنها هذه التجارب ان الغاز المنطلق من التفاح يجعل سقوط الاوراق من النصوص

من الباحثين ، بينهم الدكتور موليش ، على اجراء تجارب بغية الوصول الى سر ذلك . فأسفرت التجارب عن اشياء تستوقف النظر بل وتبعث على الدهشة

وقد دارت احدى هذه التجارب على فروخ نبات من فصيلة الفول وفروع شجرة تفاح

أخذ الدكتور موليش أولاً يزور النبات الذي من فصيلة الفول وزور الحمص وزرعها في حوجلات تحتوي على رمل ومحفوطة في الظلام . وعدد الحوجلات التي على هذا المنوال ولكنه وضع في ثلاث منها تفاحاً ناضجاً . وما لبث حتى تبين فروقاً تستوقف النظر في فروخ البذور بعد انتاشها . فبعد خمسة أيام تبين ان سوق الفروخ في الحوجة التي لا تحتوي على التفاح يبلغ طولها ٨٥ ملليمتراً حالة انها لا تزيد في الحوجلات المحتوية على التفاح على أكثر من أربعة ملليمترات . هذا في ما يخص نبات الفول . أما سوق الحمص فكانت المقاييس ٧٥ ملليمتراً و ٥ ملليمترات على التوالي . وفروخ الفول كانت أبطأ نمواً حيث كانت الحوجة حافلة بالابخرة الصاعدة من التفاح الناضج . وكذلك فروخ الحمص . وكانت الجذوع في الحوجلات النقية الهواء مستقيمة حالة انها كانت معوجة في الحوجلات التي فيها التفاح

وقد مكنته هذه التجربة بعد تنويعها من ان

أكبر جزيء في الجسم

أخرى في الكبد او غيرها » ولم يعلم من خواصه بعد ما يمكن كاشفيه من وضعه في طبقة معينة من المواد الكيميائية المعروفة . ولكن وزنه الجزيئي يختلف من ٣٠٠٠٠٠٠ الى ٤٠٠٠٠٠٠٠ ولا تعرف مادة أخرى في اجسام الحيوانات العليا يمكن ان يبلغ جزيئها هذا الحجم . الا أن جزيء « الهيموسيانين » وهو صبغ يوجد في دم الحيوانات غير الفقرية ويحتوي على النحاس قد يقاربه

ولا يزال العمل البيولوجي الذي يقوم به هذا الصبغ الاحمر الذي كشفه سترن وويكوف غامضاً ولكنهما يريان ان له صلة باستعمال الاوكسجين في جسم الحيوان

كشف الدكتور سترن Stern والدكتور ويكوف Wyckoff وهما من اساتذة جامعة بايل الاميركية صبغاً جديداً احمر في الكبد وفصله مستقلاً باستعمال جهاز جديد من اجهزة القوة الطاردة ، فاذا الجزيء يفوق جزيء الجليتر (الهيموجلوبين) خمسين ضعفاً حجماً . وقد تسمى لها هذا الكشف خلال بحثهما في كبد الفرس عن انزيم enzyme كبير الشأن بدعى كاتالاز Catalase

قال الدكتور سترن عند قراءة رسالته في هذا الموضوع أمام الجمعية الكيميائية الاميركية في فرعها النيويوركي ما يلي : « وهذا الصبغ الاحمر يختلف على مدى ما نعلم عن أية مادة

* * *

أنفسى بلوطو طبقة من الهواء السائل ؟

ولذلك تعذر ان يتخذ اشراق السيار البادي لمراقبنا أساساً لحجمه ، فهو اكبر مما نظن فاذا اخذ العلماء بهذا الرأي ، استطاعوا ان يفسروا تأثير هذا السيار في حركة السيارين اللذين قبله وهما نبتون وأورانوس . وهذا الاضطراب في فلكهما هو ما حمل الاستاذ بكرنج على القول بوجود سيار وراء نبتون قبل عشرين سنة او أكثر ، فلما كشف « بلوطو » تعذر على العلماء ان يوفقوا بين صغر حجمه البادي وتأثيره في فلكي نبتون وأورانوس فتحيروا

لا يخفى على قراء المقتطف ان « بلوطو » هو اسم السيار التاسع في النظام الشمسي الذي كشف في شهر فبراير من سنة ١٩٣٠ في مرصد فلاغستاف بولاية اريزونا الاميركية وكان المرصد حلوان شأن كبير في تعيين عناصره ومن رأي السرجيمز جينز العالم الانكليزي ان هذا السيار تغشاها طبقة من الهواء السائل لشدة برده الناشئ عن بعده عن الشمس . وان هذه الطبقة تفعل فعل المرأة ، فلا يرى الضوء منعكساً الى مراقبنا الا من وسطها أما الضوء المنعكس عن أطرافها فلا يصل الارض .

تاريخ كلية الجراحين الملكية بلندن

والكلية الملكية ذات شهرة عالمية وهي تضع قواعد الامتحانات وقبول الاعضاء وتظر في جميع المسائل الخاصة بسوء سلوك الزملاء والاعضاء ولها سلطات مطلقة . وكل عضو او زميل يعزل بقرار من المجلس ، يفقد جميع حقوقه وامتيازاته وتصيح شهادته (دبلوم) او شهادته العلمية ملفاة

وزمالة كلية الجراحين الملكية امتياز تصبو اليه النفوس كثيراً ، وفي الامكان الفوز به بتأدية امتحان صعب دقيق ينقسم الى قسمين : الاول في التشريح والفيسيولوجيا ، والثاني في البثولوجيا وفن جراحة العظام والجراحة عامة وغيرها من العلوم التي يرى المجلس من وقت الى آخر انها لازمة

وفي لندن الآن خمسة عشر جراحاً مصرياً يعملون لتأدية هذا الامتحان في المستشفيات التي يعترف بها المجلس للتعليم . ويبلغ عدد الذين نالوا لقب زميل بعد الامتحان ٢٣٣٣٣ ويمنح المجلس من وقت الى آخر الزمالة الفخرية لاشخاص عظام ممتازين . وقد نال المغفور له الملك فؤاد الاول هذا اللقب في أغسطس سنة ١٩٢٩ ويحمل الدكتور علي باشا ابراهيم هذا اللقب الفخري ايضاً وقد ناله في نوفمبر سنة ١٩٢٨

أما شرف الزمالة بالانتخاب فيندر ان يمنح لطبيب . ولم ينتخب في الاربع والسبعين سنة

انتخب الدكتور محمود بيومي الجراح المصري والاساذ بكلية الطب المصرية زميلاً في كلية الجراحين الملكية بلندن وهو اول مصري انتخب زميلاً وأول اجني من ثلاثين جراحاً انتخبوا للزمالة فيها في الاربع والسبعين السنة الماضية

كانت الجراحة في العصور الوسطى يمارسها الحلاقون ، وفي سنة ١٥٤٠ اصدر البرلمان الانكليزي قانوناً يقضي باتحاد هيئتين مختلفتين كانتا قائمتين في ذلك الوقت احدهما تعرف باسم حلاقى لندن ، والاخرى باسم جراحى لندن . وكان لابد من تعيين اربعة رؤساء سنوياً : اثنين من الحلاقين ، واثنين من الجراحين وقد حظر على الحلاقين ان يقوموا بعمليات جراحية فيما عدا خلع الاسنان كما حظر على الجراحين ان يمارسوا مهنة قص الشعر والحلاقة . . .

وفي خلال القرن التالي تقدمت الجراحة تقدماً كبيراً ولم يأت عام ١٦٨٤ حتى وجد الجراحون ان اشتراكهم مع الحلاقين لا يلائمهم وبسبب لهم مضايقة كبيرة . وأخيراً أصدر البرلمان في سنة ١٧٤٥ قانوناً آخر يقضي بحل الاتحاد وانشاء هيئتين مختلفتين . فتألفت هيئة الجراحين باسم أسانذة فن الجراحين بلندن وهذه الهيئة تطورت مع الزمن حتى صارت كلية الجراحين الملكية بانجلترا وهي تضم اليوم ٢٠٤١٦ عضواً

المرشح يصلح للقبول في زمالة الكلية . وبعد ذلك يقترح المجلس على قبول شخص يرشح بهذه الطريقة في الاجتماع الذي يعقده كل ثلاثة أشهر . وعلى كل عضو في الكلية يقبل بهذه الوسيلة في زمالته ان يتعهد امام المجلس بما يلي فيقول : « أنا فلان العضو بالكلية الملكية للجراحين بانكترا : اعلن باخلاص وصدق انني سأراعي ، ما دمت زميلاً في الكلية المذكورة ، قوانينها وان اطيع كل نداء مشروع يصدر بامر مجلس الكلية ما دام ليس لدي عذر معقول يحول دون ذلك »

* * *

الطيران حول الارض

في خلال شهر يوليو الماضي تمكن الشاب الذي الاميركي رتشر د هيويز من الطيران حول الارض في اقل من اربعة ايام فتخطى بذلك الرقم القياسي الذي ضربه ويلي بوست اذ طار حول الارض في سبعة ايام . ولكن بوست كان يطير وحده بطيارة قديمة . واما هيويز فاستقل طيارة من أحدث طراز وكان معه رفيقان . ولكلنا الرحلتين فائدتهما في شق الطرق الجوية فالاولى مهدت الطريق والثانية اثبتت امكان زيادة السرعة واستعمال طيارة كبيرة تتسع لأكثر من واحد

— هل تعلم ان من الدائرة القطبية الشمالية بنابيع حارة تبلغ درجة حرارتها ٩٠ درجة مئوية ؟

الاخيرة سوى ثلاثين زميلاً وهم يشملون اشهر الجراحين البريطانيين ، والدكتور بيومي هو أول جراح اجنبي أنتخب زميلاً لهم وتقضي لوائح المجلس بان يكون التفوق في الجراحة او في العلوم التي لها علاقة بالجراحة ، أهم المزايا التي تبرر التوصية بقبول المرشح زميلاً ولا يجوز تقديم طلب شخصي الى المجلس ولا يقبل ترشيح مباشر ولكن يجوز ان يعرض على المجلس اقتراح بقبول عضو مضى عليه عشرون عاماً على ان يوقعه ستة من أعضاء المجلس يجاهرون بأنهم يرون ان الشخص

أكبر السنة الشمس

في المقال « الكاف والاشعة الكونية » — راجع صفحة ٢٧٤ من هذا العدد — يجد القارئ إشارة الى السنة التي تندلع احياناً من سطح الشمس ويبلغ ارتفاعها عنه ٢٥٠ الفاً من الاميال احياناً وقد اطلعنا ونحن نكتب هذه السطور على ان علماء مرصد جبل ولسن بكاليفورنيا رصدوا أكبر لسان من هذه السنة النارية سجلته الآلات الفلكية على ما يعلم ، اذ بلغ ارتفاعه عن سطح الشمس بحسب القياس الذي قام به الدكتور بيتت Pettit ٩٧٠ الف ميل وكان لازال آخذاً في الارتفاع عندما اخذت الصورة التي بني عليها هذا القياس . واعظم ارتفاع سابق لاحد هذه السنة كان ٦٧٠ الف ميل ، رصد وقيل في ١٧ سبتمبر ١٩٣٧

مكتبة المقتطف

النزعة العلمية في الادب الحديث

كما لمستها في ثلاثة كتب

الحياة في عصرنا تفهم على ضوء العلم الحديث ، ومن لم يزود من الثقافة العلمية استغفلت عليه اسرارها وضل في تبهما سواء السبيل

تعقدت الحياة عما كانت عليه في القرون الوسطى ، حين كان العلم وليداً وكما اتسع افقه وبعدت اغواره ازدادت تعقيداً ، فكيف بثقافة القرون الوسطى وما نحا نحوها وتفرع عليه تفهم هذه الحياة الراهنة ؟ وأحب ان لا يفهم من الحياة معناها الشائع وصورها المبذولة للجميع ، وانما اريد الحياة الكبرى ، حياة الاحياء والجمادات والعوالم المنظورة وغير المنظورة ، قبل ان يخلق الانسان وبعد ان عاش متسامياً من الكوخ وسط الغابة الى ناطحات السحاب في المدينة العصرية

هذه الحياة التي أعنيها هي قصة في اجزاء لا عددها ، ورواية شهد الزمن فصولها فوق مسرح لانهائي . ووعى التاريخ قليلاً من مشاهدتها لعله أتفهمها . وما كان التاريخ ليعي هذا التزوير اليسير من رواية الحياة ، لو لم يرسل العلم اشعته الكاشفة على اشلاء الحضارات المظلمة وينبش طبقات الارض عن هياكل المخلوقات البائدة ويجوس جهابذته خلال الادغال والمجاهل بحثاً عن القبائل البدائية والجماعات الفطرية التي تمثل الانسانية في اوائل نشأتها ، دع عنك كشف العلم أسرار النفس والطبيعة — او ان شئت الدقة فقل بعض هذه الاسرار

فاذا طالبنا اديب اليوم وكتاب هذا العصر — فضلاً عن المستعربين — بالتوفر على الثقافة العلمية ، لم نكن مغالين او متعجنين . فهكذا كان دأب الاديب والكاكتب والمفكر في سائر العصور . ومن قراءة السير ، يتضح ان الجاحظ وأرازموس وفولتير وجيتا وبرنارد شو وألدوس هكسلي — وهم يمثلون الكاكتب والاديب والفنان في مراحل ثقافية اجتازها العلم الحديث — استوعبوا ما وجدوه من زاد المعرفة في رفاتهم

مهدت بهذه المقدمة للكلام عن ثلاثة من كتّابنا اعتقد انهم في طليعة المجددين على النمط المتقدم ، هم الاستاذ فؤاد صروف والدكتور بشر فارس والدكتور حسين فوزي — اتصلت

بالاول عن طريق صديقي العلامة العصامي في تحصيل الثقافة العلمية اسماعيل مظهر ، وعن طريق إنتاجه الغزير الذي قلما يشذ عن دائرة العلم — واتصلت بالثاني عن طريق المرحوم الاستاذ جورج طنوس الصحافي الذي ينسب اليه فضل ادخال العنصر الاستفزازي في اخبار الصحف اليومية ، وكان ذلك قبيل سفره الى باريس للحصول على الدكتوراه في الادب — واتصلت بالثالث عن طريق مدرسة الطب ، فقد انتظم طالباً فيها وأنا على وشك الرحيل عنها، وتعاوننا — هو وأنا ومحمود تيمور ومحمود طاهر لاشين على خلق القصة المصرية ، وانشأنا لها « مجلة الفجر » في سنة ١٩٢٥ —

الاستاذ فؤاد صرّوف ، اكبر منافس لي ، بحكم عملي الصحفي الرئيسي ، فقد حذق تبسيط الثقافة العلمية وجعلها سائفة للجميع ، وأنا ارتزق من هذا الوجه . والوضع الطبيعي ، أن لأرضي عنه — الوضع الطبيعي بين أهل هذا الزمن وكل زمان — لكنني شاذ ، وأحمد الله على هذا الشذوذ ، لاني لا أعيش لا كل الخبز ، وليس تبسيط العلم بالسبيل الوحيد لملاءمة البطن والجب ، والخير موفور والرزق الحلال كثير ، فلا داعي لاجتواء الفضلاء وبخس الناس أشياءهم وذهب الاستاذ صرّوف بفضل آخر عظيم ، لاغنى للنهضة العربية الشرقية عنه ، وأعني به نقل العلوم الى لغة الضاد نقلاً صحيحاً ، ولقد وفق — بمفرده — إلى وضع مصطلحات عديدة تعطي حق المطالبة بحشده في زمرة اعضاء المجمع اللغوي الملكي

وهذا الذي أسلفت لا يقاس بقدرة الاستاذ صرّوف على القصص ، فأني والله دهشت حينما طالعت كتابه « أساطين العلم الحديث » في جلسة واحدة استغرقت ليلة كاملة من غروب الشمس الى شروقها

هؤلاء هم أبطال الانسانية حقاً ، لا فريق السفّاحين . . . هؤلاء شيدوا الحضارة الراهنة . الآخرون هدموا في أسسها واذا وجدتهم بنوا وشيدوا فبأيدي العلماء وبمادة العلم أقاموا الصروح ، بأنكار الذات وحب الحقيقة والتجرد عن شهوات الحياة والتسامي عن مغرياتها ومشاغلها وأطاعها ، فكرة واحدة عظيمة استولت عليهم واستنزفت جهودهم هي الكشف عن أسرار الطبيعة وقوانين الوجود بما فيه من صامت وناطق وحي وميت

تلك قصص أعجب من حكايات الغيلان والشطار والسحرة والمردة ، وهي مع ذلك حقائق لم ينسجها خيال « أمنا العجوز »

مغامرات وقعت ، لا ريب فيها ، وصراع مع الفناء ، واستنباط للرفاهية من الادقاع والعدم ، واستدراار للخير من ينابيع المحنة ، وبركات تفيض نوراً ، كل هذا قرأته ، فكأنني طالعت الجزء الخامس من قصص الف ليلة وليلة

هذا من جهة اللذة الفنية والاستهواء الروائي ، أما المعلومات العلمية الصحيحة ، فقد حشد الاستاذ صرّوف — بطريقة دس الترياق في الدسم — في كتابه ما يغنيك عن الالتساب الى كلية العلوم

ليس فيما قدمت مبالغة ، وانه مما يجب ازجاؤه للاستاذ صرّوف . فلا تنقل الى الدكتور بشر فارس معتدراً عن إفلاسي بضيق المقام

هذا الاديب الممتاز ، والشاعر المبدع قد عبّ من فلسفة برجسون التي تعتبر وليدة الزواج بين الفلسفة بمعناها العريان وبين العلم الحديث ثم هو قد حذق طريقة البحث العلمي في اللغات ، لا سيما العربية ، تلك التي ترد اللفظة الواحدة الى منابها في مجاهل الماضي ، وانها لرحلة عجيبة مضنية يسافر فيها الباحث دهوراً في طرق تعرج على صنوف الثقافات واجناس الشعوب . ويظهر ان الدكتور الفاضل ، قد درس « فرويد » الى جانب دراساته الشعرية والفنية . وأعرف انه يندس في تضاعيف الحياة هنا وفي أوروبا وفي الشرق الشقيق ، فاحصاً ملاحظاً . وقد نضج في العام الاخير عن قصة « رمزية » هي الاولى من نوعها في الادب العربي ، صدرها بمقدمة جاءت بذاتها عملاً أدبياً رائعاً . ومهما يكن رأي النقاد فيها ، فاني اعتبرها ثمرة لثقافته العلمية — هي شرارة انبعثت من قلب فنّان جعله واعياً وجعله الفن منتجاً ، ومثل هذا العمل الفني لا يبدعه فنّان متخلف عن عصرنا ثقافة ونظراً الى الاشياء واستشفافاً للمستور من خلال الظاهر المرئي ويقتني ان الدكتور بشر فارس لم يتحفنا بعد بأشهى منتجاته الفنية ، كالدكتور حسين فوزي حذوك الفذ بالفذ . فقد زاملت الدكتور فوزي في مدرسة الطب وصاحبت في حياتي الادبية ، أو ناضلتا معاً في سبيل مثل أعلى نشدناه هو : خلق أدب مصري صميم ، وتحرير العقلية المصرية من العبودية للماضي والحاضر ، وبالطبع أدب مصر وعقلية مصر هما أدب العروبة وعقلية العروبة كتاب « سندباد عصري » هو صرخة العقل المتحرر مرتاعاً من جمود الشرق الهندي واحتجاج المفكر المصري على خرافات أزمّت ومدها الطغيان والجهل بأسباب الحياة فعاثت سخرية الفهماء أجمعين

هذا الكتاب ، حديث نفس برمة وثابة ساخرة ، وجدت في الهند للفكاهة — الفكاهة حتى تسمو فتعود بكاءً وعويلًا ، لكنني مع اغتباطي بنجاحه ، اطلب المزيد وأغلب الظن اني سأهني نفسي مرة اخرى وزيادة بنجاح زميلي مدير معهد الابحاث المائية

ايها الاخوان الثلاثة لقد هجوتكم بذلك المديح الاعرج فاغفروا لي ما تقدم من ذنبي
احمد خيري سعيد

مجلة الدراسات الإسلامية

Revue des Etudes Islamiques. Ed. Geuthner, Paris

صدر الجزء الرابع لسنة ١٩٣٧ من مجلة « الدراسات الإسلامية » التي يصدرها المستشرق المعروف الأستاذ لويس ماسينيون من أعضاء مجمع اللغة العربية الملكي في مصر . ومضمون هذا الجزء أربع مقالات مسهبة . الأولى في أمثال وطلاسم كردية بقلم المسبو لسكو — والثانية عن المسلمين في سورنام (الجويان الهولندية) وهم خليط من الجاويين والهنود ويبلغ عددهم نحواً من ٤٢٠٠٠ ، ولهم تشريع جديد خاص بهم يسار حدود الدين الإسلامي ، وتاريخ هذا التشريع ٣٠ مارس ١٩٣٧ ، وهذه المقالة بقلم المسبو بوسكيه الأستاذ في جامعة الجزائر — والمقالة الثالثة كشف للصحافة الوطنية في تونس ، وفيه أربعة أجزاء : الصحافة العربية باللغة العربية ، والصحافة العربية باللغة الفرنسية ، والصحافة العربية — اليهودية ، والعناوين الثانوية للصحف العربية واليهودية . وفي خاتمة هذه الأجزاء جدول يبين عدد الصحف التي ظهرت في تونس من ١٨٦١ حتى ١٩٣٧ والمقالة بقلم المسبو زفادوفسكي — وأما المقالة الرابعة فبيان منطقي مفصل للحوادث الجارية في إيران وأفغانستان والشرق الأقصى ، بقلم السيد حمزة محفوظ . وهذه الحوادث تنبسط على الشؤون الاجتماعية مثل الحركة النسائية ، والاقتصادية مثل تقدم الصناعات ، والثقافية مثل التعليم الجامعي

وخلاصة هذا الوصف ان « مجلة الدراسات الإسلامية » لا تزال تسير في الطريق التي خطتها لنفسها وهي الامام بما يجري في الشرق العربي والبلدان الإسلامية لهذا العهد . والمجلة اذن خير معين لتعقب ارتقاء الأمم الإسلامية وتبوع تحول الذهنية العربية

قصص وشعر

١ — « كان ما كان » عرفت الأستاذ ميخائيل نعيمة القصصي بعد ان عرفت فيه الاديب الناقد ، وقبل ان أعرف فيه المفكر الفيلسوف . وكان اول ما قرأت له منذ سنوات قصة « العاقر » ثم رواية « الآباء والبنون » فقدرت في قصصه ذلك الضرب من الفن القصصي القائم على التحليل النفسي والتصوير الدقيق للبيئات وهو الضرب الذي برز فيه كتاب الروس . ولعل لاقامة كاتبنا في روسيا ودراسته لا دأبها أثرها في خلق هذا الروح وبثه في أدبه . وهو أرقى الوان هذا الفن وفي الشرق ، في نفوس أبنائه ، ثروات لهذا النوع من القصة لان في الحياة الساذجة التي يجوبها وفي العواطف والاحساسات والاستسلام للقدرية التي تستولى على هذه النفوس ما يساعد

الكاتب على التناول والدرس . لهذا كان تقدير أدباء العربية لادب التحليل النفسي لا يقل عن تقدير أدباء الغرب للقصة الروسية واستقبالها الاستقبال الممتاز
فلما أخرج الأستاذ نعيمة للناس مجموعة « كان ما كان » لمست فيها كل عناصر هذه الحيوية التي تضمن لهذا الضرب من القصة خلوده . وفي قصتيه « ساعة الكوكو » و « سننها الجديدة » بساطة في الموضوع فلا تهويل ولا حوادث مفاجئة إلا ما يضرب القدر به في سخريته غير ان المؤلف خلق لريشته ميدانها الفسح في تصوير هاتين الشخصيتين « خطار » و « أبو ناصف » وقد تجاذبتهما خواطر واحساسات تهبط الى اعماق الانوار ثم تعلو فترق حتى تشف عن كل بساطتها تصويراً بارعاً

وفي القصة الاولى بنوع خاص أدق تصوير للمدينة الغربية في اصطدامها بالروح الشرقي . ولعل هذه الفكرة العارة في القصة القديمة هي الاساس الاول الذي بنى عليه الأستاذ ميخائيل صورته الرائعة للمدينة الاميركية فيما بعد من كتابه عن جبران تحت عنوان « تمخضت الفأرة فولدت جبلاً »

واذا كانت قصص هذه المجموعة من مواليد سني الحرب وليس فيها ما يتجاوز هذا الحد فعسى ان لا يرضن المؤلف على قرائه المعجبين بأدبه ، وبأثاره بعد تلك السنين في الناحية القصصية

٢ — « المجدلية » ان اروع ميدان للشعر هو القائم على التفكير القصص الديني فإن في هذه الناحية صوراً للشاعر البعيد الخيال ومجالاً لخواطره ، ولا يعنيننا في ذلك شطط الشاعر او اعتداله وانما يعنيننا من أثره قدرته على تناول موضوعه وادائه واتجاه فكرته ومرى غايته ودقة تصويره

وقد تناول الأستاذ سعيد عقل قصة مريم المجدلية تناول الشاعر البعيد الغور فصور لنا هذه المرأة الخالدة خلود اسم يسوع اجمل صورة كما رسم ظلالاً للسميح هي غاية في الفنتة والسحر . وقد وفق الشاعر الى المساوقة بين جرس الفاظه وبين الفكرة التي يسوقها فكل لفظة تعطى دورها وتعبير طريقها في نغم منسجم وبذلك خلق للقصيدة جوً من الخشوع والتأمل ، فانبعثت في ثنايا سطورها خيالات عابرة من قرون غابرة تتلصق بالهوى فيغمرها هذا الرنين المتدفق وللدلالة على توفيق الشاعر في صورته أنقل عنه هذه الظلال التي تعكس لنا صورة المسيح

كان ، في ذلك الزمان ، على تل صغير ، مخضوض الجنبات
شاعر رفته الرضى شفتيه ينثر الياسمين في الكلمات
قام بين الامواج من نظر الناس ومن مسمع الذرى الواجبات

يغدق الآي في الانام، ويرى للزمان الحادي بعيد صدام
نمات موج فيها : يسوع هينات يرفض عنها : الله

تنكي رحمة العلى بين جفنيه انكاء السنى بحضن البريه
ويجول السلام في شفقيه حلاماً ايضاً وأفقاً ظليلاً
يلتوي نقلة الطفالى نحىلا ينثني مشية الملوك جليلاً
الرياحين في يديه تعرت وارتمت حول كفه اكليلاً
سربلته أطياها ، سربلته سحب النور ، سربلته الهبولى

فاما الصورة التي رسمها للمجدلية ، واما الصورة التي رسمها للقائهما بالمسيح فأروع ما سيخلد
في الشعر من صور

والقصيدة في مجموعها فيض من إلهام أتمنى دوام هبوطه على شاعرنا . وقد قدم الشاعر لهذه
القصيدة بحث فلسفي في الشعر لولا ضيق المقام لعرضنا للقراء منه بعض آثاره

٣ — أرجوحة القمر قرأت للاستاذ صلاح لبكي قطعاً متفرقة في بعض المجلات فاطمأنت
روحي الى روحه الوديعه واجسست في رقة خياله وعذوبة لفظه ما يحس القلب الصادق الاحساس
اذ يستمع الى انبعاثات قلب صادق التعبير مخلص في ابراز مشاعره
لهذا أرى ان ابرز صفات هذا الشاعر الصديق . وهو اقوى جناح لاحتلال الشعر محله من
القبول والتقدير فلا نجد بهرجة في اللفظ وتلاعباً فيه ولا زيفاً في التصوير
برسم لك المشهد من مشاهد الطبيعة فلا ترى أمامك إلا ما رآه هو بعينه لم يزد عليه إلا
الحبال الرفيق الذي يرف بأجنحته الرقيقة فينفذ من ألوانه السحرية ما يشبع فيه السحر
فتخرج القصيدة وفيها حياة وحركة كما في قصيدته « مساء » التي يقول فيها :

مات لون النهار في الاحداق واستراح الدجى على الآفاق
وتعالت هناك أغنية الراعي يسوق القطعان حول السواقي
وأضاءت على السفوح قرى لبنان ، يا للقرى الملاح العتاق !
فلاساطير في خيال الروابي الشهل أطياف ذكريات رفاق

تعرّى ملء الزمان ترويبه فيهوى الزمان وهي بواق
ايه يا أخت نهل الناعم الدافى من غمرة الليالي العماق
علنا ننتهي على نغم حلو كهلين من رؤى العشاق
أو كرجع الصدى تغلغل في السغور وموت الطيوب في الاوراق

وبهذه الريشة الحفافة نلمس ألواناً شتى من الشعر الصادق في قصائده « سفر تكوني »
و « هفا الليل » و « الانتظار » و « احلام المساء » و « حلم عذراء » وغيرها . ولعل
أروعها قطعة « الليل » . واستمع معي الى هذه الايات من قصيدة « لامرئين » اذ يناجيها بمناسبة
ذكرى انقضاء مائة عام على زيارته للبنان فترى في لحمة خاطفة :

نم قرير الطرف في ظل الفناء وأرح نفسك من وقر الفناء
وأنشق الراحة من كف الثرى فالثرى راحة أبناء الشقاء
وظلام الرمس للعين متى تعبت أرحم من وهج الضياء
ضجعة الشاعر في أكفانه ضجعة توجع غير الشعراء

قصائد صلاح لبكي نسبت رقيقة تحمل أصداء عذبة من فؤاد شاعر فياض بما في الحباة
من جمال وسحر حسن كامل الصيرفي
المقطف : « كان ما كان » و « أرجوحة القمر » من منشورات مجلة « المكشوف » البيروتية
ويطلبان منها . وأما « المجدلية » فقد نشرها يوسف غصوب بيروت

ثلاثة كتب قرأتها

١ - نم

قصة تأليف شكيب الجابري دكتور في العلوم - ٢٠٧ صفحات بقطع كبير - المطبعة العلمية بـ

عندما فرغت من القراءة الثانية لهذه القصة ، سألت نفسي أصبح ان مؤلفها هو شكيب
الجابري السوري العربي ، ام هو شخص آخر من صميم اهالي شمال اوربا او من قطان قلب
الجزر البريطانية ؟ ثم عدت فقلت سيان عندي أمن عنصر ساحي كان كاتبها ام من عنصر آري ،
او كان الدكتور الجابري يقص قصة اختبارات شبابه على ضوء كهولته ^(١) فالترزم الحيات التقليدي
فاسبق على بطل قصته عدة اسماء تتراوح بين الروسية والجرسية والالمانية ، او قصها اديب غربي

(١) عرفت أن المؤلف في شرح شبابه انما صور حالات الكهولة تصويراً حاشي على الظن بأنه كهل

لا يقيم للتقاليد حرمان بقية جعل قصته عالمية يحس بها كل انسان في كل قطر وعصر، وزمان
ويمكن بصرف النظر عن عنصره وجنسه سواء ، اكان هذا او ذاك ، ففي قصته «نهم» قوة
قادرة على انتزاعنا من صميم ذاتيتنا لتقصينا عن فوضى الحياة ، وتسمو بنا الى عوالم تجعلنا نشعر
بالطأنينة فيها الى النظام الذي سنه عقل الانسان متحدية الحياة في فوضى نظمها المشوشة ،
ولمؤلفها طرائقه الخاصة ، لا في تصوير لمحات من صور الحياة كما هي فحسب ، بل في ما وسعته من
هز شعورنا واستثارة احساسنا فجعلنا نقاسمه انفعالات نفسه في الحالات السارة والمكدره، ونستطيب
عرض هذه الصور ، لا كما هي في الاصل ، بل كما يمكن ان تكون في عرف الفنان وقد ضمنها
كثيراً من احتمالات ما في الطبيعة ، فاذهلنا عن الحواشي الفنية التي لا تستمسك كثير بالحقائق ولا
تثبت بها ، فأيقنا ان في تبسيطه وسهولته وبساطته انه يقول الصدق الذي لا يشوبه ريب !!

«نهم» قصة قلب فنان ، أصبحت له شخصيته المترفة الطموح — بعد جذب وقحولة —
لانهب الحب الا المرأة المجهولة البعيدة ، المرأة القدسية التي احاطها في مخيلته الحسبة بهالة من
الحاسن النادرة العلوية ، قلب شاب يود الا يسلم مقاليد الا الى امرأة يتخيلها كاملة في كل
شيء ، حتى اذا لم يجد ، عمد الى امرأة ممن حوله ، وأسبل عليها من مخيلته الكساء الذي يروقه
ثم وضع قلبه النمل بخمرة خياله على مذبح هواها

عشرات من النساء طفن حول قلب الفنان وتنازعنه ، هجر الاولى لانها أغرقته بفيض
نسوتها فلاذت بالدير ، وفشلت الثانية لانها ولجت طريقاً أضلها عن قلبه ، وهكذا الثالثة والرابعة
الى آخر ما لا يحصى من عدد الطلعات المفتونات بالشباب الاديب الذائع الصيت الذي اتقن فن
الاستهواء والاستغواء وصار كهيئاد هرم يعرف الطريقة ويعرف بأي طعم تؤخذ ، يفعل كل
ذلك طمعاً في استلهاهم موضوع لقصته أو إضافة خبرة جديدة الى معرفته

واذ يدور قلب الفنان دورته ليتقبل سر الكون في الحب ، او يحين الحين الشاذ لا يقاظ
المواطن الهاجعة ، يجد قلبه قد ذوى ، ويلقي حيويته غاضت او نضبت ، فترده الفتاة التي صدمها
بضعفه خائباً مرذولاً في حين انها فتحت له جوارحها وفتح لها قلبه بصدق ، فيتحول الى متفلسف
مستقدس ، ويصير رساماً وموسيقياً يرسم الدموع والاحزان ، وينشد الآهات والتوجعات
ليست قيمة القصة في الوقائع التي تتألف منها ، ولا في كيفية ترتيبها ، بل قيمتها في الكيفية
التي تؤدى بها ، ولقد استطاع هذا الاديب المختمر المتمكن ان يكيف التأدية على اكمل
وجه ، وأدق معنى ومبنى ، وقد نما نحو كبار القصصيين المجددين في رسم هواجس النفس وتردد
الخاطر ، ومحاسبة الضمير — او ما يسمونه ضميراً — وسلك مسلكاً فريداً في الحوار هو
سمة القصة الممتازة ، بلغة عربية نقية سليمة ، واجتذب كل قارئ وقارئة من وعاء الذهن ويقطى

القلب ، وقسره على الاعترافات الفردية المخنوقة عن نزوات النفس ، ورغبات الجسد ، ومغالبة العاطفة ، وشجار العقل ، فصارت كل طليعة من السيدات ومغامرة من الفتيات ، وصار أيضاً كل أديب يقول ، هذه هي قصتي

في وسعي ان أقول ، لو ترجمت قصة «نهم» الى اللغات الاوروبية لاتي مؤلفها الاديب الارب خير ما يلقاه القصصي الموهوب ، ولرحب بها النقاد أحسن ما يرحبون بالعمل الكامل هو ذا نجم أشرق في سورية يشير الى ميلاد قصصي

٢ — عمر افندي

قصة تأليف لطفي حيدر — ١٦٧ صفحة من القطع المتوسط — منشورات جريدة المكشوف

بين اكثر الاشياء واضدادها برازخ متدانية متقاربة ، ومن غرائب الصدف ان اكتب عن قصتين متناقضتين في وقت واحد ، وأعالج دراسة مؤلفين متضادين كأنهما تعاقدوا على ان يقف الاول على أعلا الدرج وينكفي الثاني على بسطة العتبة الاولى

أعدّ الاول ، مؤلف قصة «نهم» جميع معدات القصة من موضوع ، وعقدة ووحدة ، وخاتمة ، وفن وصناعة ، وتوجيه وإيجاء ، وتديل وتحليل ، واستملاح وغنى في الالفاظ ، ومقدرة على الاداء السليم ببساطة ، الى آخر ما هنالك من خصائص يذكرها الناقد بالذات ، وينساق معها الكاتب الموهوب بالسليقة ، ويماشيها المتمكن المكتسب وهو يقدر المصير منذ خطا الخطوة الاولى ولا يغفل اسباب الفراغ في المسافات بين الخطوة والخطوة . في حين ان الثاني مؤلف قصة «عمر افندي» أهمل جميع هذه المعدات التي لا علم له بها ولا أبه لها والتي لا غنى للقصصي عنها ، وارتنك على قدح ذهنه ، وبقية باقية من انفعالات نفسه من جراء حب نبت عند مشرق الشمس ، وازهر عند الظهر ، وذوى وقت الغروب

يؤسفني ان أقول ان لا فائدة من الوقوف مع المؤلف الناشئ ولا محاسبته على فصول قصته التي تصلح لان تكون «رؤوس مواضيع» لصحيفة مدرسية لا رقابة على تحررها ، وبسرني ان أنصح به بأن لا يأخذ نفسه بما كتب له كاتب في المقدمة

٣ — قميص الصوف

مجموعة قصص تأليف يوسف عواد — ١٣٢ صفحة من القطع

المتوسط — منشورات جريدة المكشوف

للاقصوة شأن آخر يختلف عن شأن القصة ، فبين هذه تجول في ميادين واسعة ، وتفتح

أجواء فسيحة ، وهي تظل وتستظل ، نرى الفكرة الواحدة في تلك ترتكز على محور واحد بدور المؤلف حولها بلباقة وبساطة

لؤلف هذه المجموعة القصصية قدرة على استخلاص عناصر القصة من الواقع ، وحرفة في أخذ الحدث الشائع يتذرع به للتقرب من أفهام الناس ، ليدلهم من بعيد على بعض لمحات من شخوص الحياة ، ولكنه كسول لا يكلف نفسه مشقة التوضيح ، أو الإيحاء والتوجيه ، ولا يعنى بعقد العقدة ولا بتجريش ذهن القارئ على حلها ، لأن لا رسالة له في كتابة القصة ولا غرض وهو يكتفى بالحكاية وحدها ، وللهكايات سواء أكانت خرافية أم حقيقية ، موضوعية أم ذاتية ، أو كانت بين هذا وذاك ، طريف وملح مستحسنة مستحبة عند بعض الناس لحكاية « الوسام » الذي منحه الحاكم الى « ابونا القسيس » مستثمر جهود العميان ومستغل أعمالهم ، وحكاية « توها » ذلك الجندي الجلف الذي خنق ابنه لأنها ازعجته حين رقاذه وخاصم زوجته لأنها لم تلد ولداً ذكراً ، وحكاية « الرقيق كامل » ذلك الرجل الذي اعتنق المبادئ الشيوعية عن اعتقاد فاتتهى به المطاف الى السجن ، وحكاية « بهية » الراقصة المتعطشة الى كنف رجل يحبها بصدق لتنجو من كذبها وأكاذيب عشاقها الوقين ، أما هي « حواديت » ينقصها النشاط الفني ، وإكسير الحياة ، يكسبان الأفكار التي تمثلها حقيقة وروعة

وللؤلف ولع خاص في التغالي بالاستمساك بالتعابير السائرة على ألسنة الناس من أبناء محله وهذه الخاصة ، وإن تكن مشكورة ، إلا أنني لا أستطيعها أصلاً لنبوها عن اللغة الفصحى ، ولتعمل الكاتب العامة عملاً صارخاً ، ولاستبعائه كلمات حوشية ماتت منذ حقب أو أكثر كل شيء في نهضتنا يدعو الى التجديد والاختذ بأسباب الرقي ، وأساليب العصر ، فالبائع الجوال في شوارع القاهرة ينادي على سلعته « عندنا نفثالين يمنع العت من الملابس » أما الطبقة المتعلمة من الجنسين فتكاد تتحدث بلغة تقرب من لغة الجرائد ، لذلك اخالف من يدعو الابداء الى مخاطبة الدهماء بلهجهم ومصطلحاتهم وتعابيرهم ، لاني اعتقد ان هذه الطبقة تتأثر كثير بأبنهم اعلى منها وتقتبس عنهم كل شيء حتى الكلام والتعابير فما ضر كتاب القصص لو كتبوا بلغة الحديث الشائعة بين طبقة المثقفين

لا ريب ان الدأب في كتابة القصة ، والنشاط في مطالعة ما يكتبه أقطابها سيقوي الملكة الفنية ، ويصقل الاستعداد القصصي عند اضراب مؤلف « قبص الصوف »

حبيب الزحلاوي

القاهرة

فهرس الجزء الثالث

من المجلد الثالث والتسعين

الكون : عمره وحجمه	٢٦١
المشاق الثلاثة : (قصيدة) لعلي محمود طه	٢٦٩
الكلف والاشعة الكونية	٢٧٤
النهضة العربية القومية وآرها الادبي : لانيس المقدسي	٢٧٧
جسم الانسان بين الحرارة والبرد	٢٨٧
العامة والفصحى : للدكتور انيس فريجه	٢٩٢
رسالة المنبر الى الشرق : لامين الريحاني	٢٩٩
الاوبئة والتاريخ	٣٠٢
آلية الفن . اتجاهات العصر في الآداب والفنون : لزهدي التاجي الفاروقي	٣٠٨
ابن سينا وجبران خليل جبران	٣١٦
تقدم علوم الطب : للدكتور شريف عسيان	٣١٧
دائرة الحياة : (قصيدة) لخليل هنداي	٣٢٤
وزارة المعارف ونشاطها	٣٢٦
مؤتمر علم النفس الحادي عشر : لمحمد مظهر سعيد	٣٣٣
ابن البيطار : لفؤاد عيتابي	٣٣٧
الحلم الحالم : (قصيدة) لحسن كامل الصيرفي	٣٤٠
مؤلفات الشيخ ابو علي بن سينا : لمنوشر مؤدب زاده	٣٤٦
حيوانات مشهورة وصحة اسمائها : للفريق الدكتور امين المعلوم	٣٤٨
أبيقور : لسليم خباطه	٣٥٣
حديقة المقتطف * الآخر : للكاتب الالماني آرثر شنيتزلر : نقلها ايزاك شمشوش	٣٩٣
شيكاجو : للشاعر كارل ساندبرغ : نقلها زهدي التاجي الفاروقي	

باب الاخبار العلمية * العلم واذاعته وفوائدها . تجاور النبات وتأثيره في نموها . اكبر جزيء في الجسم . أفتش بلوطو طبقة من الهواء السائل . تاريخ كلية الجرايين الملكية بلندن . اكبر السنة الشمس . الطيران حول الارض	٢٧٢
مكتبة المقتطف * النزعة العلمية في الادب الحديث . مجلة الدراسات الاسلامية . كان ما كان . المجدية . ارجوحة القمر . هم . عمر افندي . قيس الصوف	٣٧٨